# تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى - العدد الثالث - كانون الثاني "يناير" ١٩٧٩ - الموافق صفر ١٣٩٩

## في العـــدد المقبـــل



# تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد الثالث
كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩
صفر ١٣٩٩ هـ.

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني :
شركة سيغما للتصميم والطباعة
الإنتاج :
المطابع التعاونية الصحفية
التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات


## الإشتراكات

| | |
|---|---|
| في لبنان | ٥٠ ل.ل |
| المؤسسات والدوائر الحكومية | ١٥٠ ل.ل |
| في الدول العربية | ٧٥ ل.ل |
| في أفريقيا وأوروبا | ١٠٠ ل.ل |
| دول العالم الأخرى | ١٥٠ ل.ل |
| المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي | ٢٠٠ ل.ل |

## ثمن النسخة

| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان : | ٤ ل.ل | سوريا : | ٦ ل.س |
| العراق : | ٧٠٠ فلس | ليبيا : | ٨٠٠ درهم |
| السعودية : | ٧ ريال | الكويت : | ٥٠٠ فلس |
| الأردن : | ٥٠٠ فلس | أبوظبي : | ٨ درهم |
| دبي : | ٨ درهم | قطر : | ٧ ريال |
| البحرين : | ٧٠٠ فلس | مسقط : | ٨٠٠ بيزة |


HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST, ABOU HLEIL
BLG, P.O.B. 5905
TEL: 346276,
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
N°3 Jan, 1979
PRICE: 4L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION:
50$ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

## في هذا العدد

■ المقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب، مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب وغيرهم، تراعى في الالقاب الصفات العلمية فقط.




■ المقالات والدراسات ترسل بأسم رئيس التحرير على عنوان المجلة في بيروت

■ المواد الواردة الى المجلة لا ترد اذا لم تنشر.

■ المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبر بالضرورة عن اراء المجلة.

# العرب والمردة

## في تاريخ قسطنطين المولود في الارجوان

د. احسان عباس

### ١ ـ تعريف بالمؤلف والكتاب:

■عندما توفي الامبراطور ليون (لاون) (١) السادس ابن بسيل سنة ٩١٢م، لم يكن عمر ابنه قسطنطين يزيد على سبع سنوات، وقد لقي هذا الطفل مصاعب جمة من عمه الاسكندر (الكصندرس) ثم من أمه ثم من أمير البحر (بطريق البحر) رومانس (ارمانس) وهذا الاخير اغتصب السلطة، وسمى نفسه ملكاً ولبس التاج والثياب الارجوان (الفرفير) التي لا يلبسها الا الملوك، وحجر على قسطنطين ثم زوّجه من بنته هلانة (إلنا)، وهكذا ظل قسطنطين غير ذي سيطرة حقيقية على الملك حتى سنة ٩٤٥م حين استطاع التخلص من ابن رومانس، فانفرد بالملك وبقي فيه اربع عشرة سنة، فكأنه من بداية حكمه الاسمي حتى وفاته عاصر جانباً من ايام المقتدر وأيام القاهر والراضي والمتقي والمستكفي والمطيع وجانباً من عهد الطائع (٣٠٠ ـ ٣٤٣هـ).

وكان قسطنطين السابع المولود في الأرجوان من الاباطرة المتحمسين للنواحي العلمية وتشجيع التعليم في بلاده كما كان هو نفسه مثقفاً واسع الاطلاع جماعة للكتب، حريصاً على إنشاء المكتبات، وقد وجه اهتماماً خاصاً الى التاريخ، لما كان يعتقده له من قيمة عملية في سياسة الناس وتدبير شئون الحكم. ولهذا رأى أن خير ما يمكن أن يقدمه لابنه رومانس الذي كان يتوقع له أن يتولى الامور بعده كتاب يعلّمه كيف يكون حاكماً عاقلاً: بالاطلاع على سير الغابرين، وتجارب الحكام، فجاء هذا الكتاب أشبه شيء بما يسمى "مرايا الأمراء" اذ احتوى على ما يهم الحاكم أن يعرفه في شئون السياسة الخارجية وفن الدبلوماسية، ودراسة موسعة حول الأمور التاريخية والجغرافية المتعلقة بالامم التي تحيط بالدولة البيزنطية. ويفتتح قسطنطين كتابه بقوله: "الابن العاقل مصدر سعادة لأبيه والأب العطوف يغتبط كثيراً بالابن الحصيف... لذا أصغ اليّ يا بني، حتى اذا حذقت ما أقوله لك أصبحت عاقلا بين ذوي الفطنة، وعددت فطناً بين العقلاء، فمجّدك الناس وسمّتك الشعوب الكثيرة مباركاً، تعلم ما يجدر بك ان تعلمه قبل أي انسان آخر، واقبض على دفة الحكم بمهارة. ادرس ما هو جار اليوم وتعلم ما يفيدك حول الأمور التي ستجدّ، حتى تحتقب التجربة مجتمعة الى رصانة الرأي، وتصبح أكفأ اقرانك في شئونك. وها أنا اضع بين يديك مجموعة من التعاليم، حتى إذا أصبحت بها نافذاً في ميداني التجربة والمعرفة لم تجد عقبة في اختيار الخطة المثلى ومراعاة الصالح العام".

وخطة قسطنطين في كتابه ان يبين لابنه ما يتمتع به كل شعب من الشعوب ـ ما عدا الروم ـ من مظاهر القوة، وكيف تتم مواجهتهم بالسلاح والتغلب عليهم، ثم يحدّثه عن طباع الشعوب وجشعها ورغبتها في التحف والألطاف، وعن الفروق فيما بينها: في أصولها وعاداتها وطريقة عيشها ومناخ بلادها، وجغرافية تلك البلاد ومساحاتها وعما جرى من أحداث بين تلك الشعوب وبين الروم.

### ٢ ـ العرب عند قسطنطين:

ومن الطبيعي أن يأخذ العرب في كتاب قسطنطين حيزاً واسعاً، لطول العلاقات بين العرب

■ د. احسان عباس: استاذ الادب العربي في الجامعة الاميركية في بيروت

(١) ما يوضع بين قوسين في هذه الفقرة هو ما يستعمله المسعودي من مصطلح.

والروم ابتداء من الفتوحات الاسلامية حتى القرن الرابع الهجري• ورغم تقارب الحدود، وتبادل الوفود، وتساجل الحروب، وقيام الأفدية، وعقد المعاهدات والمهادنات، فان معلومات قسطنطين عن العرب بعد أربعة قرون من ظهور الاسلام، لا تزال في تفاوت واضح، ولئن وصف ذلك الامبراطور بأنه كان من أعمق الناس اطلاعاً، وتلك هي حال معارفه عن العرب، فكيف تكون معارف غيره ممن لم يتح لهم نصيب من التعمق والاطلاع؟!

ترى على أي شيء يدل الرضا بذلك القدر من الجهل والقعود عن طلب الحقيقة؟ هل يمكن أن يُعزى الى الخوف من تصحيح الخطأ الشائع أو الى العجز عنه؟ أو للاستنامة المريحة الى المعروف المتداول؟ او لانعدام المصادر التي تنقل الحقائق؟ حين نبحث الأمر فيما يتعلق بمعارف قسطنطين عن العرب أو عن المسلمين عامة نجد ندرة في المصادر إذ ليس لديه في هذه الناحية الا تاريخ ثيوفانس وبعض ما التقطه مما شاع "خارج بلاد العرب"، وهذا في ذاته ربما دلّ على استخفاف مبعثه الوضع السياسي حينئذ، إذ لم تعد الدولة العباسية قوية مرهوبة الجانب، واصبحت الحال كما يقول ثيوفانس، رغم مجانبته الدقة في بعض ما يقول: "واليوم بسبب عجز أمير المؤمنين في بغداد قد استقل امير فارس او خراسان واتخذ لنفسه لقب امير المؤمنين وجعل القرآن على ألواح يلبسها كالعقد حول عنقه، وهو يقول إنه من آل عليّ، كذلك فان أمير اليمن الذي كان دائماً تابعاً لأمير مصر أصبح اليوم مستقلا واتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين وهو يقول إنه من نسل عليّ ايضا"• فما دام كتاب قسطنطين تعليمياً فلا بأس من إدراج معلومات عامة عن دولة لم تعد خطراً كبيراً على الامبراطورية البيزنطية• على ان مقارنة سريعة بين معلومات قسطنطين عن العرب وأخبار المسعودي عن الدولة البيزنطية تدل – رغم وجود أخطاء في الناحيتين – على أن المؤرخ المتفرغ لكتابة التاريخ بالاطلاع والرحلة والتمحيص، لا يبلغ شأوه واحد من "الهواة" لا يملك الوقت الكافي للقيام بذلك كله•

ويطلق قسطنطين على العرب أحد لفظين – إذا لم يكن ينقل عن ثيوفانس – فهم اما هاجريون (اي ابناء هاجر) إما سراقينوس (Saracens)• ورغم الاختلاف في ردّ هذه اللفظة إلى أصلها فاني أرى المسعودي لا يعدو الصواب حين يقول: "تفسير ذلك عبيد سارة، طعناً منهم على هاجر وابنها اسماعيل وأنها كانت أمَة لسارة" (التنبيه والاشراف: قيون سارة)• ورغم أن الامبراطور نقفور من بين أباطرة بيزنطية أنكر صواب هذه التسمية فاننا نراها ما تزال مستعملة لدى قسطنطين•

ويعرف قسطنطين ان العرب ينقسمون الى نزاريين وحميرين وأن نزاراً أعقب ولدين هما ربيعة ومضر (مندارس)، وان مضر ولد قريشاً (كوساروس) وقيساً وتميماً وأسداً (أسندس) وآخرين كثيرين لم تعرف اسماؤهم• ولكن معلوماته عن النبي محمد ما تزال ترداداً لذلك الخلط الذي ظلت تتناقله المصادر الغربية الى عهد قريب، ممزوجاً ببعض الشتائم• فالنبي محمد نشأ يتيماً فقيراً ثم عمل عند أمرأة غنية تسمى خديجة، راعياً لابلها ومتاجراً بأموالها في مصر وفلسطين، ثم سما به نظره الى الزواج من تلك المرأة، ولما كان مُصاباً بالصَّرع – وتلك تهمة ظل بعض المستشرقين الحاقدين يلوكها الى عهد غير بعيد – فقد زعم أنه يرى جبريل، وشهد له بذلك راهب مزيف اسمه "آريان" (وليس بحيرا)، ثم توفيت المرأة فورثها زوجها واصبح غنياً مشهوراً، وجازت دعوته على أهل مقاطعة يثرب، إلى هلم جرّاً من هذا الهراء الذي يصرّح قسطنطين أنه مبني على مقولة ذائعة•

والشيء المضحك حقا هو مدى اطلاع قسطنطين على الدين الاسلامي، اذ يذكر ان المسلمين يتوجهون بصلاتهم الى كوكب الزهرة ويسمونها "كُبَر" ولذلك تجدهم يصرخون في الصلاة قائلين: "الله وكُبَر" (الله اكبر) مشيرين بذلك الى الاله والزهرة معاً• ومن الغريب أن يغيب معنى "التوحيد" الدقيق عن أذن حاكم مجاور، كما غاب عن ناظم أنشودة رولان الذي زعم أن المسلمين يعبدون أصناماً ثلاثة يجعلونها أمام الجيش كلما ذهبوا في معركة ويهيبون بها لنصرهم وهي: ما هوند (محمد؟) وطرمغان وأبوليون• وناظم الانشودة متسق مع نفسه في الجهل فانه يطلق على المسلمين اسم الوثنيين، اما قسطنطين فانه بعد ان يفضح جهله من هذه الناحية، يستعمل تعبير ثيوفانس في تسميته الخليفة باسم أمير المؤمنين•

ولدى قسطنطين معلومات لا تقل غرابة، حول الفاطميين، فهم أبناء فاطمة بنت الرسول، ويسكنون منطقة تقع الى الشمال من مكة وراء قبر محمد، مجربون في المعارك والحروب، وبهم استعان النبي في حروبه واستولى على عدة مدن وأخضع بلاداً كثيرة، ذلك أنهم معروفون بالبسالة، بحيث لو وجد منهم ألف في أحد الجيوش فذلك الجيش لا تحلّ به هزيمة• وهم يركبون الجمال لا الخيول، ولا يلبسون الدروع في الحرب، وانما يلبسون عباءات قرنفلية اللون، ويحملون رماحاً طويلة وتروساً بطول قامة الرجل وسهاماً خشبية كثيرة لا يستطيع حَنْيَها – بمشقة فائقة – إلا قليلون، وهو على وعي بأن هؤلاء الفاطميين هم غير الفاطميين الذين ظهروا في ليبيا (يعني افريقية) إذ ينقل بعد قليل عن ثيوفانس أن هناك ثلاثة يدعون أمراء المؤمنين في كل سوريا – يعني في كلّ امبراطورية العرب – أولهم في بغداد وهو من أسرة محمد، والثاني في أفريقية وهو من اسرة عليّ وفاطمة، والثالث في أسبانيا وهو من نسل معاوية• ووصف قسطنطين لمن يسميهم فاطميي



■ رسم بالاسلوب البيزنطي لكتاب عن الطب العربي (متحف توبكابو ـ استانبول من العام ١٢٢٩م)

الجزيرة العربية ينطبق ـ في مجمله ـ على العرب جملة، وليس من الواضح كيف انساق الى هذه التسمية وذلك التصوّر، ولو قلنا إنه خلط بين الفاطميين والهاشميين لما كان ذلك مما يسوغ إفراد الهاشميين ـ دون سائر العرب ـ بالأوصاف التي أطلقها.

ويعد تاريخ ثيوفانس أهمّ مصدر لدى قسطنطين في أخبار الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين فاذا تحدث عن الأمم الأخرى اعتمد على معلوماته الخاصة ولم يصرّح بذكر أي مصدر آخر، وذلك قد يعني أحد شيئين: جهله بحال العرب بالنسبة لحال الأمم الأخرى، أو محاولته إلقاء المسؤولية فيما يورده من معلومات على عاتق شخص آخر. ولكن ثيوفانس يجمع جمعاً غريباً أيضاً بين الأخبار الدقيقة والكاذبة، ورغم أن تاريخه ليس موضوع هذا المقال، فلا بدّ من إيراد بعض الامثلة على أخطائه التي أصبحت بالتالي أخطاء لقسطنطين حين نقلها مصدقاً بها: من ذلك زعمه أن اليهود خُدعوا بمحمد وظنوا لأول وهلة أنه المسيح الذي ينتظرونه فأسلموا على يديه وفارقوا شريعة موسى الكليم، ولكنهم لما رأوا محمداً يأكل لحم الجمل تيقنوا أنهم كانوا على خطأ، إلا انهم علّموه كيف يرتكب الجرائم البشعة ضد المسيحيين وبقوا منضوين تحت لوائه.

ومن أمثلة هذا الخلط أيضاً عند ثيوفانس ـ حسب نقل قسطنطين ـ أن عمر بن الخطاب غزا فلسطين وحاصر القدس مدة سنتين وأخذها خدعة. وان صفرونيوس أسقف القدس ـ وهو رجل متميز في حسن التقدير مندفع بحماسة سماوية ـ تلقى منه وعداً أكيداً فيما يتصل بالكنائس في فلسطين بحيث لا تخرب ولا تنهب.... إلا أن عمر طلب هيكل اليهود الذي بناه سليمان ليجعله مكاناً لعبادته، وما يزال كذلك الى اليوم. ويكفينا هذان المثلان، ففيهما نموذج لمن شاء دراسة تاريخ ثيوفانس على نحو من التقييم الدقيق.

### ٣ ـ المردة في تاريخ قسطنطين:

(١) المردة أيام معاوية:

يعتمد قسطنطين في أخبار المردة أثناء العهد الاسلامي الأول على ثيوفانس أيضاً، ولدى ثيوفانس ـ أو في النقل عنه ـ اضطراب، إذ يذكر أن أول اجتياح قام به المردة للمناطق الشامية، تمّ في آخر أيام معاوية، ثم يعود فيذكر أن ذلك كان اثناء الحرب بينه وبين عليّ، والثاني هو الصواب. ورغم أن نص ثيوفانس قد استغله الدارسون (انظر مثلا تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لحتي ٢:٥٢ ـ ٥٤ ولامنس: تسريح الأبصار ٢: ٤١ ـ ٤٨) فلا بأس من إيراده هنا كاملا ليكون في سياق مع ما يأتي بعده:

يقول ثيوفانس: "وعند أواخر حياة معاوية (الصواب: إمرة معاوية) سيد العرب، دخل المردة لبنان واستولوا عليه من الجبل الأسود حتى المدينة المقدسة وجعلوا أنفسهم سادة على قمم لبنان، وهرع اليهم كثير من العبيد والمواطنين لائذين بهم باعداد ما لبثت إلا يسيراً حتى بلغت عدة آلاف، ولما علم معاوية بذلك خاف هو ومستشاروه خوفاً شديداً فأرسل الى الامبراطور قسطنطين رسلا يطلبون السلام، لهذا بعث الامير قسطنطين ابن فوغوناطس شخصاً اسمه يوحنا ويعرف بالفتز قودي فلما وصل الى سورية تلقاه معاوية بترحيب عظيم، واتفق الجانبان على عقد صلح مكتوب مؤكد بالأيمان على أن يدفع "ابناء هاجر" فريضة سنوية الى إمبراطور الروم مقدارها ثلاثة آلاف قطعة ذهبية (دينار) وثمانمائة من الأسرى وخمسون فرساً عتيقاً. في ذلك الوقت كانت دولة العرب منقسمة في قسمين، فعليّ يحكم في يثرب ومعاوية يسيطر على مصر وفلسطين ودمشق... الخ"، وليس في معاهدة الصلح كما وردت هنا أية اشارة الى المردة، ولكن من حقنا ان نستنتج ان تلك الضريبة الباهظة لم تكن لتدفع لو لم تكن المعاهدة تضمن عدم لجوء المردة إلى ازعاج معاوية في الشام.

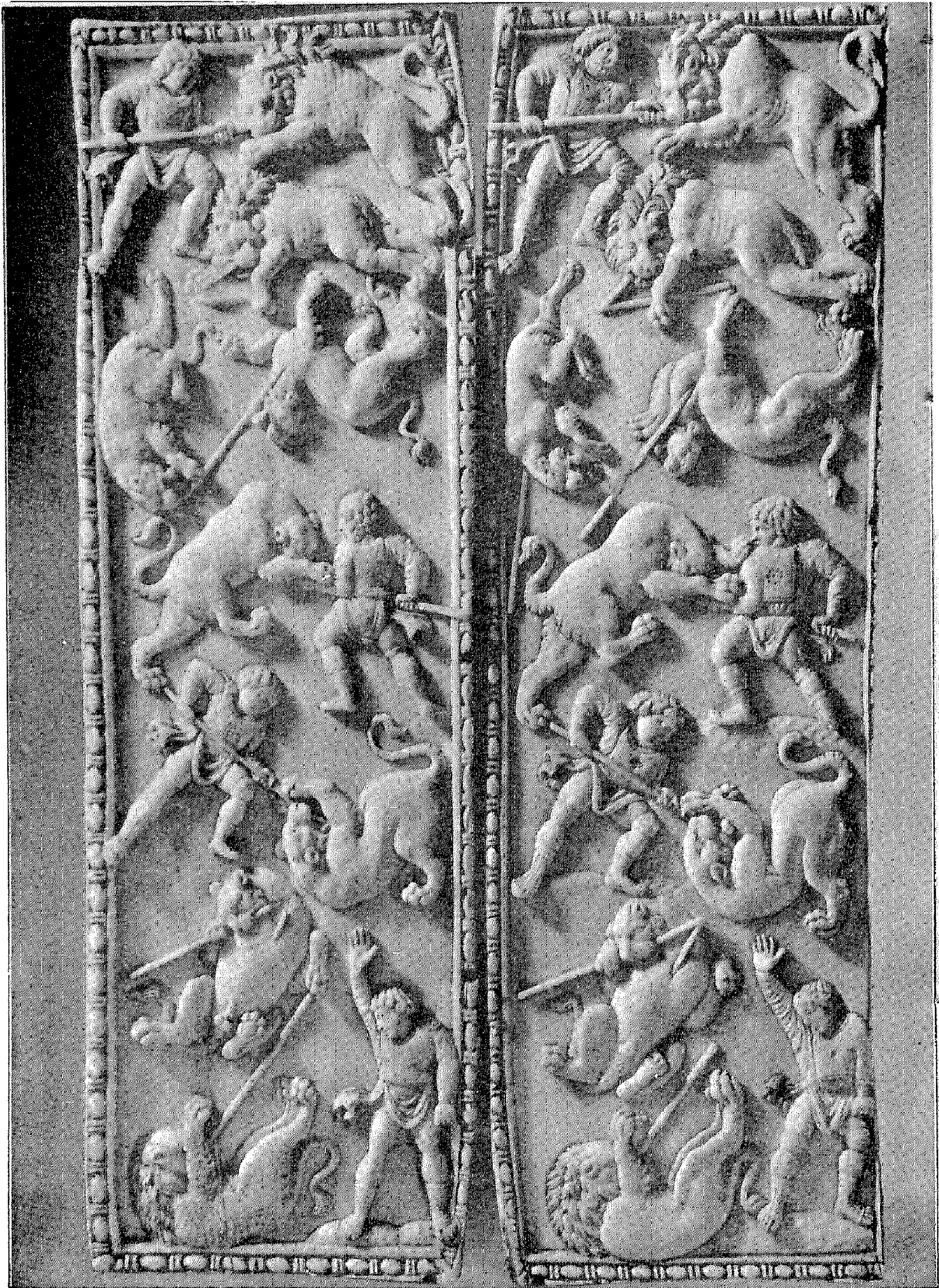
(٢) المردة أيام عبد الملك:

إن الدوافع الى تحرك المردة أيام عبد الملك تشبه إلى حدّ كبير تحركهم أيام معاوية، ففي كلتا الحالتين كان الأمير العربي مشغولا بحروب داخلية، وكان ذلك يتيح للامبراطور البيزنطي استغلال الاوضاع غير المستقرة، بما يتفق ومصلحته، ونعود مرة اخرى الى رواية ثيوفانس اذ يقول: "وفي هذه السنة (حوالي ٦٧/٦٨٦) أرسل عبد الملك (يسميه المؤرخ أبي ملك) الى يوستنيان (الثاني) يطلب اليه أن يقرّ السلم على الشروط الآتية: أن يسحب الامبراطور جيش المردة من لبنان ويكبح جماح تعدياتهم على أن يدفع عبد الملك الى الروم يومياً ألف دينار وفرساً عتيقاً أسود وأن يقتسم الفريقان جباية قبرص وأرمينية وايبرية (٢) بالتساوي فيما بينهما، وارسل الامبراطور بولس الموفد الامبراطوري الى عبد الملك لتوثيق الشروط المتفق عليها، وكُتب بذلك عقد موثق بالأيمان. وقدمت للموفد الامبراطوري هدايا، وارسل الامبراطور الى المردة فاستردّهم وكانوا اثني عشر الفاً، وبذلك شلّ قوة الروم، ذلك أن مدن الثغور التي يسكنها العرب اليوم امتداداً من مويسوستيا حتى أرمينية كانت غير محمية ولا سكان فيها بسبب غارات المردة، وباستردادهم أصاب بلاد الروم وما زال يصيبها أضرار بالغة على يد العرب. وفي السنة نفسها ذهب الامبراطور الى أرمينية وأسكن فيها مردة لبنان وبذلك حطّم سوره النحاسي".

(٣) مقارنة رواية ثيوفانس بالروايات العربية:

لدينا روايتان هامتان عن حركة المردة أيام عبد الملك إحداهما أوردها البلاذري (أنساب الأشراف

(٢) لا ادري الى أي شيء تشير ايبرية هنا، لأن الاندلس لم تكن قد فتحت بعد.



■ لوحة مزدوجة من العاج تمثل مشاهد من السيرك البيزنطي. (٣٣×١٠٫٥ س٠م) متحف "ارميتاج" بموسكو

٥: ٢٩٩ ــ ٣٠٠) والثانية ذكرها ابن عساكر في تاريخ دمشق (تهذيب ٦: ٦٥ ــ ٦٦) وبين الرواة اختلاف حول تاريخ تلك الأحداث، فمنهم من يجعلها إثر تولي عبد الملك الخلافة (حوالي ٦٦هـ) ومنهم من يجعلها عند توجهه لمحاربة مصعب بن الزبير (حوالي سنة ٧٠)؛ ويرجح البلاذري الرواية الاولى. وفي الروايتين العربيتين تفصيلات هامة عن طبيعة تلك الحركة وتطوراتها: فيذهب البلاذري



■ تلميذا طب عربيان واللوحة مرسومة بالاسلوب البيزنطي وتعود للعام ١٢٢٩م (متحف توبكابو – استانبول)

الى أن يوستنيان أقبل يريد مهاجمة الشام، وان قائدا من قواد الضواحي خرج في جبل اللكام فاتبعه خلق من الجراجمة والأنباط (السكان الاصليين) ومن التف حولهم من عبيد المسلمين وغيرهم، وصار هذا الحشد كله الى جبل لبنان. أما رواية ابن عساكر فتقول ان امبراطور الروم عندما رأى أخذ المسلمين لمدن الساحل كاتب أنباط جبل لبنان واللكام، فخرجوا فعسكروا بالجبل، ثم وجه الامبراطور قلقيط (لعله فليط: Palytes ) البطريق في جماعة من الروم في البحر، فسار بهم حتى نزل بوجه الحجر، وخرج بمن معه حتى علا بهم جبل لبنان ووثب بقواته حتى بلغ أنطاكية وغيرها من الجبل الاسود، واستفحل امر الروم حتى غلبوا على الجبال كلها من لبنان وسنير وجبل الثلج وجبال الجولان، أي أن القوة التي قامت بتلك الحركة كانت من الروم والمردة ومن انضم اليهم من العبيد. عندئذ عاد عبد الملك عن وجهته التي كان يقصدها الى دمشق ووجه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي بهدايا وألطاف الى ملك الروم وأرسل معه كتاباً يسأله فيه الموادعة على إتاوة معينة - ولم تذكر الروايات العربية مقدارها - فقبل الامبراطور الهدايا وما بذل له عبد الملك من الاتاوة، وفي مقابل ذلك أعطاه رهناً من أبناء الروم صيّرهم ببعلبك. أما الثائرون بلبنان فجعل لهم عبد الملك ألف دينار في كل جمعة (لا في كل يوم كما يقول ثيوفانس)، فهدأت ثائرتهم.

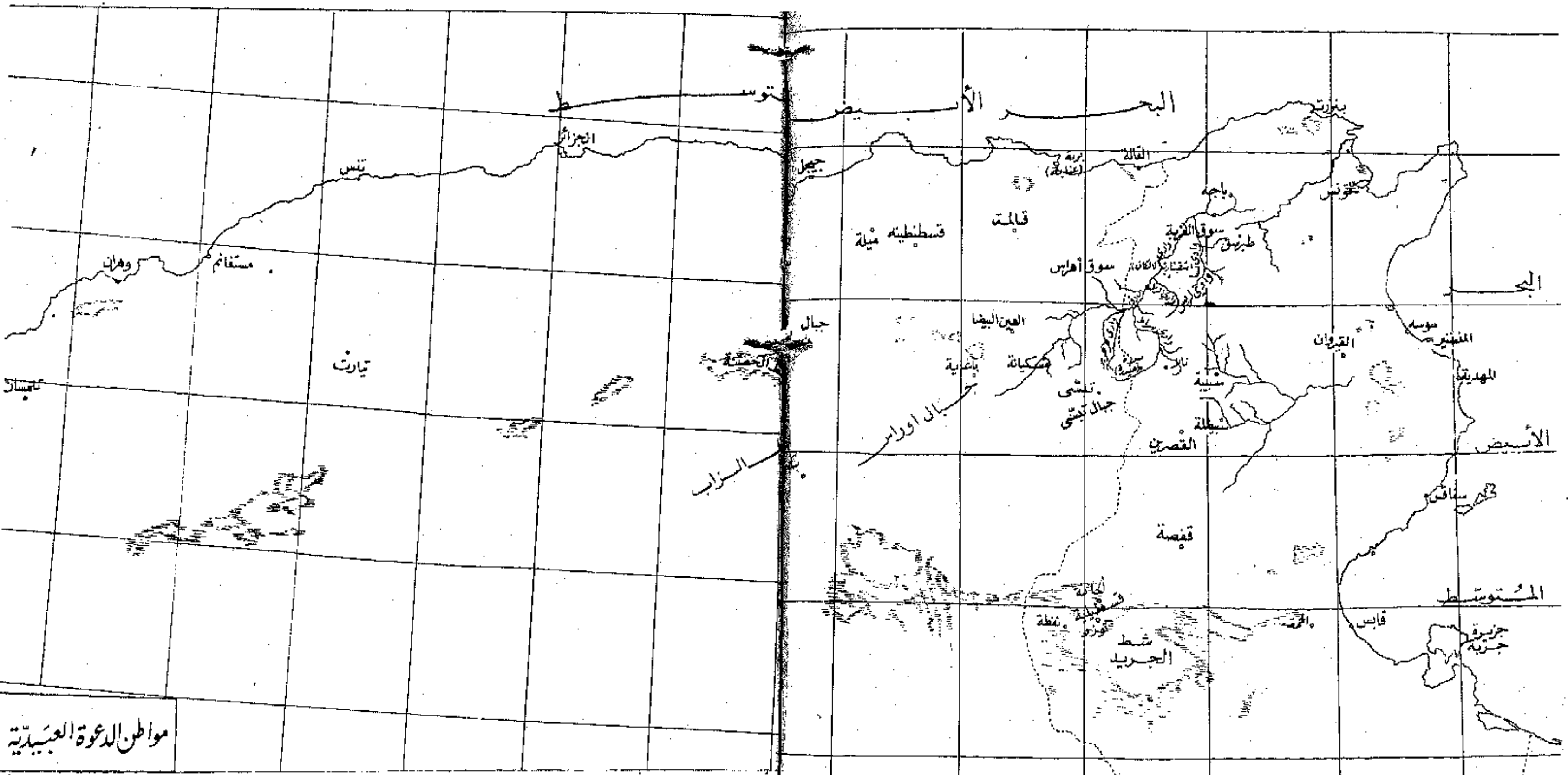
تلك هي المرحلة الاولى من الاجراءات، ولكن هذه شفعت بمرحلة ثانية، أولا لأن عبد الملك لم يكن ليقر دفع تلك الضريبة الباهظة إلى الأبد، كما أن المعاهدة بينه وبين الامبراطور لم تتضمن النص على انسحاب القوات الرومية التي دخلت بلاد الشام - ولهذا نراه يوعز الى سحيم بن المهاجر واليه على طرابلس - بل يتوعده - إذا هو لم يقم بعمل حاسم للقضاء على العناصر التي ما تزال تكبده تلك الضريبة الباهظة. ومن أجل ذلك عمّم نداء بأن كل عبد يرجع عن ممالأة الروم والجراجمة فهو حر يُكتب اسمه في الديوان وينال عطاء، فعاد عدد كبير منهم جعلوا في ربع على حدة وسمّوا "الفتيان". ويجب أن نفهم من نص ابن عساكر الشديد التصحيف أن سحيماً تنكّر في هيئة بطريق من بطارقة الروم في لباسه وهيئته وشعره وسلاحه، وانه ركب متن المغامرة في التقرب إلى قلقيط (أو فليط)، وأنه استطاع بالحيلة واستعمال الكمين ومساعدة العبيد المحررين أن يقضي على عدد من الروم والجراجمة، ففر من تبقى من الروم إلى سفنهم فركبوها ولحقوا ببلادهم، ثم نادى بالأمان في من تبقى من جراجمة وغيرهم فتفرقوا في قراهم.

(٤) المردة بعد عهد الدولة الاموية:

يبدو أن نقل يوستنيان الثاني للمردة الى أرمينية كان خطوة حاسمة في تقرير دورهم رغم أن ثيوفانس يومىء الى أن ذلك كان سياسة قصيرة النظر بالنسبة لمصالح الروم، ولكن غاب عن ثيوفانس أن الانحسارات المترتبة على الفتن الداخلية في الدولة الاموية قد تحولت الى مد عات بعضه يبلغ القسطنطينية، وبعضه ينتزع من الدولة البيزنطية المغرب كله. وحين تحولت الدولة الى بغداد فقد ذلك "السور النحاسي" قيمته، حين تغيرت منافذ الحدود الى بلاد الروم، وكانت الدولة العباسية في ذروة قوتها تستطيع أن تحرك مواقع مدن الثغور بحيث تصبح في قلب بلاد الاناضول.

ولعله لهذا السبب نفسه أصبحنا نسمع عن وجود مردة في منطقة اضالية ( Attalia ) ويحدثنا الإمبراطور المؤرخ قسطنطين السابع عن المردة في تلك المنطقة، وانه جرت العادة - منذ عهد بعيد - ان يتولى الامبراطور البيزنطي تعيين القائد العام للمردة في تلك الولاية. وفي أيام جده ليون (لاون) - الطيب الذكر - كان القائد العام هو اسطوراخيوس فتصرف في الأمور تصرفاً حسناً في أول الأمر ثم ساء تدبيره في الختام. وبسبب المنافسات الحادة بين هذا القائد العام وبعض خصومه عزل اسطوراخيوس من منصبه وولي بدله خصمه يوسطاطيوس، ثم لما اصبح الاسكندر (الكصندروس) عم قسطنطين امبراطوراً بعد ليون نحّى ذلك القائد وولى شخصاً آخر يسعى من رجل اسمه قيس (Chase) وهو امرؤ "عربي في أصله، وبقي عربياً خالصاً في فكره وعاداته ودينه" وقد أثر في الامبراطور (ألكصندرس) بمعونة من أخيه نيكيتاس الذي قال للامبراطور: "بما اني صديقك القديم فمن اللائق أن تسدي الي يداً، ولدي مطلب أرفعه الى جلالتك ومن الحري بك أن تحققه" وفوجىء الامبراطور بذلك وسأله: ما هو مطلبك؟ فقال: "أرجو من جلالتك أن تجعل ابني قائداً عاماً للمردة" فاستجاب الملك لطلبه، ذلك أن تعيين القائد العام للمردة كان - كما تقدم القول - أمراً منوطاً بالامبراطور (تاريخ قسطنطين، الفقرة: ٥٠).

ترى من هو "قيس" هذا الذي يذكره الامبراطور المؤرخ؟ انه يذكّرنا بقيس آخر ذكره المسعودي، اعني (قيس) الماروني المؤرخ الذي كتب كتاباً حسناً في التاريخ يبدأ من بداية الخليقة حتى عهد المكتفي (التنبيه: ١٥٤) أترى الأمر مجرد تشابه عارض بين اسمين؟ أم هما شخص واحد؟ علينا ألا نفاجأ بقول المؤرخ: إن قيساً كان عربياً في دينه، فان المارونية في تلك الايام كانت عقيدة مختلفة في طبيعتها عن المذهب الملكاني - مذهب الدولة البيزنطية - وليس ثمة ما يمنع ان يكون فعل الزمن قد صهر ما بين المارونيين والمردة، و"عرب" الأولين - بل عرّب جميع من كانوا وراء الحدود الرومية، و"دجن" المردة حتى أصبحوا جزءاً أصيلا في بناء الدولة العربية. ■




# الدّعوة العبيديّة الاسماعيليّة في افريقيا والمغرب نموذج للحركة الثوريّة المسلّحة

د. وداد القاضي

من النظرات التاريخية التي تستوقف دارس التاريخ كثيراً، نظرة المؤرخ اليوناني القديم ثوكيذيذس ـ كاتب كتاب "الحرب البلوبونيزية" ـ الى التاريخ البشري، فهو في نظره ـ في اطاره العام الكبير ـ لا يخرج عن كونه حلقات متسلسلة من الاحداث، يتكرر حدوثها بشكل شبه دائري، على اختلاف الأزمنة والأمكنة والأمم، ولا يتغير هذا الحدوث الا بمقادير ضئيلة تابعة لبعض الاختلاف البسيط في الظروف الخاصة المحيطة بكل حدث على حدة، والسبب في ذلك ـ كما يقول ثوكيذيذس ـ أن صانعي التاريخ هم البشر، والطبيعة البشرية ذات سمات ثابتة لا تتغير، مهما يتغيّر المكان والزمان والأمة، ومن ثمّ فان من الطبيعي ان يكون التاريخ يعيد نفسه ـ بأشكال متشابهة ـ على مرّ العصور.

تلك نظرة يختلف المؤرخون وفلاسفة التاريخ حول سلامتها وصحتها، ولكنهم دون شك يجدونها نظرة جديرة بالتفحص الدقيق. فترى هل يختلف المؤرخون على ان التاريخ يحتوي دروساً وعبراً، كما يعتقد ابن خلدون؟ وهلاّ يجدون انفسهم ينزعون ـ في كثير من الاحيان ـ الى رصد المشابه بين حادثة وقعت في الماضي وأخرى تقع في الحاضر؟

د. وداد القاضي استاذة الأدب العربي في الجامعة الاميركية في بيروت.

■ من هذه الزاوية بالذات أود هنا ان اتناول بالعرض والتحليل الدعوة العبيدية الاسماعيلية، تلك الحركة الثورية المنظمة المسلحة، في افريقية والمغرب في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، لعلّ إلقاء الضوء عليها يثير فينا التأمل في مدى صحة نظرية ثوكيذيذس، وخاصة لاننا نعيش في عصر تكثر فيه الحركات الثورية المسلحة في شتى انحاء العالم، وعدد منها – دون شك – لا يرغب في الاعتراض – او الثورة – على النظام السياسي القائم وحسب، وانما يهدف الى الاطاحة بهذا النظام والحلول محله، تماماً كما كان شأن الدعوة العبيدية الاسماعيلية في افريقية والمغرب.

وليست الدعوة العبيدية الاسماعيلية الحركة الثورية الوحيدة التي عرفها تاريخنا في العصور الاسلامية، فان هذا التاريخ حافل بالعديد من الثورات ذات الحوافز الاجتماعية او الاقتصادية او الدينية او المذهبية او السياسية، غير ان ما يميز الدعوة العبيدية كونها – مثل الدعوة العباسية – قد قامت على اسس مدروسة دقيقة ونجحت في الاطاحة بالنظام القائم وفي بناء دولةقوية قادرة. ولكن في حين جاءت الاخبار عن الدعوة العباسية متفرقة متوزعة بعيدة في الزمن عن زمان حدوث الدعوة. في مصادرنا التاريخية الأصلية، جاءت أخبار الدعوة العبيدية الاسماعيلية مضموماً بعضها الى بعض في كتاب كامل مستقل كتب بعد نجاح الدعوة بنصف قرن فقط، كتبه رجل عايش أولى فترات النجاح هذه، وذلك هو كتاب "افتتاح الدعوة" (دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠، الشركة التونسية للتوزيع والنشر، تونس، ١٩٧٦) للقاضي النعمان بن محمد بن حيّون المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ هجرية. فان هذا الكتاب، بتبكيره النسبي، وبتخصصه في موضوع الدعوة، يعطينا صورة واضحة كثيفة التفاصيل شديدة الايحاء عن تنظيم الدعوة وخط سيرها حتى استيلاء اصحابها على الحكم، ومن ثمّ يعتبر هذا الكتاب المصدر الاساسي لدراسة هذه الحركة، يتقدم غيره من المصادر التاريخية التي تعرضت لها مثل "الكامل في التاريخ" لابن الأثير و"البيان المغرب" لابن عذاري و"تاريخ ابن خلدون" وكتابي "اتعاظ الحنفا" و"الخطط"، وكلاهما للمقريزي.

## التطور التاريخي

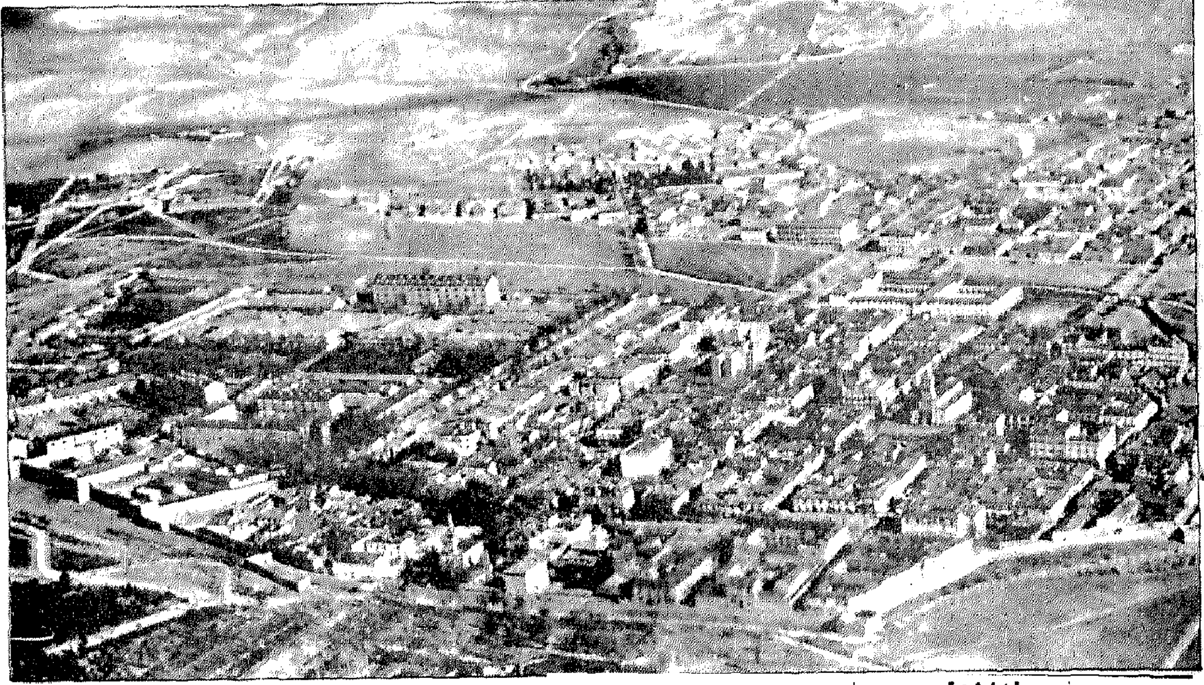
وقبل أن اتناول الدعوة العبيدية الاسماعيلية بالتحليل، أرى أن استعرض تطوّرها التاريخي، حتى تكون مقدمات التحليل موجودة بين يدي القارىء، غير خافية عليه.

في سنة ٢٨٠ هجرية دخل افريقية ثم المغرب الأوسط رجل باسم أبي عبد الله الحسين بن أحمد آتياً من المشرق في صحبةجماعةمن قبيلة كتامة البربرية. وكان هذا الرجل شيعياً اثني عشرياً في الاصل، من سكان الكوفة على الأرجح، قد تمكن من الاتصال به أحد دعاة الاسماعيلية، واكتشف مدى إخلاصه في تشيّعه، فلقنه مبادىء التشيّع على الطريقة الاسماعيلية، وما إن ثقف هذه المبادىء حتى أرسله هذا الداعي – او الامام نفسه – الى اليمن، اذ كانت اجزاء كبيرة من اليمن قد اصبحت منذ سنة ٢٦٨ معقلا من معاقل الاسماعيلية على يد أحد كبار دعاتهم هناك هو الداعي أبو القاسم بن حوشب المعروف بمنصور اليمن. وقضى أبو عبد الله هذا مدة تقرب من السنة في اليمن، درس فيها على أبي القاسم الداعي أحسن السبل لاقامة دعوة ناجحة، واحسن السبل لتحويل الدعوة الى دولة تستطيع ان تفرض السلطان السياسي على الارض بعد ان تكون قد فرضت المذهب الديني على الناس.

وبعد انقضاء السنة غادر أبو عبد الله الشيعي اليمن مزوّداً بتعليمات واضحة من الامام في ان يذهب الى المغرب فينشر الدعوة هناك. وكان الموسم موسم حج، فمضى أبو عبد الله الى مكة، وهناك اتصل بجماعة من الحجاج المغاربة من قبيلة كتامة، وسمع من يتحدث بفضائل علي بن أبي طالب، فانضم اليهم وأخذ يحدّثهم حديثاً ضافياً جذاباً في فضائل اهل البيت، وما تركهم إلا وقد سحرهم او كاد، فمشوا وراءه للاستدلال على مكان إقامته وخدمته إن شاء. وفي اليوم التالي مضى أبو عبد الله فحدّث الكتاميين بأزيد مما كان حدّثهم به بالامس، فازدادوا تعلقاً به، وسألوه عن وجهته بعد الحج، فاظهر لهم أنه يريد مصر، فقالوا: اذن نمشي معاً حتى مصر.

وطول الطريق من مكة الى مصر عامل الكتاميون أبا عبد الله معاملة الضيف العزيز الكريم، يذبحون له الشياه ويحملون عنه الأثقال، وهو في هذه الأثناء يتلطف اليهم، ويعطيهم ما يريدون سماعه من حديث الفضائل الدينية، وفي الوقت نفسه يأخذ بلطف كل ما يحتاج اليه من معلومات عن بلادهم المغربية: مدنها، حواضرها الاخرى، قبائلها، اتساعها، مناخها، سكانها، حكامها، علاقة الحكام بالسكان في المدن، علاقتهم بالقبائل، العلاقات فيما بين القبائل نفسها، مدى انتشار العلم في القبائل.... وغير ذلك مما كان أبو عبد الله يرى معرفته ضرورية لأنه كان يؤمّل ان يقيم الدعوة بالمغرب.

وعندما وصل الركب الى مصر، اظهر ابو عبد الله الرغبة في الانفصال عن الكتاميين والاقامة بمصر. فزاد هذا من تمسك الكتاميين به وسألوه: ماذا تريد من بقائك بمصر؟ فقال: التعليم، فسرّهم ذلك وقالوا له: ان مهنة التعليم نافقة في بلادنا



■ مدينة سطيف "١٩٤٤"

نفاقاً لا مثيل له، والمعلمون معظمون عندنا، وأنت بعلمك تصلح أن تكون معلماً لشيوخنا فضلا عن صبياننا، ونحن نبذل لك من المال ما يفي بحقك ويزيد، واذا قبلت دفعنا لك مكافأتك عن سنة وسنتين مقدماً. فاعتذر أبو عبد الله عن قبول عرضهم اعتذاراً رفيقاً، فاشتدّ تمسكهم به، والحوا عليه بالقبول، وهو يُظهر التمنّع والحياء، وكلما تمنع زادت رغبتهم فيه. وفي نهاية المطاف وافق أبو عبد الله على المضيّ معهم الى بلادهم، مظهراً ان ذلك من باب الارضاء لهم والنزول عند رغبتهم.

## في كتامة بالمغرب

وهكذا دخل أبو عبد الله بلاد افريقية وبلد كتامة من المغرب الاوسط في سنة ٢٨٠، وعاش أول الأمر ضيفاً على عدد من مشايخ كتامة، يجلس للشيوخ وللشباب، ويحضهم على الصلاة والصيام وأفعال الخير وأعمال البرّ وتجنب المعاصي، ويلقنهم في الوقت نفسه علوم الدعوة درجة درجة، فاذا أتمّ أحدهم العلوم كلها أخذ عليه أبو عبد الله عهداً بالسرّية والكتمان، فاذا سأله احد الناس عن علمه، وضع اصبعه على فمه وقال: "ابلغ توقن"، وكانت تلك كلمة علّمهم اياها أبو عبد الله فكانت على لسان كل واحد منهم. كذلك أشاع ابو عبد الله نمطاً معيناً من الخطاب بين المنضمين الى الدعوة – نمطاً قائماً على المساواة الاجتماعية، بحيث يقول الرجل للرجل "يا اخانا" – بمن فيهم ابو عبد الله نفسه – مهما اختلف الوضع الاجتماعي للواحد منهم عن الآخر. واطلق أبو عبد الله على من قبلوا دعوته اسم "المؤمنين" وعاد فسماهم فيما بعد "الاولياء".

وبعد انتهاء فترة "الضيافة" الأولى، انتقل أبو عبد الله من جماعة "المؤمنين" الى حصن حصين ومعقل منيع في جبل يسمى جبل ايكجان بمنطقة سطيف، ومن هنا بدأت الدعوة تتخذ ملامح أكثر تحديداً.

ووصل خبر الدعوة وتحركات أبي عبد الله الى والي مدينة ميلة من قِبَل الأغالبة، أمراء افريقية وشرق المغرب التابعين للخلافة العباسية. فخاف صاحب ميلة ان تتهدد الدعوة الجديدة سلطانه، فحاول حيناً بالحيلة وحيناً بالوعيد ان ينزع حماية بعض كتامة عن أبي عبد الله، الا أنه أخفق في ذلك، إذ لم يرضَ هؤلاء بتسليم أبي عبد الله وهو – في أدنى الاعتبارات – ضيفهم، والعرف يقضي بحماية الضيف حماية تامة.

وما لبث خبر الدعوة ان بلغ الأمير الأغلبي ابراهيم بن أحمد، فأرسل الى أبي عبد الله رسولا قرأ عليه رسالة من ابراهيم تعده بالأمان والدنيا العريضة ان هو تنصّل من دعوته، وتهدّده بالويل والثبور ان هو اصرّ عليها. وقد ردّ أبو عبد الله على رسالة ابراهيم برسالة اشدّ منها، أعلن فيها رفضه لعرض ابراهيم، وتمسكه بدعوته، وإيمانه بحتمية النصر له ولأصحابه "المؤمنين الصابرين"، بل انه زاد فدعا ابراهيم نفسه الى الدخول في الدعوة "الى الله عز وجل والى كتابه والى الامام المهدي من ذرّية رسوله". وملأ رسالته هذه بالآيات القرآنية، وصرف رسول ابراهيم مكرماً، فكان موقف أبي عبد الله هذا معززاً لمكانه بين أنصاره ومقوياً لايمانهم بصحة الدعوة.

ولما سمع ولاة المدن والأمصار بجواب أبي عبد الله لابراهيم بن أحمد، ورأوا ان ابراهيم لم يحرك ساكناً ضده، خافوا على زوال رياستهم من ايديهم، فاجتمعوا معاً، وهم ولاة سطيف وميلة وبلزمة، وانضم اليهم رؤساء بعض بطون كتامة، ممن رأوا في دعوة ابي عبد الله تهديداً لسلطانهم هم ايضاً، وقرروا مجتمعين ان يقضوا على أبي عبد الله. وفعلا تمكن هؤلاء "الحلفاء" غير مرة من فتح ثغرة في صفوف اصحاب ابي عبد الله، الا ان تسرعهم دوماً لنيل بغيتهم قلب الامور ضدهم، وورطهم في الدخول في معارك عسكرية مع أصحاب ابي عبد الله، فحمل اصحاب أبي عبد الله السلاح، ونظم ابو عبد الله صفوفهم، ولاقوا تحالف ولاة المدن ورؤساء الكتاميين بشجاعة فائقة، وأبو عبد الله يحارب معهم ويرفض ان يتركهم، الى ان اسفرت سلسلة المعارك التي خاضوها عن نصر عظيم لهم، وهزيمة منكرة للتحالف المدني ـ الكتامي، وغنم "المؤمنون" من الغنائم والاموال والخيل والسروج والسلاح والخلع وغير ذلك ما لا يحصى عدده كثرة، فأبقى أبو عبد الله هذه الغنائم لأصحابه.

## من المعلم الى المنظم

ومنذ ذلك الوقت بدأت صفحة جديدة في تاريخ دعوة أبي عبد الله، إذ تحول من دور "المعلم" الى دور "المنظم"، فاستقر ببلدة تازروت واتخذها "دار هجرة" على غرار المدينة زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وابتنى فيها قصراً، وأقطع كبار رجال دعوته قطائع فيها، وفيها استقبل الأعداد العظيمة من ابناء القبائل الذين اتوا اليه من كتامة وغيرها طالبين الدخول في الدعوة رغبة او رهبة، وقد بدا ظاهراً للعيان أن مقادير الأمور تسير في اتجاهات جديدة في المغرب.

وانصرف أبو عبد الله لتنظيم المجتمع الكبير الجديد، فقسم أنصاره "الأولياء" في سبعة أقسام، على رأس كل قسم رئيس يلقب بالشيخ، هو مسؤول عن جميع قضايا مجموعته، وخاصة من الناحيتين التعليمية والعسكرية، وان ظل ابو عبد الله المرجع الاخير في هاتين الناحيتين وفي غيرهما أيضاً، فظل يعقد مجالس الوعظ والتعليم، ويحض "الاولياء" على الصلاة والصيام وإتيان الفضائل واجتناب الرذائل، فاذا قصر أحدهم في واجباته، أو ارتكب معصية، عاقبه عقاباً شديداً قد يصل الى حد النبذ والعزل والاقصاء عن المجتمع، بل قد يبلغ حد القتل. وكان أبو عبد الله يتعمد ان يقوم الاخ او الاب بقتل أخيه او ابنه اذا أجرما، فيكون ذلك أشد لهما، وأقوى عبرة لمن شهدهما من هنا عم الأمن بلد تازروت وانتشرت روح التعاون بين "الاولياء". وكان أبو عبد الله نفسه في تصرفه قدوة لكل "الأولياء"، اذ ظل على تواضعه وبساطة ملبسه ومشربه ومركبه، ورفض أن يأخذ شيئاً من الغنائم والسبي، ولم يتزوج سوى أمرأة واحدة، ولم يعرف عنه أي مخالفة للقواعد التي سنها لأصحابه.

وبعد أن استقر أبو عبد الله وأصحابه بتازروت، اخذوا يشنون الغارات على كل من لم يوالهم من القبائل والمدن، وذلك ابتداء من سنة ٤٨٩. ففي تلك السنة فتحوا مدينة ميلة، وبعد ذلك هزموا جيشين أرسلهما الأمير الاغلبي، ثم فتحوا مدينة سطيف، وهزموا جيشاً ثالثاً أرسله الأغلبي، وبعد ذلك توالت الانتصارات فسقطت طبنة ثم بلزمة ثم تيجس ثم باغاية ثم قسطيلية ثم قفصة بأيديهم وإزاء هذا وجد آخر الأغالبة، واسمه زيادة الله بن الأغلب، نفسه مجبراً على الانطلاق لمحاربة هذه الجماعة، فنزل بالأربس، وفيها بعد وقعات عديدة كانت الهزيمة النهائية للأغالبة والنصر النهائي لجماعة أبي عبد الله. اما زيادة الله فانه هرب من افريقية الى المشرق، وأما أبو عبد الله فانه دخل رقادة ثم القيروان في شهر رجب من عام ٢٩٦، وبعدها سافر الى سملجاسة حيث كان الامام الاسماعيلي عبيد الله المهدي مسجوناً، فاخرجه من سجنه، وأتى به الى القيروان في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٧، وأعلنه الامام المهدي الحق من اهل البيت، وبهذا التاريخ بدأ تاريخ دولة جديدة في افريقية والمغرب (ثم مصر) هي الدولة العبيدية أو الدولة الفاطمية.

## نموذج تاريخي

تلك كانت الخطوات التي سارت بها الحركة الثورية الاسماعيلية منذ بدء انطلاقها حتى نجاحها في تأسيس الدولة البديل للنظام القائم في افريقية والمغرب. ولا يهمنا في هذا المقام كون "الامام" قد تخلص من "الداعي" أبي عبد الله بأن قتله بعد عام واحد من جلوسه في سدة "الخلافة"، وإنما يهمنا ان الدارس يمكنه ان يرى في مسار الدعوة "نموذجاً" تاريخياً لعله قابل للتكرار ـ بحسب نظرية ثوكيذيذس ـ نموذجاً يطرح عدداً من "القواعد" للحركة الثورية المسلحة بشكل عام.

فمن القواعد الاساسية التي تطرحها الدعوة العبيدية الاسماعيلية ان الركن الأساسي الذي يضمن للتحرك الثوري نجاحه وجود القائد الملائم على رأسه. هذا القائد يجب ان تتوفر فيه صفات عديدة، أهمها الايمان التام بما يدعو اليه عقلا وروحاً، وقولا وعملاً، والتفرغ الكامل للدعوة، بحيث لا يشغله عنها اي شاغل، بما في ذلك مصلحته الشخصية. ويوحي الى تاريخ الدعوة العبيدية الاسماعيلية ان قيادة الدعوة تعتمد الى حد بعيد على كون القائد مؤهلا بالطبيعة لتسلم



■ موكب في شارع بالقيروان

مهام" القيادة، يتوفر فيه الذكاء الحاد والقدرة على اجتذاب الناس وسحرهم وشدّهم اليه، إلا انه لا بد ان ينضاف الى هذه "الموهبة الطبيعية" "تربية" على القيادة و"تدريب" عليها، وذانك أمران يؤتيان خير ثمارهما عندما يتعلم القائد المنتظر أساليب قيادة الدعوة بشكل عملي – لا نظري – لدى احد من سبقه من الناجحين في "المهنة" نفسها، كما فعل أبو عبد الله الشيعي في الفترة التي قضاها باليمن لدى الداعي المنصور ابي القاسم بن حوشب.

على ان الداعي المتوقع – شأنه شأن أبي عبد الله – عليه أن يتخذ من فترة التدريب العملي "منظاراً" للعمل الدعاوي المنظم، يفيده في تحديد "الاطار" الذي يمكنه ان يمارس عمله داخله دون ان "يقيده" بصيغ ضيقة جامدة للعمل في المستقبل، اذ عليه – أيضاً شأنه شأن أبي عبد الله – ان يظل محتفظاً بحرية الحركة والقدرة الفائقة على التكيف مع ظروف المجتمع الذي سيقيم دعوته فيه، تلك الظروف التي قد تكون مخالفة لظروف المجتمع الذي نال تدريبه فيه.

ويـدل تاريـخ الحركـة الاسماعيليـة العبيديـة بالمغرب أنه لا بدّ من توفر ركن أساسي ثان يضمن للحركة النجاح، وذلك هو وحدة العقيدة التي تدعو اليها، فان هذه الوحدة هي التي تشكل "الرابط" الرئيسي بين الأفراد المنضمين للدعوة ـ بعد رابط القائد ـ وتشدّهم بعضهم الى بعض، وتميزهم عن غيرهم ممن يعايشونهم في مجتمعهم. وقد كان أبو عبد الله على وعي بأهمية هذا الركن، وحيث انه بنى دعوته على عقيدة دينية معينة، فانه صرف الجزء الأكبر من وقته خلال الدعوة، وخاصة في السنوات الاولى منها، يعلّم الناس أسس هذه العقيدةالدينية، ويبين لهـم حدودهـا، ويحضهـم على التعامل فيما بينهم بمبادئها، ويتصرّف هو نفسه أيضاً على ضوء ما تمليه هذه المبادىء نفسها. وبهذه الطريقة استطاع ابو عبد الله ان ينشىء نوعاً عميقاً من "التجانس" بين افراد الدعوة، وتلك حال زادها رسوخاً قيام أبي عبد الله بمنحها "رموزاً" لفظية ذات وظيفة معنوية هامة، مثل قيامه بتسمية المنضمين للدعوة بألفاظ مميزة كـ"المؤمنين" و"الأولياء"، وفرضه ان يخاطب الواحد منهم الآخر بتعبير "يا أخانا" بغضّ النظر عن المكانة الاجتماعية التي يحتلها الواحد منهم دون الآخر، وكأن الانضمام للدعوة يشكل "نَسَباً" جديداً، "هوية" جديدة تربط أفرادها بعضهم ببعض بقدر ما تفصلهم عن سائر الافراد في مجتمعهم.

## سرية الحركة

وعلى الحركة التي تبغي النجاح في خاتم المطاف ان تعتمد الكتمان او السرية في تحركاتها الأولى وذلك خدمة لهدف أساسي هو عدم انكشاف أمرها من قبل النظام القائم ومن ثَمّ القضاء عليها وهي بعد في المهد. ويمكن الوصول الى الحرص على هذه السرية لدى الافراد المنضمين للحركة عن طريقين، الأول: إثارة غريزة الفضول والتشوّق الى المعرفة في الناس، والثاني: تغذية احساس الناس بالتفرّد. ولا شك ان هذه الامور كلها كانت مما وضعه أبو عبد الله في حسبانه، فانه بدأ بنشر دعوته ضمن حدود ضيقة للغاية لا تتجاوز عدداً معيناً من رجال العائلات الكتامية، وعندما باشر تعليم هؤلاء الرجال، اخذ بعين الاعتبار اختلافهم الطبيعي في الاستعداد لتلقي العلم وكتمانه معاً، فأقام لديهم ما يشبه "السلـم التدريجي" في العلم، يكشف لبعضهم جانباً من علوم الدعوة، ويكشف لغيرهم قدراً أكبر من هذه العلوم، وهكذا. فاذا وصل أحدهم الى أقصى ما يمكن الوصول اليه في العلوم، اخذ عليه عهداً بالكتمان، ورمز له بوضع الاصبع على الفم، فاذا سأله بعضهم عما تلقاه من العلوم أجابه: "ابلغ توقن"، وذلك ليس تدريباً على السرية وحسب وإنما فيه ايضاً حثّ للآخرين على الوصول الى نفس الدرجة العلمية، اذ إن مثل هذا التعبير يثير غريزة الفضول لدى الناس ويشوّقهم الى المعرفة أكثر. كذلك كان أبو عبد الله يرسل افراد دعوته في مهمات خارج بلده، وفي تلك الحال يلحّ على ضرورة محافظتهم على سرّية مهمتهم، فلا يعرف عنها أي شيء لا أهلهم ولا أصحابهم ولا أولادهم، فكان أصحابه يطيعونه في ذلك طاعة عجيبة، وما ذلك الا لاحساسهم بتفرّدهم بين إخوانهم في الدعوة، وكأن في إيكال مهمة خارجية معينة لهم تقديراً خاصاً لهم من جانب الداعي. وبهذه الطريقة استطاع أبو عبد الله أن يعمل في الخفاء مدة سنوات، فلم يهتد اليه احد من أعوان النظام القائم إلا بعد أن اشتدت شوكته وقويت دعوته.

على أن عاملا آخر ساعد أبا عبد الله على العمل بمنأى عن أعوان الدولة القائمة وذلك هو اختياره الريف لا المدينة منطلقاً لدعوته. ولا شك ان هذا الاختيار لم يحدث بشكل عشوائي وانما كان أمراً خطط له أبو عبد الله وهو بعد يسير مع قافلة الحجاج الكتاميين من مكة الى مصر، ثم من مصر الى افريقية. وعلى هذا الضوء يجب ان يفهم الدارس اسئلته عن بلاد كتامة للكتاميين، وقد فهم أبو عبد الله من أجوبة هؤلاء الكتاميين ان سلطان الدولة المركزية (دولة الاغالبة) أشدّ في المدن منه خارج المدن، فكان أن قرّر ان ينشر دعوته في الريف وأن لا يتقدم الى المدن إلا بعد ان تكون دعوته قد اشتدت. وقد برهنت الأحداث على أن أبا عبد الله كان مصيباً في تصوّره، ولقد أتاه الخطر الكبير الأول من أقرب المدن الى ريف دعوته، من مدينة ميلة.

على أن الريف كان يحتوي على طاقة جيدة اخرى مناسبة لدعوة أبي عبد الله وتلك هي الطاقة البشرية. فسكان الريف يختلفون عن سكان المدن في أنهم غير مرتبطين ارتباطاً مباشراً ـ من حيث المصلحة ووسائل الحياة ـ بالدولة القائمة، ومن ثَمّ فان سيطرة الدولة عليهم تكون سيطرة ضعيفة ـ نسبياً ـ ونشر الدعوة بينهم قد يطول أمره قبل ان تكتشف الدولة مدى خطره عليها. كذلك يحتوي الريف على عدد من السكان أكبر من عدد السكان في المدن مجموعة معاً، رغم كون الكثافة السكانية في المدن أعلى منها في الريف، وذلك لان الريف يشكل القسم الاكبر من البلاد بينما عدد المدن فيها قليل نسبياً. فاذا أضفنا الى ذلك كون اهل الريف القبليين أكثر شجاعة وإقداماً وقدرة على القتال من اهل المدن، نظراً لاعتيادهم الدفاع عن أنفسهم بأنفسهم مقابل اعتياد أهل المدينة الاعتماد على الشرطة للدفاع عن أنفسهم ـ إذا أضفنا ذلك الى صورة الريف وضح لنا لماذا اختار أبو عبد الله الريف الكتاميّ من دون المدينة للانطلاق بدعوته، منذ ان تسمّع الى وصف الكتاميين له وهم معه في الطريق اليه.

ولعل هناك سبباً آخر دعا أبا عبد الله الى الاتجاه للريف بدلا من المدينة، وذلك هو كون أهل الريف ـ على وجه الاجمال ـ أقل رسوخاً في العلم من أهل المدينة، فالمدن كانت على مر الزمان ـ ولم تزل ـ المراكز الاساسية للعلم، يعمل كثير من أهلها في مختلف فروعه، وبعضهم يبلغ فيه درجات عالية، ومنهم تأخذ الدولة موظفيها، وكانت الدعوة العبيدية الاسماعيلية تقوم على لون من ألوان العلوم الدينية، تلك العلوم التي كان لها شأو كبير في مدائن أفريقية والمغرب وعلى رأسها القيروان وميلة. فكان على صاحب الدعوة ـ أبي عبد الله ـ ان يأخذ بعين الاعتبار مدى رسوخ من يدعوهم الى الدعوة في العلوم الدينية، ومن هذه الناحية يشكل سكّان الارياف عنصراً أصلح للدعوة من سكان المدن، إذ يمكن للداعي ـ القائد ـ أن يزرع في نفوسهم أي شيء من العلم شاء، لخلو تلك النفوس تقريباً مما يمكن ان يواجه به الداعي من رفض، على العكس من سكان المدن. ومن هذه الناحية بالذات كان الريف أنسب لأبي عبد الله في دعوته من المدينة، وهذا أمر يؤكده قول ابراهيم ابن أحمد الأغلبي لأبي عبد الله مع رسوله انه لجأ الى "برابرة جهال طغام"، وقول رؤساء كتامة من المعادين لأبي عبد الله انهم لا يستطيعون أن يغلبوه في المناظرة لأن اصحابهم من الكتاميين الريفيين لا يرقون الى معرفته بالجدل والمناظرة. كذلك يؤكد هذا الأمر كون أبي عبد الله قد قرر نهائياً القبول بالذهاب الى المغرب مع حجيج كتامة بعد أن أخبروه أنه ـ بعمله ـ يستطيع أن يعلّم شيوخ كتامة فضلاً عن صبيانهم. فاذا تذكرنا قول القاضي النعمان ـ وهو اسماعيلي حريص على سُمعة الدعوة ـ ان أبا عبد الله كان يأخذ من علم الظاهر بقليل ـ يعني الفقه ـ وتذكرنا بساطة الحياة الريفية لدى كتامة ـ من فلاحة وزرع ورعي وإغارة ـ وعدم حاجتها الى التشريع المعقد حاجة المدن الى ذلك ـ إذا تذكرنا هذا كله قدّرنا أن أبا عبد الله كان على وعي تام بمدى النقص في "العلم" لدى من توجه اليهم بدعوته من سكان الريف، فاستغل هذا النقص، وقرّر أن الريف أخصب تربة لدعوته، وكان محقاً فيما قدّره دون ريب.

كذلك يلحظ من يتتبع تطوّر الدعوة على يد أبي عبد الله انه بدأ بها ومعه فريق صغير من رؤساء كتامة صادف وجوده في الحج اثناء وجود أبي عبد الله فيه. أما فيما بعد، فان أبا عبد الله ركز جهوده على استمالة عامة كتامة على وجه الخصوص، وهذا يدل على وعي أبي عبد الله بالأبعاد الاجتماعية الاقتصادية لدعوته، بمعنى أنه كان على وعي بأن دعوته تشكل عنصراً "خطراً" على "سيادة" مشايخ القبائل الريفية، وهنا أيضاً كان أبو عبد الله محقاً في تصوّره، إذ أدرك أن المصالح الاقتصادية والاجتماعية لهؤلاء الرؤساء لا تلبث أن تجد في مصالح موظفي الدولة من الامراء والولاة، الاقتصادية والاجتماعية ما يوحدها، فتنبو عن تأييد الدعوة، وعلى هذا الأساس يجب أن نفسر اجتماع ولاة ميلة وسطيف وغيرهما مع رؤساء كتامة ضد دعوة أبي عبد الله. ان الحركة الثورية يجب ان تصل الى بسطاء الناس ممن هم ذوو مصالح مختلفة عن مصالح أصحاب الدولة لكي تنجح في تقويض دعائم الدولة القائمة.

بقي أن نذكر ان تاريخ الدعوة العبيدية الاسماعيلية يدلنا على ان "التوقيت" أمر هام في الحركة الثورية، توقيت خروجها من السرية الى العلن، ومن التحرك الخفي الى التحرك الظاهر، ومن التحرك السلمي الى التحرك العسكري. ولذلك فان كل حركة ثورية تود ان تنتصر يجب ان يتميز قادتها بالصبر وحسن التقدير فلا يقدمون على التحرك المسلح قبل الأوان، وانما ينتظرون حلول الظروف المناسبة، لدى اعدائهم ولدى المنضمين اليهم، قبل ان يباشروا الصدام المسلح. ولم يقم أبو عبد الله بتحويل الدعوة الى حركة عسكرية الا بعد أن ضمن كثرة المحاربين لديه، وضمن حسن تسلحهم، وحسن تنظيمهم، وتأكد لديه تشرّبهم بالدعوة ومبادئها، واستقتالهم بالدفاع عنها حتى الموت. ان هذا الأمر قد يحتاج الى صبر طويل، ولكن الصبر هو اضعف الايمان بالنسبة لأي قائد لأي حركة ثورية. ولنذكر ان أول فتوحات أبي عبد الله ـ فتح ميلة ـ تم بعد تسع سنوات كاملة من العمل المضني الجاد الصبور (من ٢٨٠ الى ٢٨٩).

ان قيادة الحركة الثورية التي تريد تغيير نظام الحكم القائم بنظام بديل موال لها ليس بالامر البسيط السهل، والكثير يعتمد على حسن تصوّر قائدها للموقع الذي يحتله. ويستنتج من تاريخ الدعوة العبيدية الاسماعيلية في افريقية والمغرب ان قائد الحركة الثورية يجب أن يكون مؤمناً بمبادىء دعوته، متفرغاً لها، موهوباً مدرّباً معاً لقيادتها، كما سبقت الاشارة، الا انه يجب ان يتميز ايضاً بذكاء شديد، وفراسة خارقة، يقدّر بهما الظروف، ويفهم النفسيات، ويعرف متى يتحرك بصمت ومتى يتحرك بجلبة، والى أين يتوجه بدعوته، وكيف يستجلب الناس اليها، وكيف يصبر الصبر الطويل قبل أن تؤاتية الفرصة للهجوم. إن هذا عمل شاق للغاية، ولا يكاد يقدر عليه غير الأفذاذ من الرجال، وكان ابو عبد الله احد هؤلاء الأفذاذ، وفي تاريخه عبرة لمن يريد ان يعتبر، ولمن يريد أيضاً أن يرى صورة من التاريخ الحديث في لباس التاريخ القديم. ■



كيف كانوا منذ مئات السنين يرصدون النجوم صورة للفنان Thevet

# "الشرق الاوسط"

## هكذا سموه في اوروبا الغربية

# "ومركز العالم"

## هو اسمه الحقيقي

د. ارنولد توينبي

■ ارنولد توينبي: ولد البروفسور أرنولد جوزيف توينبي في اليوم الرابع عشر من ابريل عام ١٨٨٩، وتعلم في ونشستر، ثم التحق بكلية باليول بجامعة أكسفورد حتى عام ١٩١٥، ثم عمل بالوظائف الحكومية في أعمال خاصة بالحرب من ١٩١٥ - ١٩١٩ وشارك في مؤتمر السلام الذي انعقد باريس عام ١٩١٩، ثم عمل في القسم البريطاني الخاص بالشرق الأوسط ومدرسا للغة البيزنطية والأغريقية الحديثة في جامعة لندن (١٩١٩ - ١٩٢٤) ثم مديرا لقسم البحث الأجنبي والصحافة.

ثم مديرا للمعهد الملكي للشؤون الخارجية (١٩٣٩ - ١٩٤٣) فمديرا للمكتب الأجنبي من (٤٣ - ٤٦) ثم عضوا في بعثة المفاوضات في مؤتمر السلام بباريس عام ١٩٤٦، وعمل أستاذاً للبحث في التاريخ العالمي في جامعة لندن واستقال في ١٩٥٥.

■ منذ ابتكار الزراعة كان المكان الطبيعي للشرق الأوسط في العالم مكاناً مركزيا .

فجميع الزراعات ابتكرت في الشرق الأوسط، ومنه انتشرت إلى جميع أطراف العالم القديم، ويجب، دون شك ألا نجاوز الحدود في ما يتعلق بأهمية الشرق الأوسط أو العالم القديم على السواء .

فمن المحتمل أنهم في العالم الجديد وفي حضارته السابقة على كولمبس قد ابتكروا الزراعة ابتكاراً مستقلا تماما عنا في العالم القديم .

وحتى في العالم القديم كانت هناك بعض المحاصيل مثل الأرز وبعض الفاكهة التي ربما لم تنشأ في الشرق الأوسط، غير أن جميع محاصيل العالم القديم من الحبوب، في ما عدا الأرز، قد زرعت أول ما زرعت في الشرق الأوسط .

وعلى هذه المحاصيل عاش الملايين ومئات الملايين من بني البشر ونشأ ما أسفرت عنه زراعتها من ظروف اقتصادية واجتماعية بالغة الأهمية عظيمة الخطر . ولقد أتاح هذا للشرق الأوسط أن يتقدم على بقية العالم القديم ويسبقه بزمن طويل .

وهذه البداية التي حققها الشرق الأوسط بابتكاره الزراعة قبل أي جزء آخر من أجزاء العالم القديم عجل بها حدث هائل مفاجىء في التاريخ الجيولوجي، فكوكبنا، وهو انتهاء العصر الجليدي . وإني أقول انتهاء العصر الجليدي وربما كان يجب أن أكون أكثر حذراً فأقول: آخر فترة من العصر الجليدي . ذلك أن العصر الجليدي ظاهرة متكررة . وربما كنا نعيش الآن في فترة قصيرة دافئة بين مرحلتين من العصر الجليدي . ولو أن العصر الجليدي عاد ثانية إلى الصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية ووسط آسيا فسوف تصبح هذه الاراضي خضراء مرة أخرى وبدلا من أن تكون مصر مجرد شريط أخضر منعزل تحيط به الصحراء من كل جانب فسوف تصبح محاطة بالأشجار والعشب مرة أخرى .

## دور مهم

وهذه البداية الاجتماعية والاقتصادية التي حصل عليها الشرق الأوسط عن طريق ابتكاره للزراعة أعطته دورا بالغ الأهمية في تاريخ العالم القديم منذ انتهاء آخر فترة من فترات العصر الجليدي التي يرجع تاريخها على ما اعتقد إلى حوالي تسعة آلاف أو عشرة آلاف سنة مضت . وإذا كان المرء يفكر على أساس عمر الفرد من بني البشر فإن أي حقبة تاريخية من أي قرن تقريباً تكون طويلة لأن فترة نضوج عمر الفرد قصيرة للأسف . ولكننا إذا فكرنا على أساس عمر الجنس البشري كله فإن تسعة أو عشرة آلاف سنة حتى الآن تعتبر فترة أقرب

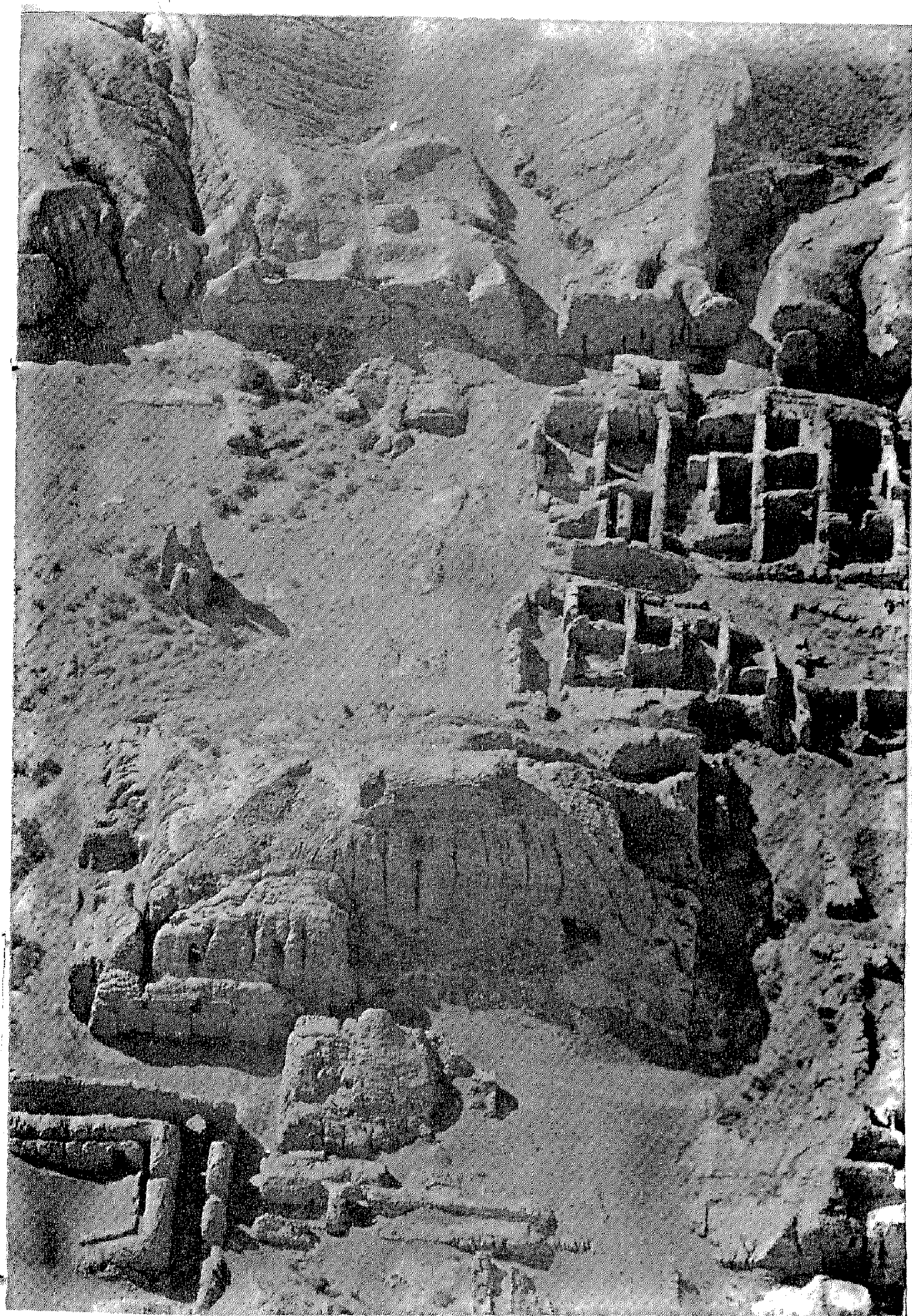


إلى أن تكون قصيرة . ويختلف العلماء اختلافاً شديداً في تقديراتهم لعمر الجنس البشري . فأقل التقديرات يصل إلى حوالي مائتي الف عام بينما يصل أكبر التقديرات إلى حوالي مليون عام . فهل لنا أن نأخذ بتقدير وسط بين الاثنين فنقول إن الجنس البشري وجد منذ نصف مليون عام على الأقل ؟

وبالمقارنة فإن نسبة عشرة آلاف سنة إلى خمسمائة ألف سنة هي ٢٪ فقط من طول المدة التي وجد فيها الجنس البشري فوق هذا الكوكب حتى الآن . ويقول لنا العلماء أيضاً أننا إذا لم نقض على الجنس البشري في عصرنا الحاضر ـ ونحن نعلم أننا نواجه خطر وضع نهاية للتاريخ عن طريق تدمير أنفسنا ـ إذا نحن لم نفعل ذلك فإن العلماء يقولون لنا إن مستقبل بقاء الجنس البشري على هذا الكوكب أطول بكثير جداً من الفترة التي عاشها فوقه حتى الآن . وأظن أن من رأي العلماء أن هذا الكوكب يمكن أن يستمر مأهولا بالجنس البشري مدة ألفي مليون سنة أخرى إذا نحن لم ندمر أنفسنا .

وأخشى إذا أردت أن أحول هذا إلى نسب عشرية مفهومة أن تخذلني قدرتي على الحساب . ولكنني أعتقد أن العشرة آلاف سنة التي مضت منذ ابتكار الشرق الأوسط للزراعة تساوي فقط نحو ١٠٠٠٠٥ من الدقيقة بالنسبة لمستقبل الجنس البشري ومع ذلك فإن العشرة آلاف سنة وخاصة الخمسة آلاف سنة الماضية لها أهميتها البارزة بالقياس الى الأهمية العظمى لما حققته الانسانية حتى يومنا الحاضر وإن الخمسة آلاف سنة الماضية خاصة تعتبر الفترة الطبيعية التي لعب فيها الشرق الأوسط دوراً له أهميته الأولى العظمى في تاريخ الجنس البشري .

وربما لم يكن الشرق الأوسط هو المنطقة الأولى بالنسبة لمجالات النشاط والاكتشافات الانسانية في الفترة السابقة علينا مباشرة أي في آخر فترة من



☐ حفريات مدينة "ينبور" القديمة في بلاد ما بين النهرين في الالف الثاني والثالث قبل الميلاد .

العصر الجليدي. وربما كانت أفضل منطقة للحياة الانسانية في الوقت الذي كانت منطقة شبه جزيرة اسكندناوه وشمال روسيا ترزح فيه تحت غطاء الجليد... ربما كانت أفضل منطقة للحياة الانسانية إذ ذاك هي شمال أوروبا ووسط روسيا.

ذلك أن تلك المنطقة هي التي كانت توجد بها معظم الحيوانات الصالحة لصيد الانسان.

وربما يكون الانسان الذي عاش على الصيد في أوروبا وروسيا في العصر الحجري التالي قد تقدم على الانسان الذي عاش على الصيد في شمال افريقيا وجنوب غرب آسيا.

ولكن مهما يكن من أمر ففي تقديرنا أن العصر الحجري والعصر الحجري المتأخر بما خلفه لنا من نقوش رائعة في كهوف أوروبا وكهوف شمال أفريقيا وجنوبها: يعتبر فصلا أقل أهمية في التاريخ البشري من وجهة نظرنا بالنسبة للعصر الحجري الجديد وما بعد العصر الحجري الجديد. وهو العصر الذي نعيش نحن أنفسنا فيه الآن. وربما تعطى النظرة الشخصيه من وجهة النظر الفنية لا العصر الحجري المتأخر تقديراً أعظم من التقدير الذي تعطيه للعصور اللاحقة. ونحن قد نشاء بالمقارنة الى العصر الحجري عصراً يتميز بتفوق التكنولوجيا ولكنه ربما يكون أقل تفوقا من ناحية الفنون. ومهما يكن من أمر فإن هذا هو العصر الذي نعيش فيه الآن.

## الشرق الاوسط

وكلمتا "الشرق الأوسط" مشحونتان بالتاريخ والأهمية: ونحن نقصد بالشرق الأوسط طبعا الهلال الخصيب الذي يمتد من مصر الى جنوب غرب آسيا حتى العراق والخليج العربي.

ولقد مر الاقليم الذي يلقى عليه هذا الاسم بمرحلة أخيرة مؤقتة لم يكن فيها بمثابة المركز الذي هو موضعه الطبيعي بالنسبة للعالم.

ذلك أن كلمة الشرق الأوسط لا تحمل معنى إلا بالنسبة لغرب أوروبا. فهي بمعناها الحالي تعني أن غرب أوروبا في موضع مركزي بالنسبة للعالم وأن الاقاليم الأخرى يجب أن يحدد موضعها على هذا الاساس. فالشرق الأدنى والشرق الأوسط والشرق الاقصى كلها أقاليم حدد موضعها وسميت هكذا بالنسبة لأوروبا وليس بالنسبة لمركز العالم أي الشرق الأوسط.

ولقد جاء الوقت الذي تمتع فيه أخيراً غرب



رسم لأول انسان [illegible] التاريخ [illegible]

أوروبا على المحيط الأطلنطي بمركز ذي اهمية بارزة مؤقتة. وقد نتجت هذه الأهمية من ابتكار توصل اليه البرتغاليون هو فن الملاحة في المحيط، توصل إليه بناة السفن البرتغاليون والأسبانيون في القرن الخامس عشر الميلادي.

وقد صح هذا الغزو للمحيط الذي شاركت فيه بقية الشعوب الأوربية غرب أوروبا تفوقا على العالم ككل لأنه إذا ما استطاع الانسان أن يغزو المحيط فإن ذلك يفتح أمامه السبل للكشف عن وجه هذا الكوكب جميعه. وحتى مدة متأخرة بدا ان تحول القوة هذا مما يسمى بالشرق الأوسط إلى غرب أوروبا هو تحول دائم مثل التحول الثوري للقوة في الفترة الأخيرة من العصر الجليدي من أوروبا وروسيا إلى الشرق الأوسط. ومع ذلك فإن التقدم التكنولوجي يمضي بخطى سريعة. ونتيجة لهذا التقدم التكنولوجي فقد ثبت أن صعود غرب أوروبا وتفوقها في العالم لم يستغرق فترة أطول مما استغرقه عصر السفينة الشراعية وقد انتهى من الوجود في أوائل القرن التاسع عشر عهد السفينة ذات الأشرعة الثلاثة التي اخترعها البرتغاليون في القرن الخامس عشر والتي أبحر بها سكان غرب أوروبا إلى الأمريكتين وحول جنوب أفريقيا في رحلة متصلة إلى الهند. وحدث انتهاء عهد السفينة الشراعية بسبب منافسة وسائل النقل الميكانيكية الجديدة لها.

ومنذ انتهاء عصر السفينة الشراعية بدأ تفوق أوروبا يكتسب وزنه. وقد حلت محل السفينة الشراعية خلال القرن الأخير مخترعات ميكانيكية جديدة عديدة مثل السكك الحديدية والسيارة وأخيراً الطائرة ومن الواضح أن وسائل النقل الحديثة هذه أسرع وأقوى من السفينة الشراعية ولكن هذه الوسائل للنقل كلها تعتبر أقل شأناً من السفينة الشراعية نظراً لنقطة على أقصى درجة من الأهمية وبمعنى تكنولوجي غاية في الأهمية أيضاً. فالسبب الذي من أجله استطاع سكان غرب اوروبا أن يكونوا سادة على المحيط هو أن السفينة الشراعية كانت تستطيع أن تمخر عباب البحار شهوراً عديدة دون ان تحتاج للعودة إلى الميناء.

ومقابل هذه الصفة للسفينة الشراعية فإن جميع وسائل المواصلات والنقل التي تسير بقوة الدفع الميكانيكي في البحر أو البر لا بد لها من التزود بالوقود على فترات قصيرة.

وأعتقد أن آخر وسائل المواصلات هذه وهي الطائرة بخلاف القطار والسفينة لا تستطيع أن تعتمد على نفسها ولا بد لها من قدر عظيم من التوازن حين لا تكون على الارض ومعنى ذلك أن وسائل المواصلات الميكانيكية هذه قد دعمت الميزة التي كانت تتمتع بها السفينة الشراعية وهي ميزة الاستقلال نسبيا في اعتمادها على الأرض. وعلى هذا الأساس فإن ذلك يعني أيضا أن السياده على المحيط لم تعد هي مفتاح السيادة على العالم لأنه من الضروري أن تتزود القطارات والسيارات والطائرات بالوقود على فترات من محطات في البر.

## عودة من جديد

ومعنى ذلك مرة أخرى، أن التفوق في العالم كما أعتقد يرتد الآن من غرب أوروبا إلى الشرق الأوسط. ونتيجة لذلك فإن اسم (الشرق الأوسط) يقل استخدامه أكثر فاكثر. ثم إن عادة تحديد أماكن أقاليم العالم بالنسبة إلى غرب أوروبا تندثر الآن بشدة بعد أن رحل الأمريكيون شرقا واستخدموا اسم (الشرق الأدنى) ليعبروا به عن غرب أوروبا، وإن كانوا في الواقع حين يستخدمون اسم الشرق الأدنى إنما تنصرف الأذهان إلى الشام شرق البحر الأبيض المتوسط. ويتندر الاستراليون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فيقولون: إننا حين نقول الشرق الأقصى إنما نقصد الشمال القريب بالنسبة لنا. ذلك أنه من خلال الحرب العالمية الثانية وصلت الجيوش اليابانية حتى مسافة قريبة من شاطىء استراليا.

وجعل هذا الاستراليين يدركون إلى أي حدّهم قريبون من آسيا. غير أنهم لما كانوا قد قدموا من انكلترا فإنهم لا يزالون يتحدثون بلغة غرب أوروبا. وهم حين يتحدثون عن الشمال الأدنى بالنسبة لهم يقولون الشرق الأقصى قاصدين الصين واليابان، ولكنهم يرون أن هذا أمر أقرب إلى السخف.

## بين القاهرة وبيروت!

وقبل أن يبتكر البرتغاليون السفن الشراعية عابرة المحيط في القرن الخامس عشر الميلادي، كانت لدى شعوب العالم القديم فكرة صحيحة، كما اعتقد عن مركز العالم القديم أي المركز الحقيقي للعالم في الواقع.

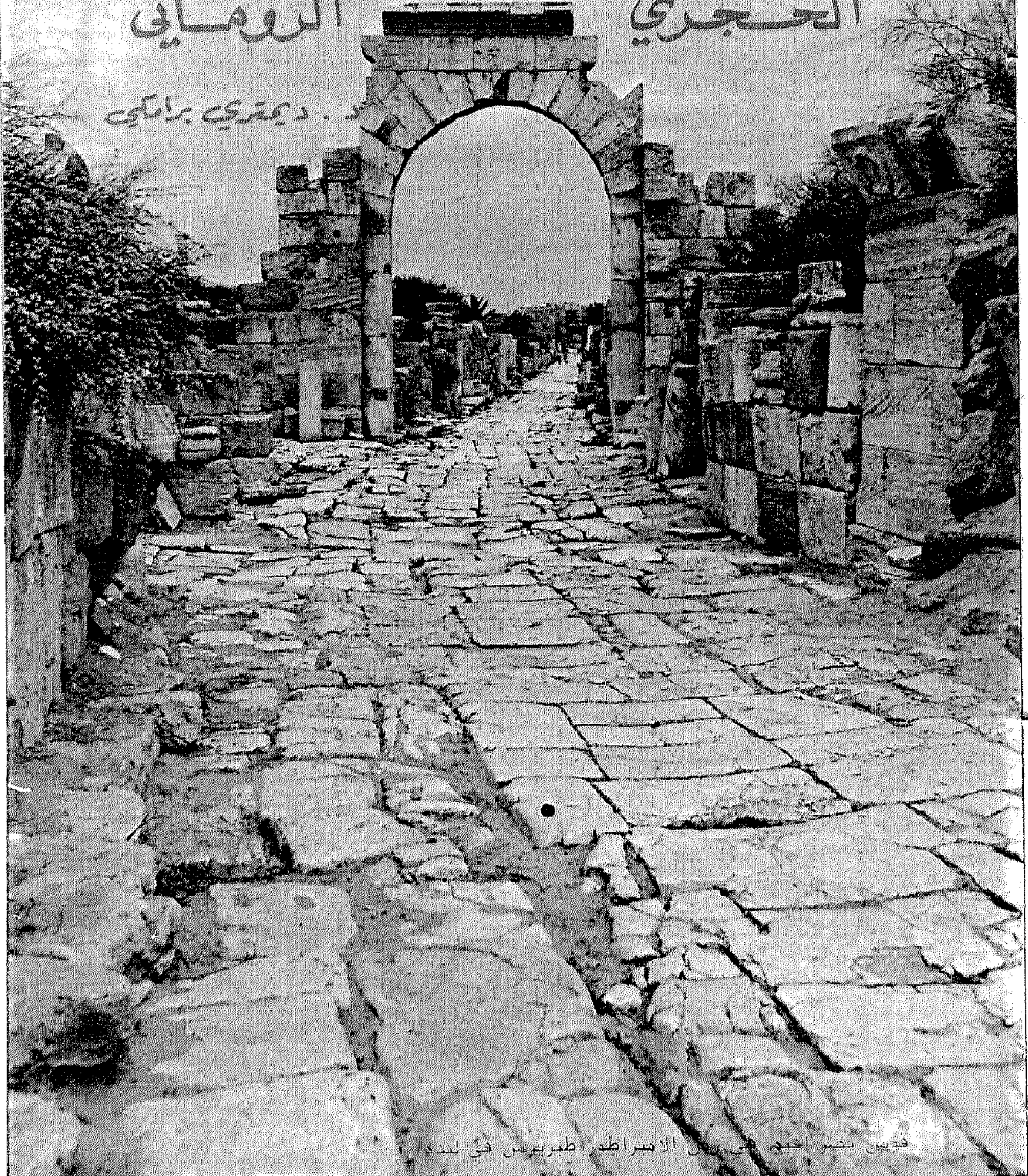
وفي العصور الوسطى كان الناس يفكرون على أساس ديني. فالمسلمون كانوا ولا يزالون يشعرون أن مركز العالم يقع عند مكة في الحجاز. بينما يعتقد المسيحيون رغم كل شيء أن مركز العالم يقع في مدينة أخرى معروفة للمسلمين مثلما هي معروفة للمسيحيين وهي بيت المقدس. وهذه هي خريطة العالم ومركزها الحجاز أو فلسطين.

وعلى الرغم من أن هذا المركز قد تحدد على أساس ديني فالذي حدث هو أن تحديده كان علميا. وإن هذه الخريطة خريطة صحيحة وصادقة تماما. وهي أكثر صحة وصدقاً بدرجة كبيرة بالنسبة لطبيعة الأمور في العالم من الخريطة التي تجعل غرب أوروبا مركز العالم. ولا يزال مركز العالم اليوم في المستوى نفسه. ويجدر بي أن أقدر أن المركز الحقيقي للعالم يتأرجح بين القاهرة وبيروت. ■

# الآثار الليبية

## من العصر الحجري الى العصر الروماني

د. ديمتري برامكي



**الدكتور ديمتري برامكي:** مولود ١٩٠٩ في الاردن، حامل شهادة بكالوريوس آداب من جامعة لندن ١٩٣٤ ودكتوراه بالآثار من جامعة لندن ١٩٥٣، وكانت اطروحته بعنوان "ثقافة وهندسة العهد الاموي"، أمين متحف الآثار بالوكالة في فلسطين ١٩٤٦ - ١٩٤٩ وأمين متاحف الجامعة الأميركية في بيروت منذ ١٩٥١، مثل الجامعة الأميركية في سبعة مؤتمرات للاثريين، في البلاد العربية وفي العالم، رقي الى درجة استاذ آثار في تموز ١٩٥٨.

■ قال سترابو المؤرخ الشهير وواضع اول كتاب عن جغرافية الدنيا ان افريقيا (وهو يعني هنا افريقيا الشمالية التي كانت معروفة لديه) تشبه جلد الفهد المرقط اذ توجد فيها بقاع سوداء مسكونة على ارضية صحراوية بيضاء تماما مثل جلد الفهد. وينطبق هذا التعبير على ليبيا تماما فهناك بقع مأهولة تتخللها مساحات واسعة شاسعة من الصحراء الرملية البيضاء.

في عصور ما قبل التاريخ كانت الفزان مأهولة الى حد ما من قبل جماعات من البشر كما تشهد بذلك الادوات الظرانية او الصوانية التي وجدت بجوار مدينة سبها والتي ترقى الى العصر البليوليثي الادنى. وهذه الادوات من الصناعة المعروفة بالصناعة الاشولية. كما أنه وجدت بعض الادوات التي ترقى الى العصر البليوليثي الاوسط في منطقة سيدي زين ومنطقة بئر قان ووجدت جنبا الى جنب مع الادوات المعروفة بالادوات العاترية نسبة الى بئر عاتر في تونس حيث عثر عليها لاول مرة. وعدا الادوات الظرانية فلقد عثر على بقايا اخرى ترقى الى ما قبل التاريخ وهي العصور المدهونة او المنحوتة على جدران المغاور والصخور في وادي برجوج على بعد ١٥٠ كيلومترا غربي مدينة مرزق وفي جبل بوغنيمة.

على بعد مئتي كيلو متر شرقي مرزق وفي اراكني على بعد خمسين كيلومتراً جنوبي شرقي غات. وفي بوزوما وزنككرا قرب مدينة جرمة وفي زقزا ووادي مسعودة المتفرع من وادي الشاطي على بعد ١٤٠ كيلومتراً شمالي سبها. ويمكن تقسيم هذه الصور الى خمس مراحل تاريخية. ففي المرحلة الاولى وترقى الى ما قبل عشرة الاف سنة تحتوي على صور حيوانات منقرضة مثل الثور القديم بوبالوس انتيكووس والفيلة وذوي القرن الوحيد وحصان البحر (هبوبوتوم المعروف بسيد قشطة عند العامة) وتماسيح وقردة وغزلان وحيوانات برية اخرى ضارية. والمرحلة الثانية وترقى الى ما قبل سبعة الاف سنة هي مرحلة الحيوانات الداجنة مثل الماعز والبقر والخرفان. والمرحلة الثالثة هي مرحلة صور العربات الحربية. وتظهر هذه العربات تجرها الخيول المطاردة. يقول هيرودوت المؤرخ الشهير ان الحرمنتيين كانوا يطاردون العبيد السود على هذه العربات للاستيلاء عليهم وبيعهم في اسواق الرقيق بين القرن الثامن والقرن الثالث قبل الميلاد. والاقوام المعروفة بالتبو حاليا منحدرون من اولئك العبيد. ولا يزالون يعيشون حياة بدائية رغم كل المحاولات التي اجريت حديثا لتحضيرهم او حتى لتعليمهم



السوق في لبدة



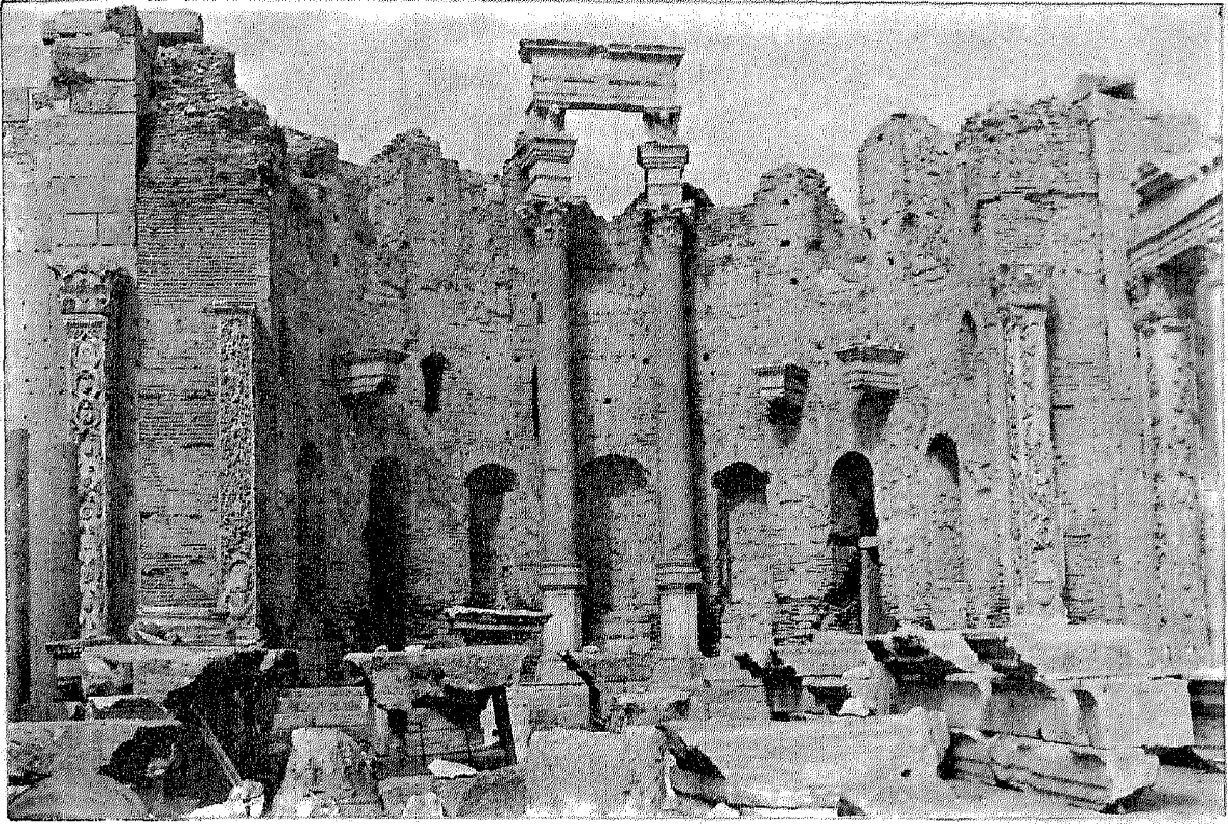
الفورم في لبدة

الزراعة، والمرحلة الرابعة هي مرحلة صور الرجال بشكل مثلثات وزيادة الارجل والايدي، وترقى هذه الصور الى العصر الروماني القديم اي الى ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الاول بعد الميلاد، والمرحلة الخامسة والاخيرة هي مرحلة صور الجمال وترقى هذه الى عهد الامبراطور سبتميوس سفيروس الذي ادخل الجمال الى شمال افريقيا في اواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث الميلادي.

## العصر النيولوثي

والعصر النيولوثي في ليبيا دام مدة طويلة من الزمن ولم تتبعه العصور المعروفة في الشرق بالعصر البرونزي او العصر الحديدي، بقي الانسان الليبي في الفزان يعيش في العصر النيولوثي الى القرن الاول قبل الميلاد عندما توغل الرومان في اواسط افريقيا ونشروا حضارتهم فيها الى حد ما.

اما في برقة فالحالة تختلف تماما، وتشير الدلائل الاثرية الى ان اليونانيين اسسوا مدنا تجارية في توكره حيث عثر على كمية كبيرة من الخزف الذي انتشر من القرن العاشر حتى القرن الرابع قبل الميلاد في بلاد اليونان، وفي العهد الهلنستي اقام البطالسة وحلفاؤهم المدن في تولميتا (تبولميس قديما) وبن غازي (برنيقة قديماً). عثر في تولميتا على قصر هلنستي مزود بالاعمدة كما عثر على ابنية اخرى متاخرة ترقى الى العصر الروماني والعصر البيزنطي ولكن اهم موقع في برقة هو مدينة شحات (سيرينا او كيرينا قديما). جرت في شحات حفريات اثرية منذ اكثر من اربعين سنة اسفرت عن اكتشاف سور مدينة سيرينا ومعبد ابولون في داخلها وكلاهما يرقى الى القرن الخامس قبل الميلاد كما عثر على فورم روماني وعلى عدة مبان مبنية حواليه اغلبها مرصوف بالفسيفساء المتعددة الالوان، كما عثر كذلك على عدد كبير من التماثيل المنحوتة من يونانية ورومانية بما فيها تمثال الثلاث نعم واغلبها آية في دقة الصنع والجمال. وعثر في جوار مدينة شحات على معبد الاله زيوس الذي أحرقه اليهود عندما ثاروا على الرومان في سنة ١١٦ ميلادية.



[illegible] في [illegible] الشرقي.

تقع شحات في الجبل الاخضر على هضبة مرتفعة وتبعد عن البحر حوالي ١٩ كيلومتراً وكانت لها ميناء على شاطىء البحر دعيت ابولونيا قديما وسوسة حديثا. وجدت في هذا المرفأ عنابر لتخزين البضائع هبطت مع الزمن واصبح نصفها تحت مياه البحر. كما وجد مسرح لتمثيل الروايات اليونانية وكلاهما يرقى الى العصر اليوناني. ولكن عثر ايضا على بقايا قصر وبقايا كنيسة يرقيان الى العصر البيزنطي.

اما في منطقة طرابلس فالتراث الروماني اغنى بكثير. اشتهرت في العصر الروماني ثلاثة مدن تجارية هي لبدة (لبقى قديما) وصبراتا وطرابلس (اويا او ايعات قديما) واطلق اسم طريبوليس على المدن الثلاث باسرها ولكن في ما بعد عندما انقرضت مدينتا لبدة وصبراتا اكتسبت مدينة ايعات اسم طرابلس وحدها وتلاشى اسمها الحقيقي القديم ايعات او اويا.

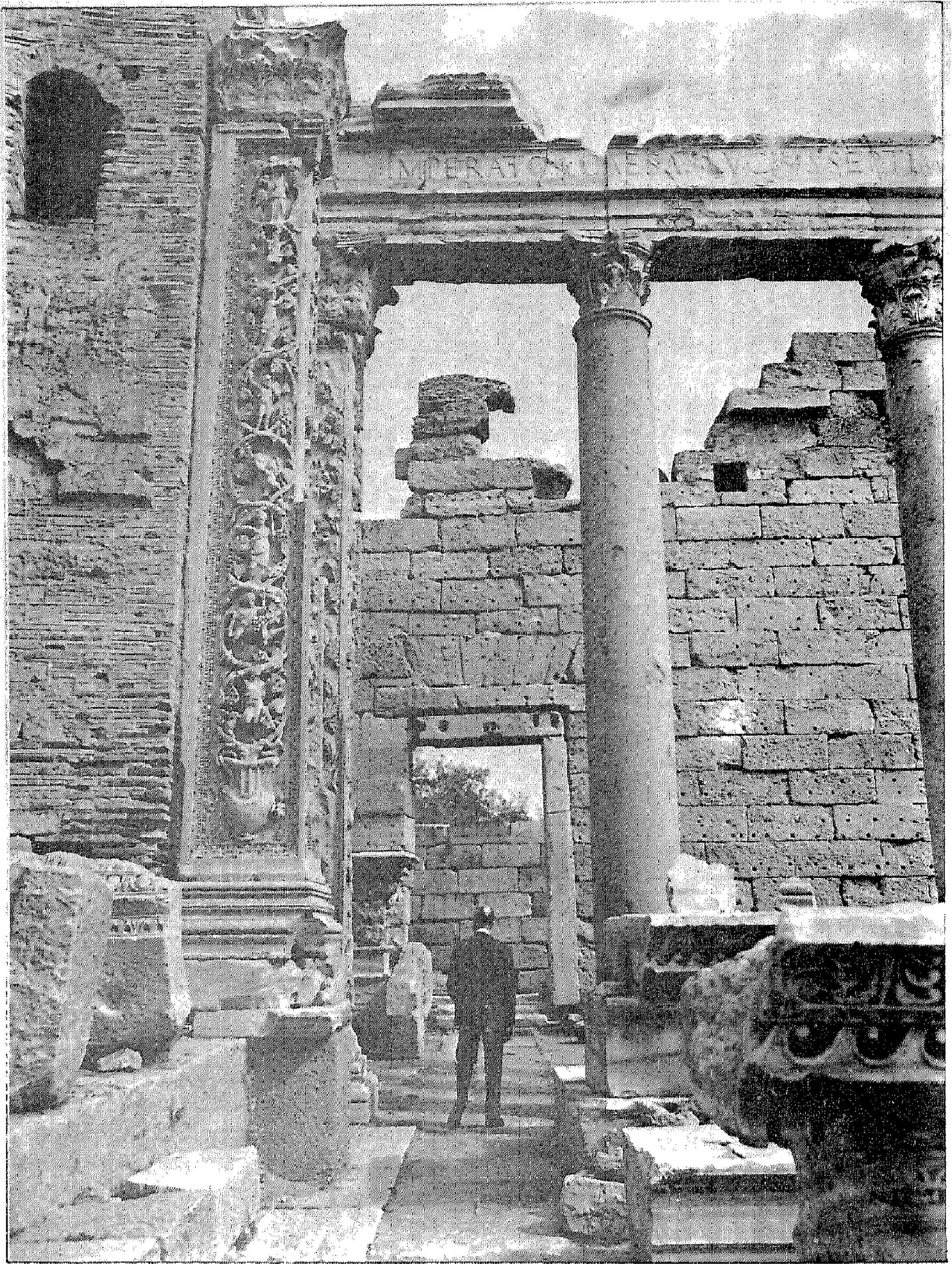
في بادىء الامر كانت هذه المدن الثلاث تابعة لقرطاجة ولكن بعد معركة زاماريجيا وانتصار الرومان على المدينة الفينيقية تشجع حليف روما القائد الليبي مسنسا على نزع هذه المدن الثلاث من قرطاجة وضمها الى مملكة كبيرة اسمها هو تضم اغلب افريقيا الشمالية عدا مدينة قرطاجة. وما زال مسنسا يشد الخناق حول عنق مدينة قرطاجة حتى اضطرت للدفاع عن نفسها وبهذا العمل جلبت الدمار لنفسها اذ استعرت الحرب للمرة الثالثة بينها وبين روما حليفة مسنسا وكان النصر من نصيب روما. وفي هذه المرة دمرت قرطاجة واحتلت المدن الثلاث التي بقيت تحت حكمها حتى الفتح الاسلامي عدا فترة قصيرة عندما احتلها الوندل.

تأسست هذه المدن بين القرن السادس والقرن الخامس قبل الميلاد من قبل جماعة من التجار الفينيقيين ولكن رغم هذا لم توجد في اي منهن اثار فينيقية تذكر لانه في العهد الروماني عندما اعيد بناء هذه المدن الثلاث انطمست آثار ومعالم المدن الفينيقية كليا.

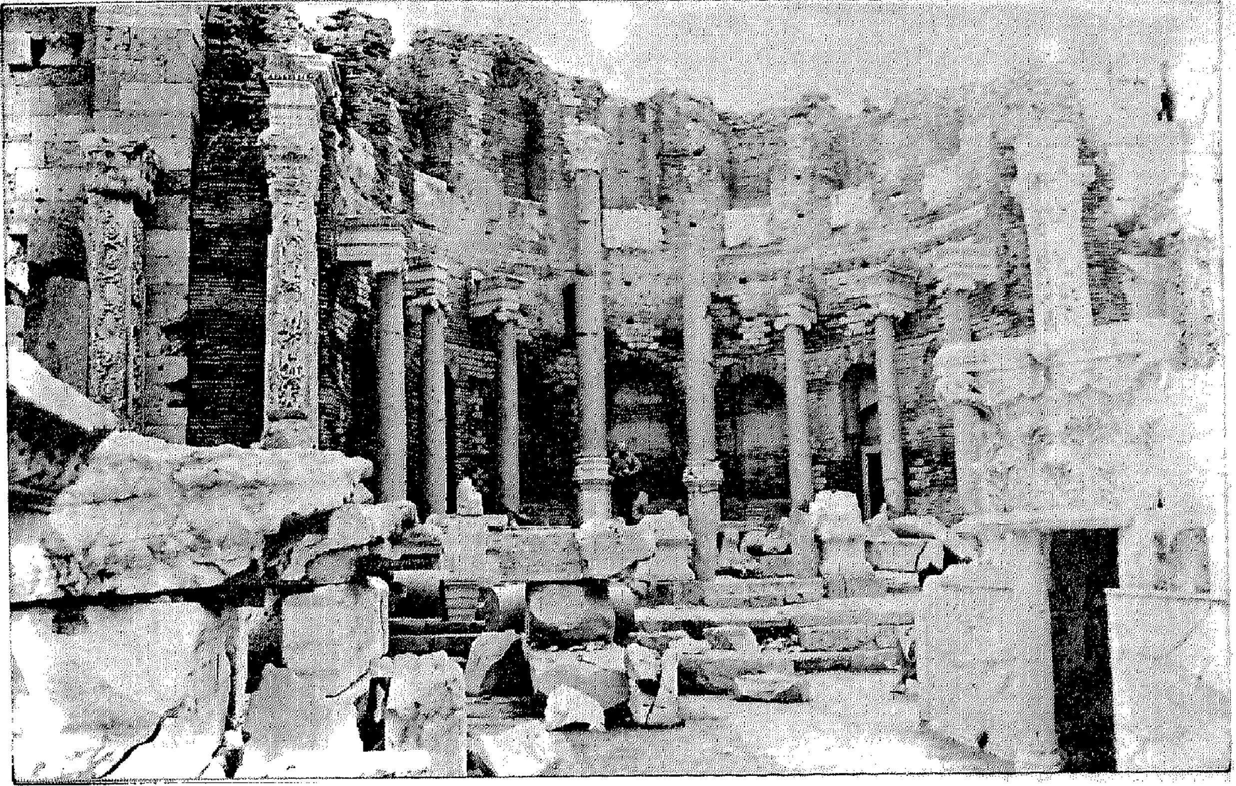
## مدينة لبدة

ان اهم مدينة في هذا المثلث كانت مدينة لبدة وتدعى باللاتينية **Lepcis Magna** أو **Leptis Magna** وهي تبعد عن طرابلس نحو ١٤٠ كيلومتراً الى الشرق. وقد اعيد تأسيسها في القرن الاول الميلادي ولكنها كبرت وازدهرت في القرنين الثاني والثالث وخصوصا في زمن الامبراطور سبتميوس سفيروس الذي ولد فيها.

اقيم في زمن الامبراطور سبتميوس سفيروس قوس نصر عند مدخل المدينة في الشارع الرئيسي المعروف بالكاردو. يرتكز هذا القوس على اربع



المحكمة في لبدة وهي منحوتة في الاعمدة الرخامية



[illegible]

دعائم ضخمة ر ؛ اعلاه افريز منحوت لموكب يظهر فيه الامبراطور وولداه كركلا وجيتا. يزين هذا الشارع قوسان آخران الاول بني في زمن الامبراطور تريانوس في اوائل القرن الثاني والاخر في زمن الامبراطور طبريوس (شكل ١). يقع على الجانب الشمالي من القوس الاول معبد يدعى كلكدكوم وخلفه تقع سوق فيها دكاكين عديدة وخلف هذه يقع مسرح المدينة المكون من منصة الممثلين وقاعة الاوركسترا ومقاعد المشاهدين.

وامام منصة الممثلين اقيم تمثالان للتوأمين كاستور وبولكسي. كما اقيم تمثال اخر للالهة سيرس- الهة الحنطة في اعلى المقاعد. واقيمت الى شمال قوس طبريوس سوق المدينة (شكل ٤) وهي عبارة عن ساحة كبيرة محاطة باروقة ودكاكين على جوانبها الاربعة وفي وسطها سرادقان احدهما للباعة والاخر لحاكم السوق.

وفي نهاية الشارع الرئيسي اقيم الفورم الروماني القديم حيث كان يجتمع اهل المدينة للمداولة والمساومة والحوار. في داخل هذا الفورم معبد مهدوم كرس لعبادة الالهة روما والاله اوغسطوس ومعبد آخر كرس لعبادة الاله المفضل عند الافريقيين ديونيسوس. وفي طرف الفورم الشرقي اقيمت المحكمة او الباسيلكا وهي كناية عن ايوان مستطيل مزدان في داخله بصفين من الاعمدة وفي الجانب الشمالي منه ثلاث غرف صغيرة للقضاة. والى الشمال الشرقي منها بناء مجلس الشورى وهو بناء مزدان داخليا بالاعمدة ومزود بمقاعد لاعضاء المجلس. وفي الطرف

الشمالي من الفورم اقيمت كنيسة بيزنطية. يحيط بالفورم سور بيزنطي اقيم في زمن الامبراطور يوستنيانوس عندما صغر حجم المدينة. يقع هذا شمالي الكنيسة البيزنطية مباشرة.

وفي الجهة الشرقية من المدينة على الشارع الثانوي المعروف بالدكومانوس بقايا اخرى من مدينة لبدة منها ملعب للالعاب الرياضية ويدعى بالسترا وبركة كبيرة للسباحة وتدعى نتاتيو وخلفها حمام كبير.

اقيمت جميع هذه الابنية في زمن الامبراطور هدريانوس ١١٨ - ١٣٩م. يحتوي الحمام على برك للاستحمام بالماء البارد (فريجداريوم) مزدان بتماثيل للاله ابولون وللالهة فينوس ومغاطس للاستحمام بالماء الساخن (تبداريوم) وغرف للاستحمام بالهواء الحامي (كالداريوم) والهواء الحار (لاكونيكوم). أعيد تزيين هذا الحمام في زمن الامبراطور سبتميوس سفيروس في اواخر القرن الثاني الميلادي عندما كسيت جميع حيطانه بالمرمر الاخضر المعروف بالسبولين. واقيم في الوقت نفسه معبد لارواح الماء (نمفيوم) شرق الحمام فتح شارع جديد يؤدي من البالسترا رأسا الى المرفأ. اقيمت على كل من طرفي هذا الشارع اعمدة من المرمر الاخضر تزينه. والمرفأ يقع شرقي الفورم القديم مباشرة واقيم على كل من طرفيه برج لارشاد السفن الى داخل الميناء كما اقيم معبد في الطرف الغربي من المرفأ.

وعلى الجانب الشمالي الغربي من الشارع ذاته اقيمت في زمن الامبراطور سبتميوس سفيروس

محكمة (باسيلكا) وفورم كبير في وسطه معبد للاله جوبتر. والفورم عبارة عن باحة كبيرة محاطة باروقة مظللة بالعقود القائمة على الاقواس (شكل ٣). اما الباسيلكا فعبارة عن ايوان مستطيل في كل من طرفيه حنية مستديرة مزينة بالاعمدة، وهناك عمودان مغشيان بالمرمر الابيض ومحفوران بمشاهد من اعمال ديونيسوس وهرقل (شكل ٤ ٥ ٦). والى جانب الباسيلكا رواق مزدان بالاعمدة الخضراء المصنوعة من السبولين (شكل ٧). وقد تحول قسم من الباسيلكا الى كنيسة في القرن الرابع الميلادي.

وكان اهالي مدينة لبدة في العهد الروماني يتلهون بمشاهدة مصارعة الحيوانات الضارية مع المجرمين في الامفتياترو الموجود شرقي الميناء كما وانهم كانوا يتلهون ايضا بالمشاركة في سباق الخيل والرهان على الخيول الفائزة بالسبق، اذ وجد بالقرب من الامفتياترو هبودروم او ميدان لسباق الخيل يبلغ طوله ٤٥٠ مترا وعرضه ١٠٠ متر.

## طرابلس صبراتا

والمدينة الثانية في المثلث اويا او ايعات (طرابلس حاليا) لم يبق منها اثر من العهد الروماني سوى قوس نصر اقيم في زمن الامبراطور ماركوس اوريليوس وبعض القبور الرومانية التي تقع غرب طرابلس في الحي المعروف بقرقارش.

اما صبراتا فما زالت تعج بالاثار الرومانية القيمة، وهي تقع على بعد زهاء ٦٨ كيلو متراً غربي طرابلس. ففي وسط المدينة في الفورم عدد من المعابد والابنية القيمة، اقيم في الجهة الشرقية من الفورم معبدان احدهما مكرس لعبادة الاله ديونيسوس والثاني للاباطرة الانطونيين وقد اقيم في زمن الامبراطور ماركوس اوريليوس. وفي الطرف الجنوبي من الفورم اقيمت الباسيلكا او المحكمة وهي عبارة عن ايوان طويل في كل من طرفيه الشرقي والغربي حنية حيث كان يجلس القاضي. والايوان مقسم الى ثلاثة اقسام بصفين من الاعمدة التي تقطعه من الشرق الى الغرب. وفي زمن الامبراطور يوستنيانوس تحول القسم الشرقي من الباسيلكا الى كنيسة بيزنطية. وعلى الجهة الغربية من الفورم معبدان آخران احدهما مكرس لعبادة الالهة جوبتر وجونو وميترفا والاخر للاله سرابيس. والى شمال الفورم تقع بناية مجلس الشورى وتدعى كوريا باللاتيني وهي عبارة عن بناء مستطيل مزين داخله بالاعمدة على جوانبه الاربعة. وعلى الجانب الشمالي حنية صغيرة حيث كان يجلس رئيس المجلس. وشمالي هذه اقيمت كنيسة في زمن الامبراطور يوستنيانوس في القرن السادس الميلادي وكانت مرصوفة بالفسيفساء الذي اعيد تركيبه في المتحف بجوار الاثار. ويقع جنوب الباسيلكا معبد آخر كبير الحجم داخله مزدان بالاعمدة والحنايا.

واقيمت حمامات رومانية في الزاوية الشمالية الشرقية من الفورم خلف معبد ديونيسوس، وكانت هذه مزودة ببركة للسباحة ومغاطس للماء الساخن وغرف للاستحمام بالهواء الحامي وهي مزودة ايضا بمراحيض احدهما خاص بالرجال والاخر بالنساء.

وفي القسم الشرقي من المدينة خارج السور البيزنطي الذي اقيم في زمن الامبراطور يوستنيانوس بعدما صغر حجم المدينة معبد مكرس لعبادة الاله هرقل. وهو عبارة عن ايوان مزود باعمدة من المرمر الاخضر وقائم على بناء مرتفع يدعى بوديوم. والى الشمال الشرقي من هذا كنيستان بيزنطيتان اقيمتا في القرن الرابع الميلادي. يلي هاتين الكنيستين حمام آخر مبني على الطراز الروماني، سمى علماء الآثار هذا الحمام بحمام اوقيانوس اذ ان احد مغاطسه مزخرف بالفسيفساء بصورة الاله اوقيانوس.

من اهم المباني في صبراتا معبد الالهة ازيس الذي يقع في الطرف الشرقي من المدينة الرومانية. يرقى هذا المعبد الى القرن الاول الميلادي حينما انتشرت عبادة الالهة ازيس في جميع ارجاء الامبراطورية الرومانية. والمعبد عبارة عن بناء مستطيل قريب جدا الى المربع. مدخل المعبد من الشرق حيث توجد سبع درجات عريضة بعرض الهيكل تماما يصعد بها الى رواق مزدان بالاعمدة المتراصة ويحف بالرواق برجان برج من كل جانب. هنالك ثلاثة ابواب تؤدي من الرواق الى الباحة التي اقيم هيكل المعبد في وسطها. في الطرف الغربي من الباحة ثماني غرف صغيرة اعدت لخدم المعبد من كهنة وكاهنات. وفي وسط الباحة صحن كبير محاط بالاعمدة من كل جانب وداخله اربع درجات يصعد بها الى الصحن الذي يحيط بالهيكل. يصعد الى الهيكل بتسع درجات اخرى في طرفه الشرقي وهو مقسم الى غرفتين مستطيلتين ودهليزين في طرفيهما تبعاً للطقوس الدينية المتبعة بعبادة الالهة ازيس.

وفي الجانب الجنوبي من المدينة الرومانية كان هناك المسرح، وهو كسائر المسارح الرومانية يحتوي على منصة الممثلين وقاعة الاوركسترا ومقاعد المشاهدين بشكل نصف دوائر مشتركة المركز. أعيد بناء هذا المسرح حديثا وطالما اقيمت فيه حفلات موسيقية.

وكان اهالي مدينة صبراتا في العهد الروماني مثل اهالي مدينة لبدة يتلهون بمشاهدة مصارعة الحيوانات الضارية مع المجرمين اذ وجد امفتياترو بقرب المدينة ولكن بحالة سيئة. وان لم يعثر حتى الان على امفتياترو في طرابلس فمن المحتمل جدا ان يكون فيها امفتياترو كما هي الحالة في لبدة وصبراتا. ■

# الحرب الفرنسية البروسية

## (١٨٧٠-١٨٧١)

### ... ونشوء الامبراطورية الالمانية والجمهورية الفرنسية الثالثة

اعداد هلا طبارة



■ بسمارك يؤاسي نابوليون الثالث بعد هزيمته

■ هلا طبارة: استاذة اللغة العربية في كلية بيروت الجامعية (١٩٥٦- ١٩٦٠) وامينة المكتبة فيها لعدة سنوات، اجازة في التربية وعلم النفس وعضوة نشيطة في اتحاد الجامعيات اللبنانيات، اشتركت في اعداد الموسوعة العسكرية الصادرة عام ١٩٧٧ عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

**اهمية الحرب الفرنسية ـ البروسية (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) أنها أدت الى تغيرات أساسية في القارة الاوروبية بينها ظهور الامبراطورية الالمانية (الرايخ الثاني) واعلان الجمهورية الفرنسية الثالثة فضلا عن بدء عهد جديد من الحرب والالة الحربية نفسها انبثق عنه اول جيش الماني بكل معنى الكلمة في التاريخ٠**

**وهي، من هنا، تستحق الدراسة والبحث٠٠٠ خاصة حول اسبابها وتطورها والنتائج التي ادت اليها٠**

**وكما يحدث كثيراً وغالباً في التاريخ، فان ذرائع اعلان الحرب تكون واهية٠ولم تشذ حرب ١٨٧٠ عن هذه القاعدة ايضاً٠**

## اهدافها واسبابها:

■ لقد اعلنت الامبراطورية الفرنسية الثانية في ١٩ تموز (يوليو) عام ١٨٧٠ والتي كان يحكمها الامبراطور نابليون الثالث، الحرب على الامبراطورية البروسية التي كان يحكمها الامبراطور غليوم لاسباب عديدة اهمها:

اولا: لان الامير "ليوبولد هوهن زولارن" ترشح لعرش اسبانيا وهو من الاسرة التي حملت التاج الامبراطوري في ألمانيا بين العام ١٧٠١ و ١٩١٨ بعد ثورة اسبانيا عام ١٨٦٨٠

وفي فترة عام ١٨٧٠ كانت السياسة الفرنسية ترى ضرورة ابقاء ألمانيا مجزأة حتى تتمكن من فرض سيطرتها على اوروبا٠ ولم تكن فرنسا وحدها تقف موقف العداء من الوحدة الالمانية بزعامة بروسيا، بل كانت النمسا ايضاً ترى ضرورة ذلك، غير ان بروسيا استطاعت ان تحل نزاعها مع النمسا بانتصارها في ٣تموز (يوليو) ١٨٦٦ في معركة "سادوفا"٠

وعلى الضفة الاخرى من الراين اعتبر "اوتوفون بسمارك" (رئيس وزراء بروسيا ووزير خارجيتها) انالحرب ضرورة تاريخية لتشييد الامبراطورية الالمانية٠ فكانت حرب محدودة، حرب اسر مالكة تريد أقامة الاستبداد على احدى ضفتي نهر الراين٠ وكان "لبرقية امز الشهيرة "التي اعدها بسمارك للنشر ان دفعت نابوليون الثالث، امبراطور فرنسا الى اعلان الحرب على بروسيا التي انضمت اليها فوراً الولايات الجنوبية الالمانية "بافاريا" و"ورتمبورغ" و"بادن" لمساعدة بسمارك حربياً٠

ثانياً: المنافسة في اوروبا اثر وصول الثورة الصناعية الى ذروتها في كل من انكلترا، وفرنسا، خاصة في مجال المخترعات المتعلقة باستخدام الطاقة والبخار و:اتسعت فتعاظم السباق للحصول علىالمواد الخام وبدأت المنافسة في مجال التجارة والاستيراد والتصدير٠

ولما كانت مناجم الحديد والفحم متوفرة في انحاء المانيا فان الجو كان صالحاً لقيام الصناعة فاقيمت المصانع، وتحولت برلين الى مركز صناعي صاخب لبناء الآلات٠ وهكذا اندفعت في طريق التطور الرأسمالي٠ كما كان للانقلاب الصناعي الذي طرأ على كل من ايطاليا والنمسا عام ١٨٧٠، وتطور الرأسمالية في الولايات المتحدة الاميركية بعد الحرب الاهلية (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) ان بدأت المنافسة في اوروبا بسبب هذه التطورات مع ما رافقها من تطورات اجتماعية وظهور نزعات قومية اوجدت الدوافع الايديولوجية لهذا الصراع٠

## "برقية امز الشهيرة"

في ٩ تموز (يوليو) عام ١٨٧٠ طلب السفير الفرنسي "فنسنت بنديتي"،وكان قد لحق بالملك وليم الاول، ملك بروسيا في "امز" حيث كان الملك يعالج،اصدار الامر لليوبولد بالانسحاب، فرفض الملك ولكنه ارسل رسولا سرياً ينصح ليوبولد بأن يفعل ذلك٠ وفي ١٢ تموز (يوليو) سحب والد ليوبولد الترشيح بالنيابة عن ابنه٠ وفي ١٣ تموز (يوليو) تقابل بسمارك والبرخت تيودور اميل "رون" وزير الحربية وهلموت كارل برنهارد"مولتكه" في برلين٠ وعندما تسلم بسمارك البرقية من الملك حول ما حدث في "امز" اعدها للنشر بطريقة اوحت بأن المفاوضات في "امز" ادت الى قطع العلاقات٠ واتضح ان البلاط الفرنسي كان مصمماً على اذلال بروسيا حتى ولو كان الثمن الحرب٠

## المعارك العسكرية ونتائجها

في ١٦ تموز (يوليو) عام ١٨٧٠ بدأت تعبئة القوات البروسية في مرحلة التوتر التي سبقت اعلان الحرب حيث تمكنت القيادة البروسية في خلال ١٨ يوماً من جمع وحشد قوات الهجوم الضخمة المؤلفة من ثلاثة جيوش قوامها (٣٨٠،٠٠٠ جندي) وتوجيهها الى الحدود الفرنسية ـ البروسية٠ وقد تم ذلك بفضل كفاءة السكك الحديدية٠ وكانت خطة هجوم الجيش البروسي الاساسية تهدف الى تدمير التجمع الفرنسي الرئيسي بالقوى المتفوقة ودحر ما تبقى منه الى الشمال نحو الحدود البلجيكية ثمالتقدم نحو



باريس. وهكذا اجتاحت فرنسا ثلاثة جيوش المانية على النحو التالي: دخل الجيشان الاول والثاني مقاطعة "اللورين" والجيش الثالث مقاطعة "الالزاس" ومن ثم تابعت الجيوش الثلاثة تقدمها نحو باريس.

بدأت المعارك الاولى بين القوات البروسية والقوات الفرنسية في ٦ آب (اغسطس) عام ١٨٧٠ بالقرب من مدينة "ميتز" الواقعة على ضفاف نهر "موزيل" حيث دارت معارك ثلاث: الاولى على الشاطىء الشرقي لنهر "موزيل" في ١٤ آب (اغسطس) والثانية على الشاطىء الغربي لنهر "موزيل" في ١٦ آب (اغسطس) والثالثة في منطقة "سان برفا" في ١٨ آب (اغسطس). وكانت المعركة الاخيرة من المعارك الحاسمة اذ هاجمت القوات البروسية المواقع الفرنسية فور وصولها ودون اي توقف، وكانت المدفعية البروسية قد احتلت مراكز مكنتها من سبق العدو في فتح النار، فسقطت "سان بريفا". وقدرت خسائر القوات البروسية بعشرين الف مقاتل (٢٠،٠٠٠) في حين كانت خسائر القوات الفرنسية تقدر بثلاثة عشر الفاً (١٣،٠٠٠).

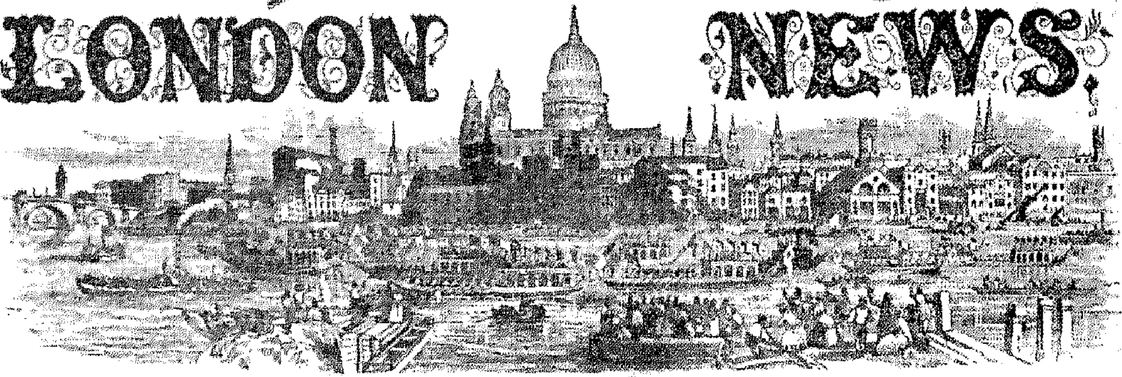
وبعد سقوط "سان - بريفا"، قرر القائد الفرنسي الماريشال "أشيل بازين" الانسحاب الى مدينة "ميتز" المحصنة، وعندما شعرت القيادة البروسية العليا بعجزها عن تنفيذ مخططها الاساسي الرامي الى تدمير الجيش الفرنسي او دحره نحو الشمال عمدت الى تشكيل جيش خاص من الجيشين الاول والثاني قوامه مائتا الف مقاتل (٢٠٠،٠٠٠) لحصار مدينة "ميتز"، كما عمدت الى تشكيل جيش آخر دعته بالجيش الثالث وقوامه ٢٢٤ الف مقاتل (٢٢٤،٠٠٠) كلف بالهجوم على القوات الفرنسية المتمركزة في منطقة "شالون" والبالغ عددها مئة واربعين الفاً (١٤٠،٠٠٠). وارسلت فرنسا جيشها المتمركز في "شالون" الى "ميتز" لمساندة جيش الماريشال "بازين".

وفي ٣١ آب (اغسطس) اتخذت القوات الفرنسية الاتية من "شالون" مراكزها حول مدينة "سيدان". وفي الاول من ايلول (سبتمبر) هاجم الجيش البروسي الثالث مدينة "سيدان" من الشمال والغرب معاً وطوقها بعد معركة حاسمة دامت يوماً واحداً استسلمت في نهايتها القوات الفرنسيةفي "شالون" في ٢ ايلول (سبتمبر) وقدرت خسائرها العامة بنصف مليون جندي. كما بلغ عدد الاسرى مئة واربعة الاف اسير (١٠٤،٠٠٠) وفي مقدمتهم الامبراطور نابوليون الثالث وماكماهون. وفي ٣٠ ايلول (سبتمبر) اعلن نابوليون وهو أسير قائلا: "لقد هزم الجيش وأنا نفسي اخذت اسيراً".

وكان ذلك نهاية الامبراطورية الثانية في فرنسا.

## اسباب هزيمة "سيدان"

تعود هزيمة سيدان الساحقة الى فشل سياسة الامبراطورية الفرنسية الثانية لاسباب عديدة منها:




REGISTERED AT THE GENERAL POST-OFFICE FOR TRANSMISSION ABROAD

No. 1635.—VOL. LVIII. SATURDAY, FEBRUARY 4, 1871. PRICE FIVEPENCE

■ ملك بروسيا، ويليام الاول، في "صالة المرايا" في قصر "فرساي" بعد تتويجه قيصراً لالمانيا في ١٨ كانون الثاني ١٨٧١.

اولا: ان فرنسا لم تكن جاهزة للحرب عندما اعلنتها على بروسيا وذلك خلافاً لما اعلنه وزير حربيتها حين قال: "كل شيء جاهز حتى آخر لفافة". في حين سبقتها بروسيا وقامت بالتعبئة السريعة في مرحلة التوتر التي سبقت اعلان الحرب. وهذا ما كبد الجيش الفرنسي اولى هزائمه واكثرها عمقاً.

ثانيا: السياسة التعسفية التي كان يتبعها نابوليون الثالث ومحاولته صرف نظر الشعب عن المشاكل الداخلية وذلك بانغماسه في الحروب الخارجية التي فتحت عهداً جديداً من الحروب في الفترة التي امتدت ما بين عامي ١٨٥٠ ـ ١٨٧٠.

لقد شاركت الامبراطورية الفرنسية الثانية في حرب القرم (١٨٥٤ ـ ١٨٥٥) واعلنت الحرب على النمسا في العام ١٨٥٩ وارسلت جيشاً الى سوريا في العام ١٨٦٠، وشاركت في غزو الهند الصينية (كمبوديا وفيتنام) عام ١٨٦٠، وغزو المكسيك عام ١٨٦٣. اما آخر حروبها فكانت تلك التي شنتها على بروسيا في العام ١٨٧٠ ولاقت فيها نهايتها.

ثالثاً: تخلف الجيش الفرنسي عن الجيش البروسي لاسباب عدة منها: تدخل السلطة السياسية في قيادة العمليات، الغياب الكامل للخطة، الفوضى واللانظام اللذان سبقا التجنيد، وتغيير رئيس الإركان ثلاث مرات في خلال شهر.

رابعاً: المغامرة التي اقدمت عليها فرنسا بتكليفها القيادة العسكرية الفرنسية القيام بمهام استراتيجية كبرى لم يكن بامكانها تنفيذها وهي ارسال جيش "شالون" الصغير لمساندة جيش الراين بقيادة الماريشال بازين المحاصر في "ميتز". وكانت تلك من افدح واكبر اخطائها.

خامساً: خوف فرنسا من اندلاع الثورة.

## الجمهورية الفرنسية الثالثة

نتج عن هذه الهزيمة ـ هزيمة "سيدان" واستسلام نابوليون الثالث ـ ان اندلعت الثورة في باريس في ٤ ايلول (سبتمبر) عام ١٨٧٠ وهاجم الثوار قصر "البوربون" واجبروا اعضاء الجمعية التشريعية على اعلان سقوط الامبراطورية. وطبقاً للتقاليد الثورية اعلنت الجمهورية الفرنسية الثالثة في مبنى البلدية، وشكلت حكومة بورجوازية مؤقتة للدفاع الوطني مؤلفة من "اورليانيين" ومن جمهوريين بورجوازيين، ساندتها فرنسا بما يشبه الاجماع برئاسة الجنرال "لويس جول تروشو" وكان العضو البارز فيها "ليون جمبتا". وكان الاجراء الاول الذي اتخذته الحكومة الفرنسية المؤقتة ارسال "ادولف تيير" رئيس اللجنة التنفيذية في جولة يطوف بها على بلاطات اوروبا طالباً وساطتها مع العدو. غير ان المساعي باءت بالفشل، فتقدمت الحكومة المؤقتة بشروط الصلح لبسمارك فرفضها وفرض شروطاً قاسية رفضتها الحكومة الفرنسية وآثرت مواصلة القتال مما حمل القيادة البروسية على ضرب حصار على باريس.

## سقوط باريس

وفي ١٩ ايلول (سبتمبر) عام ١٨٧٠ اكتسح جيشان بروسيان باريس وحاصراها (حتى سقطت في ٢٨ كانون الثاني عام ١٨٧١) وقد حشدت الحكومة كل قواها في محاولة يائسة للدفاع عن البلاد، فأوفدت مندوبين الى "تور" لتنظيم المقاومة في الاقاليم، وقد انضم اليها "جمبتا"



■ [illegible] هيلموت فون مولتكه



■ أمير بروسيا فريدريك [illegible]



■ الجنرال الفرنسي بورباكي قائد [illegible]

الذي فر في "بالون" من باريس المحاصرة وتولى حكم فرنسا.

وفي ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) سلم الماريشال "بازين" مدينة "ميتز" للقوات البروسية، واستسلم معه ١٧٣ الف جندي (١٧٣،٠٠٠) بعد حصار دام ٧٢ يوماً. وكانت هذه الهزائم بالاضافة الى اقامة الجيوش البروسية في "فرساي" وما يحيط بها، ووقوفها موقف المتفرج واستسلام باريس بعد ان انهكتها المجاعة، صدمة عنيفة للجمهورية الفرنسية، الامر الذي دفعها الى طلب عقد صلح في ٢٨ كانون الثاني (يناير) عام ١٨٧١ مع بروسيا شريطة "عدم التفريط بشبر واحد من الارض ولا بحجر واحد من الحصون" (تصريحات "تروشو و"فافر"وزير الخارجية).

وفي ٢٦ شباط (فبراير) عام ١٨٧١ تم التوقيع على وثيقة الاستسلام بين "تيير" و"فافر" و"بسمارك" تنازلت بمقتضاها فرنسا عن "الالزاس" و"اللورين" اللتين كانتا جزءاً من فرنسا لمدة ٢٠٠ عام. وقبلت بشروط "بسمارك" القاسية بدفع تعويض قدره خمسة مليارات فرنك (٥،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) على ان يبقى جيش الاحتلال حتى يتم دفع التعويض. وقد قوبلت هذه الشروط بالرفض التام من ممثلي "الالزاس واللورين" ومن "جمبتا" و"كليمنصو" ولكنها قبلت بأغلبية ٥٤٦ صوتاً ضد ١٠٧ في اول آذار (مارس) عام ١٨٧١. وكان من نتائج هذه المعاهدة ان قامت البروليتاريا المسلحة (التي كانت تخشاها الحكومة الفرنسية البورجوازية) بثورتها في ١٨ آذار (مارس) وشكلت "كومونة باريس".

ولقد كانت ثورة "الكومونة" التي لم يكتب لها البقاء، اول ثورة اشتراكية من نوعها في اوروبا حملت في طياتها مظاهر الثورة الديمقراطية والثورة الاقتصادية، غير ان سوء العناصر التي تسللت الى قيادتها العسكرية ولجوءها الى الدفاع السلبي بدل الهجوم كانا من اكبر اخطائها لذلك فقد خسرت المعركة.

في ١٠ ايار (مايو) عام ١٨٧١ تم التوقيع على معاهدة السلام غير المشروطة في مدينة "فرانكفورت" بين فرنسا وبروسيا، وتضمنت كافة الشروط التي تمت الموافقة عليها في اول آذار (مارس) عام ١٨٧١. وفي ١٨ أيار (مايو) صادقت جمعية فرساي عليها.

وفي ٣١ آب (اغسطس) عام ١٨٧١ اصبح "تيير" رئيساً للجمهورية الفرنسية الثالثة وكان من الاورليانيين المخلصين. فعمد الى جمع صفوف الجمهوريين المحافظين.

وفي ١٦ ايلول (سبتمبر) عام ١٨٧٣ غادر آخر جندي بروسي الحدود الفرنسية.

## اسباب الانتصار البروسي

الاسباب وراء انتصار الجيوش البروسية كثيرة وهذه بعضها:

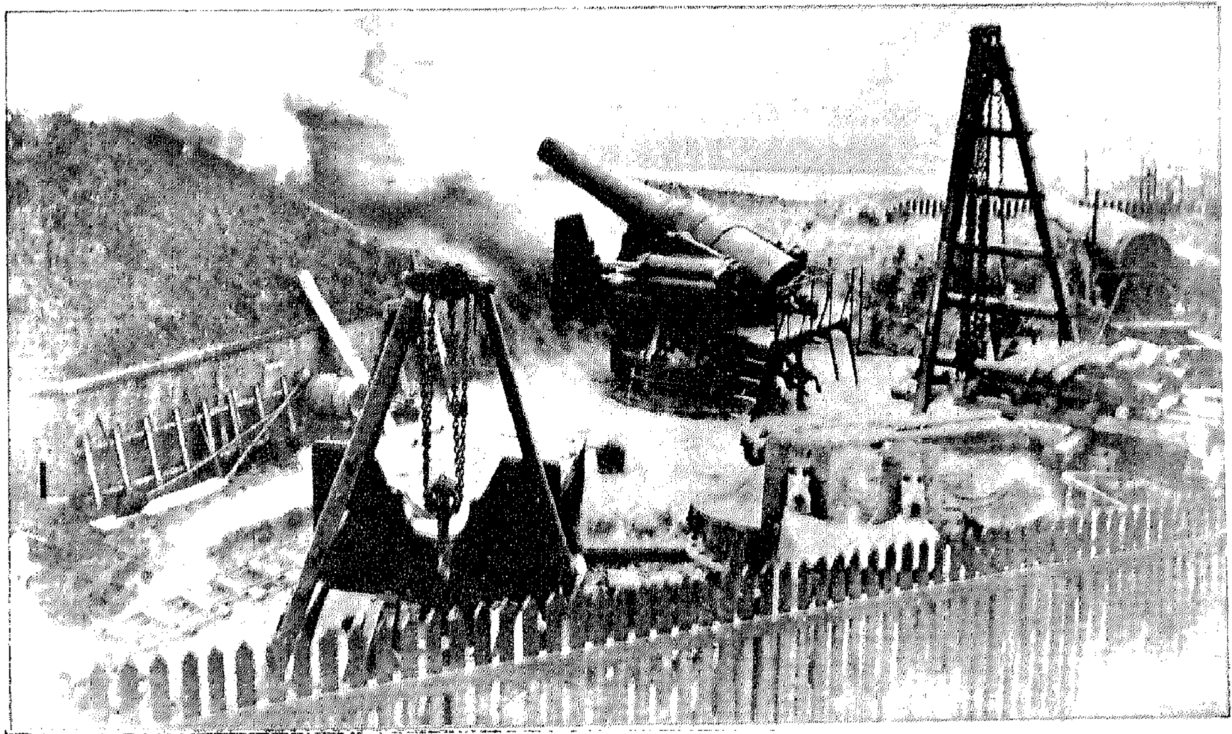
اولا: تفوق الجيش العسكري البروسي (قوة وقيادة وتكتيكا) وتنظيمه هيئة اركان حرب عامة فعلية نظمت لاول مرة في التاريخ وضمت ثلاثة اقسام: قسم الاستراتيجية والتكتيك، قسم




■ [illegible]



[illegible] بين الخيالة الفرنسية والألمانية في مارس لاتور في ١٦ آب ١٨٧٠



[illegible]

العمليات؛ قسم الاستخبارات. كما ضمت التشكيلات العسكرية الاخرى بدورها هيئات للاركان مشابهة بتنظيمها لهيئة الاركان العامة لكن على نطاق محدود.

**ثانياً:** التفوق السياسي وذلك بفضل مخطط "بسمارك". الحديدي وحنكته السياسية وتحديده بكل دقة لهدف الحرب الذي ضمن في نهايته لبروسيا وضعاً مسيطراً في اوروبا كلها.

ولقد لعب "بسمارك" بسياسة المانيا واوروبا مدة طويلة من الزمن اتسمت بالتخطيط المركز والحنكة. ومما قاله بعد تعيينه رئيساً لوزراء بروسيا باسبوع: "ان المشاكل الكبرى اليوم لا يمكن حلها بالخطابات وقرارات الاغلبية وانما بالحديد والدم".

وكانت سياسة "الحديدوالدم" هي السياسة التي كرس "بسمارك" لها كل طاقاته وجهده وحنكته فجعل منألمانيا دولة اخرى تعتمد على الدم والحديد والمهارة الحربية. وكان هدفه ان يجعل المانيا تحتل مكان الصدارة في القارة الاوروبية وقد سعى الى تحقيق هدفه بثبات وعزم فكان له ما سعى اليه. ولقي نجاحاً باهراً. كما كان للدور الذي لعبه في الايقاع بين الدول الواحدة تلو الاخرى ان اثبت اسلوباً رائعاً في السياسة والديبلوماسية الدولية. وكان "بسمارك" قد وضع هدفين اساسيين أمامه:

الاول :وضع حد نهائي للتنافس القائم بين بروسيا والنمسا على زعامة المانيا واعطاء الزعامة لبروسيا ومن ثم القضاء على منافسة فرنسا في اوروبا. وهذا ما حمله للانصراف الى تقوية بلاده عسكرياً في الوقت الذي قام نابوليون الثالث بمهاجمة النمسا وانزال الهزيمة بها. وقد كانت هذه الهزيمة لصالح بسمارك اذ اتجه هذا الاخير لمصادقة قيصر روسيا ضد بولندا فضمن من جراء ذلك تغاضي القيصر وسكوته عن اعماله في اوروبا. ثم اتجه الى الدانمارك فاخضعها بتحالفه مع النمسا ومن ثم اتجه الى النمسا فحالف فرنسا وايطاليا ضدها وهزمها في العام ١٨٦٦ وهكذا تمكن من ازالة عقبة النمسا؛ كما تمكن بالتالي من اقامة اتحاد ألماني شمالي بزعامة بروسيا. وهكذا تم لـ"بسمارك" تحقيق هدفه الاول الاساسي.

اما هدفه الثاني فكان تحقيق الوحدة الالمانية واعلاء شأن المانيا في اوروبا وذلك باخضاع فرنسا التي كانت تعد الدولة الاوروبية الاولىوالمنافسة الوحيدة لالمانيا.

تعتبر الحرب الفرنسية ـ البروسية (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) من الحروب التي اثرت في مجرى التاريخ الى حد كبير. وكان من اهم نتائجها السياسية:

اولا: قيام الامبراطوريةوالالمانية: وذلك بتتويج وليم الاول؛ ملك بروسيا امبراطوراً لالمانيا الموحدة؛ وهو ما اعلن في "فرساي" في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٧١ في بهو المرايا في قاعة لويس الرابع عشر الفخمة. وبذلك اصبحت اسرة "هوهن زولارن" الملكية البروسية اسرة امبراطورية لالمانيا الموحدة.

ثانياً: ظهور الرايخ الثاني الذي ضم ٢٥ ولاية. وظهور ٤ ملكيات (بروسيا؛ بافاريا؛ ساكسونيا؛ وتمبرغ) و٥ دوقيات عظمى؛ و١٣ دوقية وبلدية؛ وثلاث مدن حرة (هامبورغ؛ بريمين؛ لوبيك) واعتبرت الالزاس واللورين اللتان ضمتا نتيجة للحرب ارضاً ضمن الرايخ وعين لهما محافظ امبراطوري. وبذلك اصبحت ملكاً مشتركا لجميع الولايات الالمانية.

ثالثاً: تأسيس اول جيش حمل اسم "الجيش الالماني" في العام ١٨٧١.

يبقى؛ ايضاً؛ ان من اهم ميزات هذه الحرب انها حملت في مضمونها نواة حرب الانصار (وكانت النجاحات الاولى لحرب الانصار هذه استخدام القطارات لنقل الجيوش البروسية). كما انها استطاعت استنفار امكانات الامة كلها وتمكنت من الربط بين الطاقات البشرية والطاقات الاقتصادية والقوى الانتاجية. ■

---

## ماذا ينفع التاريخ؟

١ ـ للمؤرخ مهمة خاصة؛ وهي أن يشرح لنا ما يبدو معجزة. "ميشليه"

٢ ـ التاريخ يثبت لنا كل ما نريد؛ يعطينا الأمثلة على كل شيء؛ ويبرهن عليه. "ب. فاليري"

٣ ـ ان الهدف والفائدة من التاريخ يجب الا يفتش عنهما أبداً خارج التاريخ. "ج. مونو"

٤ ـ ان التاريخ ليس ابداً منصفاً؛ ولكنه دائماً مبرّر. "ب. كروس"

# حروبُ القدس في التاريخ العربي

## الاحتلال الصهيوني للقدس

العقيد الدكتور ياسين سويد

تحدثنا في العدد السابق عن حربين من حروب القدس في التاريخ العربي هما:

١) تحرير القدس من البيزنطيين في القرن الميلادي السابع (الهجري الاول).

٢) تحريرها من الصليبيين في القرن الميلادي الثاني عشر (الهجري السادس).

اما الحرب الثالثة التي شهدتها هذه المدينة المقدسة في التاريخ العربي فهي اهمها واقساها لانها كانت السبب في خروج القدس وبالتالي فلسطين كلها، من ايدي العرب، وهذه الحرب هي: ٣) الاحتلال الصهيوني للقدس (١٩٤٨ = ١٣٦٨هـ، و١٩٦٧ = ١٣٨٧هـ).



■ **العقيد ياسين سويد**:ـ ضابط في الجيش اللبناني يرأس حالياً احدى هيئات المحكمة العسكرية اللبنانية ـ مجاز في الحقوق من الجامعة اللبنانية، دكتور في التاريخ من جامعة ليون، مؤلف كتاب "معارك خالد بن الوليد" اسهم في وضع "الموسوعة العسكرية العربية"، ولديه حالياً قيد الاعداد للطبع: ـ التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الامارتين (المعنية والشهابية): حزءان ـ من تاريخنا: معارك وقادة.

تقسم القدس جغرافياً الى منطقتين مميزتين هما:

**القدس القديمة:** يحيط بها سور قديم كبير رافق المدينة منذ انشائها وكان يهدم في الحروب المتتالية ثم يعاد بناؤه، وقد اعيد بناؤه للمرة الاخيرة في عهد السلطان سليمان القانوني في اواخر العقد الرابع من القرن السادس عشر، وتقع ضمن هذا السور الاماكن المقدسة للديانات الاسلامية والمسيحية واليهودية، معظم سكانها من العرب الفلسطينيين وقد بلغ عددهم، بعد نشوب الحرب العربية ـ الصهيونية عام ١٩٤٨ ونزوح عدد كبير من السكان العرب من القدس الجديدة الى القدس القديمة، نحو ستين الفاً. وكان في القدس القديمة حي لليهود تبلغ مساحته ربع مساحة القدس القديمة الا ان عدد سكانه لا يزيد عن الف وثمانماية فقط منهم نحو ثلاثماية من مقاتلي البالماخ والهاغانا الذين دخلوا ذلك الحي سواء قبل جلاء البريطانيين عن فلسطين او بعده.

وللقدس القديمة احد عشر بابا اهمها : باب العمود (او باب دمشق)، وباب الخليل، وباب النبي داود، والباب الجديد، وباب الاسباط، وبوابة مندلبوم الشهيرة.

**القدس الجديدة:** تقع خارج سور القدس القديمة، وقد بنيت في عهود حديثة، وكان يقطنها عدد لا يستهان به من العرب الفلسطينيين الا ان معظم هؤلاء نزحوا عنها الى القدس القديمة منذ بدء القتال بينهم وبين الصهيونيين عام ١٩٤٨، وكان عدد سكان القدس القديمة من اليهود في ذلك الحين نحو ماية الف نسمة منهم عشرة الاف مقاتل.

## الاحتلال على مرحلتين

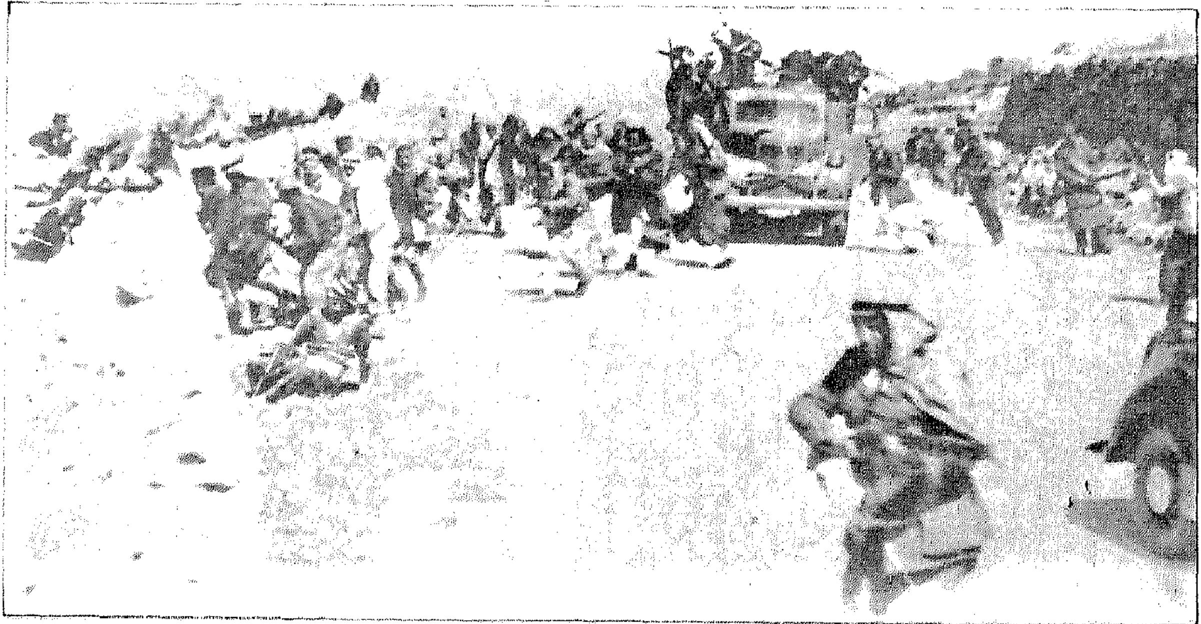
وقد تم الاحتلال الصهيوني للقدس على مرحلتين:

المرحلة الاولى: احتلال القدس الجديدة (عام ١٩٤٨م ـ١٣٦٨هـ)

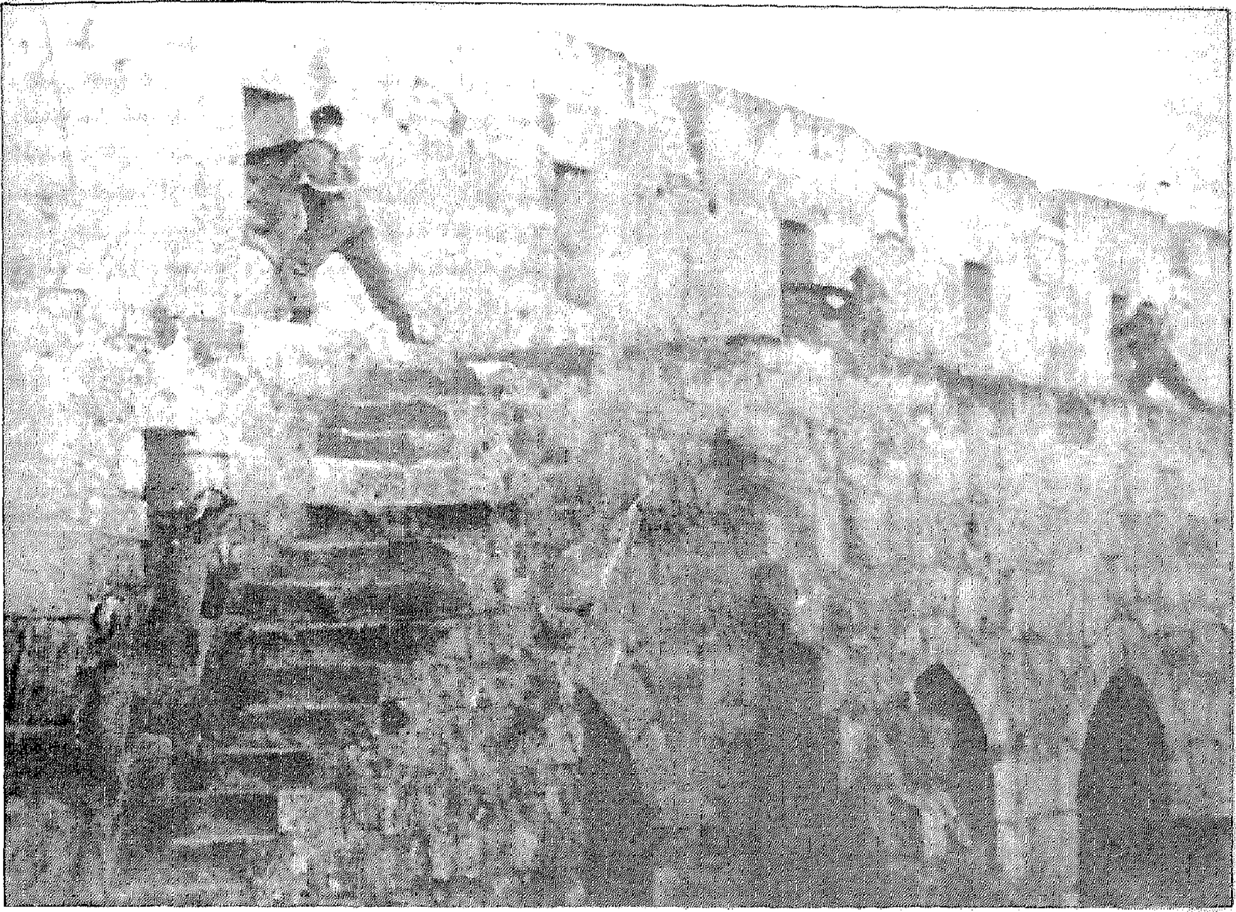
المرحلة الثانية: احتلال القدس بكاملها (القدس القديمة عام ١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ).

**١ ـ المرحلة الاولى (١٩٤٨):** رضخت المنظمة الدولية المنشأة حديثاً (الامم المتحدة) للضغوط الصهيونية والاميركية المتعاونة مع الدولة البريطانية المنتدبة على فلسطين يومذاك فأقرت في التاسع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ مشروعاً انتزعت بموجبه جزءاً من فلسطين العربية لتقيم عليه دولة يهودية بينما ابقت الجزء الاخر للفلسطينيين يتدبرون فيه امر دولة لهم، ووضعت القدس تحت اشراف دولي. فوافق اليهود على قرار التقسيم هذا ولكنهم رفضوا تدويل القدس. اما العرب، فرفضوا القرار الدولي كله جملة وتفصيلا، وهكذا بدأ الفريقان العربي واليهودي يستعدان لحرب شرسة وطويلة الامد لا تزال تستعر تارة وتخبو اخرى.

والقدس، بما يجاورها من مواقع، ذات موقع استراتيجي وحربي ممتاز، ذلك انها محاطة بالتلال، فاذا امكن الاحتفاظ بهذه التلال فان القدس لا تسقط، واذا سقطت فان الضفة الغربية معرضة كلها للسقوط بسهولة، فهي في الواقع "رقبة الضفة الغربية، وبقية المنطقة غربي النهر، هي الجسر، فاذا استطاع الاسرائيليون ان يطوقوا



... المدرعات تدخل القدس الجديدة من باب



باصابعهم هذه الرقبة فان بقية الجسر تنهار بعد وقت قليل" (الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧) .

كانت المناوشات بين العرب واليهود في فلسطين قد بدأت منذ زمن بعيد، اي منذ ان بدأت اطماع الصهيونية تظهر في فلسطين، ثم اخذت هذه المناوشات تتطور وتتسع حتى تصبح قتالا فعلياً كلما اقترب موعد جلاء الانتداب البريطاني عن هذا القطر العربي وكان قد حدد هذا الموعد ليل ١٤ ــ ١٥ ايار ١٩٤٨، ولكن البريطانيين، متذرعين بقرار التقسيم، اصروا على ان لا يبقى اي جندي اردني في فلسطين العربية منها او اليهودية، فانسحب الجيش الاردني بكامله الى الضفة الشرقية من نهر الاردن قبل الرابع عشر من ايار.

وهكذا ما ان حل منتصف ليل الخامس عشر من ايار، موعد جلاء الجيش البريطاني، حتى كانت القدس خالية من المقاتلين العرب سوى قلة من قوات (الجهاد المقدس) الذين كانوا يفتقرون الى كل شيء: الى السلاح والذخيرة والى الخبرة القتالية، ومع ذلك صمدوا خلال قتال عنيف في الشوارع استمر من ٢٦ كانون الثاني الى ٢٨ ايار سنة ١٩٤٨.

واغتنم اليهود هذه الفرصة، فتسللوا الى القدس القديمة واحتشدوا في الحي اليهودي بعد ان كانت قواتهم قد استولت نهائياً على القدس الجديدة وهرب سكانها العرب الى داخل القدس القديمة، وما ان مضت ساعات على مغادرة المفوض السامي البريطاني للقدس في صباح الرابع عشر من ايار مع آخر جندي بريطاني حتى نشب القتال بين الطرفين، وبدأت صرخات الاستغاثة تتوالى من العرب المقيمين في القدس القديمة، وكان الهاتف يرن دوماً في عمان ينقل هذه الصرخات (اليهود يتقدمون في كل مكان... جميع العرب معرضون للذبح، تعالوا اكراماً لله وانقذونا، تعالوا، تعالوا، اسرعوا ).

وكان ضباط الهاغانا يطوقون شوارع القدس بمكبرات الصوت يخاطبون اهلها بالعربية قائلين "طريق اريحا لا تزال مفتوحة، طيروا من القدس قبل ان تقتلوا" (جندي بين العرب للجنرال غلوب رئيس اركان الجيش الاردني سابقاً).

وفي السابع عشر من ايار، كانت كتيبة من كتائب الجيش الاردني تقدر بستمائة مقاتل "الكتيبة السادسة بقيادة الكولونيل عبدالله التل" تتقدم نحو القدس القديمة لانقاذ اهلها وحماية المقدسات الاسلامية والمسيحية فيها، وفي هذا

الوقت كانت قوات "الجهاد المقدس" تقاتل ببسالة في المدينة القديمة، وما ان اصبح يوم الثامن عشر من ايار حتى كانت هذه الكتيبة تحتل مشارف القدس القديمة وتحاصرها مانعة يهود القدس الجديدة من اقتحام ابوابها وكان هؤلاء قد احتلوا الاحياء المحيطة باسوار القدس القديمة كالشيخ جراح ومدرسة الشرطة وسواهما، بينما كانت قوات الجهاد المقدس تحاصر الحي اليهودي في القدس القديمة وقد عززت هذه القوات بعناصر من الجيش الاردني.

وبدأ ضغط الحصار يشتد على يهود الحي القديم، وقطع اي اتصال بينهم وبين اليهود الذين هم خارج الاسوار (سوى الاتصال اللاسلكي). ثم ادخل قائد القوة الاردنية المحاصرة دباباته الى الحي اليهودي مع فرقة من الهندسة تابعة لقوات الجهاد اخذت تنسف كل اوكار المقاومة، وفي الوقت الذي كانت الكتيبة السادسة الاردنية تهاجم الحي اليهودي في المدينة القديمة، كانت قوات اردنية اخرى تهاجم الاحياء القائمة خارج اسوارها والتي سبق للعدو ان احتلها، وهي، على الميمنة: الشيخ جراح وباب الساهرة ووادي الجوز وباب العمود وعلى الميسرة: النبي داود والثوري وبيت لحم وبيت صفا وبعد عشرة ايام من الحصار المضني، اي في صباح الثامن والعشرين من الشهر نفسه اقبل حاخامان من الحي اليهودي نحو القيادة العربية وهما يحملان علماً ابيض وعرضا استسلام الحي للكتيبة الاردنية، وتمت الموافقة على ذلك بالشروط التي وضعها قائد هذه الكتيبة وهي ان يؤخذ المقاتلون اسرى حرب، وان يرحل النساء والشيوخ والاطفال والجرحى خارج اسوار المدينة المقدسة، وان يتم تسليم السلاح والعتاد الحربي والذخيرة، ووقعت وثيقة التسليم من قبل الكولونيل عبدالله التل قائد الكتيبة عن الجانب العربي، وموشه روزنك قائد الهاغانا عن الجانب اليهودي وذلك في ٢٨ ايار ١٩٤٨.

وقد حشد اليهود في ساحة من ساحات الحي حيث افرز المقاتلون منهم واخذوا اسرى الى عمان، اما باقي الاهالي فقد نقلوا الى الاحياء اليهودية في القدس الجديدة.

وقد بلغت خسائر العدو في هذه المعركة ثلاثمائة قتيل وثمانين جريحاً واربعين اسيراً، اما خسائر العرب فكانت اربعة وعشرين شهيداً (اربعة عشر جندياً نظامياً وعشرة من قوات الجهاد المقدس) وخمسة وعشرين جريحاً.



فريق من اسرى اليهود في القدس القديمة

اسرائيل

الأردن

تل الفول

القدس

سور باهر

بيت لحم

٥ حزيران

٦ حزيران

٧ حزيران

صفر ميل ٢

معركة القدس ـ الهجوم الإسرائيلي

خارج القدس وداخلها

اما اهم نتائج هذه المعركة فهي تطهير القدس القديمة من اليهود بحيث لم يبق فيها يهودي واحد، وذلك لاول مرة منذ اكثر من الف عام. (الكولونيل عبدالله التل - كارثة فلسطين) ولكن القسم الثاني من القدس (القدس الجديدة) ظل تحت سيطرة الدولة اليهودية التي ضربت عرض الحائط بقرارات الامم المتحدة كافة وبقرار تدويل القدس خاصة.

## المرحلة الثانية (١٩٦٧)

في الخامس عشر من ايار عام ١٩٤٨، اعلن قيام الدولة العبرية على ارض فلسطين المحتلة، واصبح الشعب الفلسطيني هو (شعب الشتات) ولم تكتف الدولة الصهيونية بما منحتها اياه - دون وجه حق - هيئة الامم، بل اخذت بالاضافة الى نصيبها من قرار التقسيم، معظم ما خصصته هذه المنظمة الدولية للعرب في ارض فلسطين من نصيب، دون ان تتمكن هذه المنظمة، او ايةارادة اخرى في العالم، من صد اطماعها في المزيد من الارض العربية.

وبعد حوالي عشرين عاماً من الاحتلال الصهيوني الاول لفلسطين وبالتحديد فيالخامس من حزيران عام ١٩٦٧، اندلعت الحرب من جديد بين الدول العربية (مصر وسوريا والاردن) من جهة، واسرائيل من جهة اخرى، لتكون نتيجتها ان تلتهم اسرائيل ما تبقى من القدس، او بالاحرى، المدينة المقدسة بالذات، فتضمها اليها، وتجعل منأورشليم القدس عاصمة لها.

هاجمت اسرائيل، في البدء، مصر، فضربت سلاحها الجوي ضربة قاصمة شلته شللا تاماً، وبعد ان اطمأنت الى انتصارها على الجبهة المصرية قررت اجتياح الضفة الغربية من المملكة الاردنية الهاشمية، وكانت اسرائيل قد حشدت لاحتلال القدس، في المنطقة الوسطى من جبهتها الجنوبية تجاه الاردن ثلاثة الوية: "لواء مشاة"، كانت مهمته احتلال مقر الامم المتحدة على جبل المكبر". "ولواء مدرع" كانت مهمته مهاجمة المواقع الاردنية شماليغربي مدينة القدس. "ولواء مظلي"، كانت مهمته اقتحام المنطقة المحصنة في محلة الشيخ جراح والاتصال بجبل سكوبس ثم مهاجمة المدينة القديمة واحتلالها.

ويتبين من المهمات الثلاث ان الهم الاول لدى اسرائيل كان احتلال الضواحي المحيطة بالقدس القديمة ثم احتلال القدس القديمة بعدها.

### لواء المشاة:

كانت القوات الاردنية قد احتلت في صباح ٥ حزيران دار الحكومة القديمة على جبل المكبر في المنطقة المحرمة جنوبي القدس، ولكن القوة الاردنية التي قامت بهذه المهمة كانت عبارة عن مفرزة من المشاة فقط، وبعد ظهر اليوم نفسه قام لواء المشاة الاسرائيلي بهجوم على هذه الدار فاحتلها، وفي مساء اليوم الاول من القتال كان هذا اللواء قد احتل جميع الاهداف التي حددت له، وطوقالقدس العربية (القديمة) من الجنوب كما قطع اتصالها ببيت لحم والخليل.

### اللواء المدرع:

قام هذا اللواء في اليوم الاول من القتال بالهجوم على المواقع الاردنية الحصينة في تل الشيخ عبد العزيز وتل الرادار وقرية البدو وقرية بيت اكسا، وكانت تحتل هذه المواقع جميعها كتيبة مشاة اردنية، وقد بدأ العدو هجومه عليها عند حلول الظلام من مساء ٥ حزيران حيث بدأت القوات المدرعة الاسرائيلية بازالة المراكز الدفاعية التي كانت تعترضها للوصول الى اهدافها ممهدة لذلك بقصف جوي دقيق على تلك المراكز، وفي مساء ٥ حزيران سقط تل الشيخ عبد العزيز بيد العدو ودار قتال عنيف على تل الرادار انتهى بسقوطه كذلك، ثم استولى العدو على قريتي البدو وبيت اكسا في منتصف الليل.

وما ان اصبح نهار ٦ حزيران حتى كانت المدرعات الاسرائيلية قد أنهت مهمتها في ذلك القطاع وانطلقت قوة منها لتحتل بيت لقيا في الساعة الرابعة من صباح اليوم المذكور كما انطلقت قوة اخرى لتحتل تل الفول على طريق القدس - رام الله. وهكذا تمكن العدو من ان يقطع



■ الكونت "فولك برنادوت" ١٣ تموز ١٩٤٨ .



ـ الحاخام اليهودي حاملاً العلم الابيض

الطريق الذي يربط القدس بوادي الاردن مانعاً عن الجيش الاردني وصول الامدادات عن تلك الطريق، فاصبحت القدس بذلك محاصرة من الشمال والجنوب.

**اللواء المظلي:** هو اللواء المظلي الوحيد الذي كان لدى اسرائيل في ذلك الحين، ويتألف من النخبة من ضباط الجيش الاسرائيلي وجنوده وقد انيطت به مهمة احتلال الشيخ جراح والقدس القديمة، وكان مركزه بالقرب من مطار اللد.

وكان هذا اللواء يتألف من ٣ كتائب مظليين وكتيبة مدفعية وسرية استطلاع وسرية لاسلكي وخدمات ادارية مع كتيبة دبابات (٥٤ دبابة) فكان فيه اذن زهاء ٣٧٠٠ ضابط وجندي بالاضافة الى المساندة المؤمنة له بالمدفعية والطيران.

اما القوة الاردنية المقابلة له فكانت كتيبة واحدة اي نحو ٧٠٠ ضابط وجندي مع ١٢ مدفعاً و٦ رشاشات (الكتيبة الثانية) هذا بالاضافة الى ان الكتيبة المذكورة كانت محرومة من المساندة الجوية لافتقار الجيش الاردني كله لذلك.

بدأ هذا اللواء هجومه على المواقع الاردنية (التل المدور والشيخ جراح) صباح ٦ حزيران فتقدمت وحداته الى اهدافها بمساندة المدفعية

والدبابات ولكن المقاومة كانت عنيفة وضارية حتى ان قائد اللواء المظلي للعدو اعترف بان خسائره كانت جسيمة في هذا الهجوم اذ وصل احد آمري سراياه الى هدفه مع اربعة جنود فقط، ووصل آمر سرية اخرى مع سبعة جنود فقط، كذلك كانت خسائر القوات الاردنية المدافعة جسيمة اذ خسرت السرية المدافعة عن مدرسة الشرطة ١٢٣ قتيلا من اصل ١٤٠ مقاتلا، وخسرت السرية المدافعة عن التل المدور (١٧ قتيلا) والسرية المدافعة عن الشيخ جراح (٤٤) قتيلا، ورغم كل ذلك فقد توصل العدو الى احتلال هذه المواقع كما احتل مناطق المندلبوم والمصراره وباب العمود ومدرسة المطران وغيرها ووصل الى باب السامرة كما احتل المرتفعات الواقعة شرقي المدينة.

وما ان انتصف ليل ٦ ـ ٧ حزيران حتى كان العدو يدق اسوار المدينة المقدسة بجنده ومدرعاته، وكان على اللواء المظلي ان يحتل تل (اوغستا فيكتوريا) و(جبل الزيتون) تمهيداً لمهاجمة المدينة القديمة.

وفي الساعة ٨،٣٠ من صباح ٧ حزيران تقدم هذا اللواء، مسنوداً بفوجي مدرعات، الى اهدافه، فوجدها خالية من اية مقاومة اذ انسحبت القوات الاردنية منها قبل الهجوم. وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم نفسه اصدر قائد اللواء المظلي امره الى اللواء بالهجوم على المدينة المقدسة، قائلا:

"ايها المظليون، نحن اليوم على ابواب المدينة القديمة، ان حلمنا ستحقق ويحق لكم ان تفتخروا بما ستفعلونه" (حرب حزيران للعميد الركن حسن مصطفى)، ثم تقدم العدو ليدخل المدينة المقدسة بدباباته وجنده من ابوابها التاريخية القديمة (باب الاسباط وباب الساهرة) دون مقاومة تذكر، وبعد ذلك بدقائق وصل الحاخام الاكبر لجيش العدو وتقدم من حائط المبكى فقبله ثم نفخ في بوق من قرن الثور معلناً لليهود السقوط التاريخي للمدينة المقدسة.

وبعد، هل تعتقد الصهيونية انها مالكة فلسطين والقدس الى الابد؟ وان حرب العرب معها على ارض فلسطين هي آخر حروب بيت المقدس؟ اشك في ذلك، فليس الصهاينة اغبياء ولا مضللين، بل هم يفقهون جيداً منطق التاريخ، ويعرفون جيداً ان صراعهم مع الامة العربية هو صراع وجود لا صراع حدود، وان العرب، مهما طال الزمن، وقسا عليهم وجار، لا بد، الى القدس، وفلسطين، عائدون. انذلك ليس ادعاء ولا تبجحا، انه منطق التاريخ، فالصهيونية، في المشرق العربي، صليبية جديدة، بل انها خلية غريبة في جسمنا القومي المترامي الاطراف، ولابد لهذا الجسم من ان يلفظ تلك الخلية عاجلا ام اجلا.

## المراجع


- فتوح البلدان للبلاذري
- تاريخ الرسل والملوك للطبري، الجزء الثالث
- كارثة فلسطين للكولونيل عبدالله التل، الجزء الاول
- معارك العرب الحاسمة لصبحي عبد الحميد
- تاريخ العرب للدكتور فيليب حتي، الجزء الثاني
- حرب حزيران للعميد الركن حسن مصطفى، الجزء الثاني
- تاريخ العرب العسكري لمحمود الدره
- معارك خالد بن الوليد للمقدم ياسين سويد
- قادة فتح الشام ومصر للواء الركن محمود شيت خطاب
- جندي بين العرب للجنرال جون فلوب تعريب دار العلم للملايين
- حروب الاسلام والامبراطورية الرومية لامين سعيد
- فلسطين عبر ستين عاماً لاميل الغوري الجزءان الاول والثاني
- صلاح الدين الايوبي لقدري قلعجي
- الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت
- معارك العرب ضد الغزاة لمحمد عماره
- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب لمحمد العروسي المطوي
- مجلة الهلال، جندالله قادة الانتصارات العربية، ايلول ١٩٧٣
- مجلة الهلال، عدد خاص عن العواصم العربية، ايلول ١٩٧٤



# المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ١٥١٦ - ١٩٣٩

د. نقولا زيادة

## ١ ـ مقدمة

■ نشأنا في شبابنا والكتاب العربي الذي يكاد يكون وحيداً عن تاريخ العرب هو "محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية" للمرحوم محمد الخضري (بك). وهذه المحاضرات كان قد القاها المؤلف على طلبة الجامعة المصرية (الاهلية) التي انشئت في القاهرة في مطلع هذا القرن. صحيح انه كان ثمة كتب تناولت بعض الشخصيات الكبرى في التاريخ العربي الاسلامي مثل الجزء الاول من "اشهر مشاهير الاسلام" لرفيق العظم، ولكن الذي نقصده هو الكتاب الذي يتناول التاريخ العربي بكامله، او باطول فترة منه على الاقل.

وبعد فترة طويلة طلع علينا كتاب المرحوم حسن ابرهيم حسن وهو المعروف بتاريخ الاسلام السياسي، والذي طبع طبعات مختلفة ووسع وزيد فيه. واظن ان الاربعينات (ان لم تكن الخمسينات) من هذا القرن شهدت آخر طبعاته.

والطابع الرئيسي لهذين الكتابين ولعدد من الكتب التي ظهرت بينهما او حتى بعد الثاني هو الاهتمام بالناحية السياسية والحربية للتاريخ.

ولكن منذ الحرب العالمية الثانية، دون تحديد السنة، اخذ الباحثون انفسهم بالاهتمام بنواح اخرى من التاريخ العربي الاسلامي. وكان التركيز الاول على الناحية الاقتصادية. وان لم تكن دراسة الدكتور عبد العزيز الدوري عن تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري الدراسة الرائدة في هذه الناحية، فهي من الدراسات الرائدة.

ثم عني الدارسون بالنواحي الاجتماعية والثقافية والفكرية، وظهرت دراسات خاصة ومتخصصة. ومع ان الامر لا يزال في دوره الاول، فان الطلائع تبشر بالخير.

على ان الامر الذي يلفت النظر هو هذا الاهتمام الذي تبديه مؤسسات مختلفة في اعادة كتابة التاريخ العربي الاسلامي. وقد عقدت اجتماعات مختلفة وكونت لجان كثيرة للبحث في هذه القضية. ولسنا نريد ان نتحدث عن هذه الناحية لسببين: الاول ان المجال هنا لا يتسع لذلك، والثاني هو اننا لا نريد ان نضرب مثلا او اثنين حتى لا نسيء الى المؤسسات الاخرى. ولعلّ الموضوع يحتاج الى بحث واف، وقد يعالج في المستقبل.

هذا الى الاهتمام بالتأريخ لمناطق خاصة من البلاد العربية، والمؤتمرات لذلك كثيرة:

## ٢ ـ المؤتمر الدولي الاول لتاريخ بلاد الشام

وقد جاء دور بلاد الشام لتكون موضوعا لمؤتمر او اكثر. وكان من ذلك ان عقد هذا المؤتمر (الاول) في الجامعة الاردنية بعمان في المدة بين ٢٠و٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٧٤، وتناول القرون العشرة الاولى منذ ظهور الاسلام.

والفكرة بحد ذاتها وليدة تفاهم بين قسمي التاريخ في جامعة دمشق والجامعة الاردنية على اساس تعاون مشترك. وكان المؤتمر ناجحا الامر الذي حدا بالمسؤولين الى الاستمرار في عقده.

وكان الاتفاق ان يعقد المؤتمر مرة كل سنتين، ولكن بداء عندما وضع الامر موضع البحث الجدي ان المدة غير كافية، فضلا عن امور اخرى اخرت انعقاد المؤتمر الثاني.

ولما بدئ بالتفكير في عقد المؤتمر الثاني، وكان ذلك في عام ١٩٧٦، كانت ثمة اقتراحات متعددة، منها ان يكون المؤتمر في عمان ودمشق - ثلاثة ايام لكل منهما. واخيرا رؤي ان التنظيم والترتيب والتنفيذ تقتضي ان يكون المؤتمر في مكان واحد. وكان ذلك من حق دمشق وجامعتها.

وكما كانت الجامعة الاردنية المؤسسة المضيفة للمؤتمر الاول، كانت جامعة دمشق المؤسسة المضيفة للمؤتمر الثاني.

## ٣ - الترتيب لعقد المؤتمر الثاني

مما يسر كل عربي ان يأتي عقد المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام تعبيرا عن الاتفاق بين القطرين الشقيقين (سورية والاردن) على توثيق التعاون بينهما، بحيث ان المؤتمر جاء ترجمة عملية عن اتفاق توأمة بين جامعة دمشق والجامعة الاردنية.

وقد اتخذ الاعداد لعقد المؤتمر خطوات يجدر بنا ان نشير اليها هنا.

١ - الاتفاق نهائيا على ان يعقد المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام في جامعة دمشق - كلية الآداب - في المدة بين ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) و٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٨ (٢٧ ذي الحجة ١٣٩٨ - ٣ المحرم ١٣٩٩).

٢ - حددت الاطر العامة لموضوعات المؤتمر كما يلي :

أ - الفترة التي يتناولها المؤتمر هي ١٥١٦ - ١٩٣٩.

ب - تدرس في المؤتمر مصادر تاريخ بلاد الشام الحديث والمعاصر وبخاصة غير المنشورة من مخطوطات ووثائق ومذكرات.

ج - توجه العناية الى دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لبلاد الشام.

د - يعنى بالعلاقات الدولية لبلاد الشام.

٣ - سمي اعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام بموجب قرار السيد وزير التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية ذي الرقم (١٦/د) تاريخ ١٩٧٨/١/١٦ وهي مؤلفة من السادة

السيد الدكتور مصطفى حداد
رئيس جامعة دمشق - رئيسا
السيد الدكتور اسعد لطفي
وكيل جامعة دمشق - نائبا للرئيس



منظر عام لجلسة الافتتاح

السيد الدكتور احسان النص
عميد كلية الآداب ـ عضوا
السيد الدكتور احمد طربين
رئيس قسم التاريخ ـ عضوا
السيد الدكتور محمد خير فارس
الاستاذ في قسم التاريخ ـ عضوا
السيدة الدكتورة ليلى الصباغ
الاستاذة في قسم التاريخ ـ عضوا
السيد الدكتور نبيل المرابط
الاستاذ في قسم التاريخ ـ عضوا
السيدة الاستاذة دعد طائع
مديرة الدراسات في وزارة التعليم العالي ـ عضوا
السيدة الاستاذة عفاف سكر
مديرة الشؤون الثقافية بجامعة دمشق ـ عضوا
السيد الاستاذ عدنان الرفاعي
امين المجلس الاعلى للعلوم ـ عضوا

وقد مثل الجامعة الاردنية في اللجنة التحضيرية الدكتور علي محافظة

وجدير بالذكر ان الدكتور احمد طربين كان في الواقع الامين العام للمؤتمر، ولولبه الفعال.

٤ ـ وجهت الدعوات لحضور المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام على اساس الاختصاص والاهتمام ببلاد الشام. وكانت الدعوات شخصية. فالذين حضروا المؤتمر لم يكونوا يمثلون بلادهم ولا المؤسسات التي يعملون فيها.

٥ ـ عمل الذين قاموا بترتيب واعداد البرامج وتنفيذها جهدهم لانجاح المؤتمر. ويتمثل هذا في الامور التالية (على سبيل المثال)

ا ـ ترجمة الدراسات والبحوث التي قدمت باللغتين الانكليزية والفرنسية الى اللغة العربية.

ب ـ بذل الجهد في توزيع البحوث قبل يوم من تقديم اصحابها لها.

ج ـ نقلت بعض البحوث التي وضعت بالعربية ونحسب ان الباقي قد نقل او سينقل الى اللغة الانكليزية، تيسيرا للعلماء الاجانب، الذين لا يعرفون العربية، لمتابعة المناقشة.

## ٤ ـ المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام (١٥١٦ ـ ١٩٣٩)

لبى دعوة اللجنة التحضيرية للمؤتمر نيف وسبعون عالما وعالمة من مختلف اقطار العرب والعالم. ان بعض هؤلاء لم يقدموا دراسات، (والبعض لم يتمكن من المجيء في آخر لحظة) ولكن اللجنة "استوحت في جميع الدعوات التي وجهتها تحقيق لقاء فكري وعلمي مع الدارسين المتخصصين العرب وغير العرب بصدد ما يطرح



أ. د. شاكر الفحام

على بساط البحث التاريخي من قضايا ومشكلات تهدف في النهاية الى جلاء صفحات مجهولة من تاريخ بلاد الشام". والواقع ان حتى الذين لم يقدموا بحوثا قد اسهموا في المناقشات. ولا يقل عن ذلك اهمية في رأينا القضايا التي كانت تثار على موائد الطعام او في صالات الفنادق. فما اكثر ما جلت هذه اللقاءات غامضا، واوضحت فكرة، واثارت جدلا.

اما البحوث التي قدمها اصحابها ونوقشت فعلا فقد زاد عددها عن الخمسين. واذا نحن استثنينا بحثا واحدا فجميع البحوث والدراسات التي قدمت كانت ضمن الاطر التي رسمتها اللجنة التحضيرية. (الموضوع المستثنى كان عن علاقة الاندلس بسورية في القرن الثاني الهجري، ويبدو ان تسمية المؤتمر بالثاني ادى الى هذا اللبس!)

وقد امكننا ان نقسم الموضوعات على النحو التالي، وان كنا واثقين من انه من الصعب ان يصل المرء الى تقسيم دقيق لمثل هذا العدد من الموضوعات والدراسات.

| | |
|---|---|
| ١ ـ الموضوعات الاقتصادية | ١٠ |
| ٢ ـ البحوث الاجتماعية | ١٠ |
| ٣ ـ الدراسات الثقافية | ٩ |
| ٤ ـ الدراسات السياسية | ١٨ |
| ٥ ـ متفرقات | ٤ |
| المجموع | ٥١ |

والمتفرقات كان فيها شيء طريف، منها فلم "ضمت فيه صور قديمة لبلاد الشام تعود في تصويرها الى النصف الثاني من القرن الماضي.



د. مصطفى حداد

وقد عرض الفلم مع وصف ناطق للاستاذ كارني غافن من جامعة هارفارد بالولايات المتحدة، والصور تمثل البتراء وجرش وبعض مناظر مدينة دمشق. والصور مختارة من نحو ٣٠٠٠٠٠ موجودة تحت تصرف الاستاذ غافن.

## ٥ ـ برنامج المؤتمر

كانت حفلة الافتتاح في صباح يوم الاثنين ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨، التي القيت فيها كلمات للسيد رئيس الجمهورية العربية السورية، حافظ الاسد، وكلمة للسيد وزير التعليم العالي (الدكتور شاكر الفحام) وكلمة لممثل رئيس المؤتمر الاول (وقد كان رئيس المؤتمر الاول في عمان سمو الامير حسن، ولي عهد الاردن) والقى الكلمة الدكتور ناصر الدين الاسد رئيس الجامعة الاردنية، وكلمة رئيس اللجنة التحضيرية الدكتور مصطفى حداد.

وعقدت بعد ذلك احدى عشرة جلسة علمية، وكانت البحوث تقدم في قاعة واحدة، مما ادى الى ضرورة تقديم عدد كبير من البحوث في وقت قصير. وكان ثمة جلسة ختامية.

وكان لكل جلسة رئيس ومقرر.

وقد رتبت زيارات ذات قيمة ثقافية ووطنية شملت الاماكن التالية (نذكرها حسب ورودها في البرنامج)

١ ـ المتحف الوطني (حيث عقدت جلسة الافتتاح)
٢ ـ المتحف الحربي وسوق المهن اليدوية
٣ ـ كلية السلطان سليم
٤ ـ الجامع الاموي
٥ ـ متحف التقاليد الشعبية
٦ ـ ضريح صلاح الدين
٧ ـ متحف الخط العربي
٨ ـ المدرسة العادلية الكبرى.
٩ ـ مدينة القنيطرة
١٠ ـ دير صيد نايا ومنطقة معلولا
١١ ـ كنيسة حنانيا ونافذة القديس بولس
١٢ ـ مقام السيدة زينب
١٣ ـ زيارة لعمان بدعوة من الجامعة الاردنية

وكان ثمة دعوة كريمة للعشاء يوم الافتتاح وهي دعوة السيد رئيس الجمهورية. كما دعا وزير التعليم العالي الى حفلة عشاء ختامية (٢ كانون الاول ـ ديسمبر ـ ١٩٧٨) وزعت فيها شهادات تقدير وهدايا دمشقية على الاعضاء.

وقد استمتع الاعضاء بحضور حفلة فنية اقامتها فرقة امية. وكانت الدعوة من السيدة وزيرة الثقافة والارشاد القومي.

## ٦ ـ المقررات والتوصيات

وفي ما يأتي نص المقررات والتوصيات التي اصدرها المؤتمر:

انعقد المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام بمدينة (دمشق) من ٢٧ ذي الحجة ١٣٩٨هـ ـ الثالث من محرم ١٣٩٩هـ الموافق لـ٢٧ من تشرين الثاني حتى ٣ كانون الأول ١٩٧٨. وقد شارك في المؤتمر خمسة وسبعون مؤرخا وباحثا، من بلاد الشام، ومن المؤسسات العلمية العربية والعالمية.

وقد عقد المؤتمر اثنتي عشرة جلسة، استمع خلالها للبحوث التي قدمت له، والتي تربو على خمسة وخمسين بحثا. وقد عالجت تاريخ بلاد الشام في الحقبة الممتدة بين دخول العثمانيين الى بلاد الشام (٩٢٢هـ ـ ١٥١٦م)، وبدء الحرب العالمية الثانية (١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م) وقد بحثت بصفة خاصة، الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، وعلاقات بلاد الشام مع الأقطار العربية، ومع بلدان العالم، ولاسيما الأوروبية منها، وتعرضت لبعض القضايا السياسية وربطها مع جذورها الاجتماعية والاقتصادية، المحلية والعالمية، كما خصت بعض مصادر البحث بالدراسة مع بيان قيمتها في ايضاح صورة الماضي. وقد ناقش المؤتمرون تلك البحوث بروح علمية وموضوعية، كما تداولوا في شؤون المؤتمر بعامة، وفي نتائج تلك البحوث، وتوصل المؤتمر بعد المناقشة والمداولة الى المقررات الآتية:

١ ـ كانت البحوث المقدمة للمؤتمر، والمناقشات التي رافقتها، خصبة ومفيدة: فقد كشفت عن جوانب غامضة من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والدولي لبلاد الشام، وأثارت قضايا هامة تتطلب بحثا واستقصاء أعمق للوصول الى حقيقة وقائعها.




# براءة تقدير

بناء على قرار اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي الثاني
لتاريخ بلاد الشام يمنح السيد
هذه البراءة تقديرا لجهوده في البحث الذي قدمه للمؤتمر
دمشق في ٢ / ١٢ / ١٩٧٨

رئيس المؤتمر
وزير التعليم العالي
الدكتور شاكر الفحام

☐ صورة من "براءة تقدير" قدمتها وزارة التعليم العالي وجامعة دمشق لجميع الذين قدموا دراسات للمؤتمر

٢ – أثبتت تلك البحوث التاريخية بمنهجية علمية دقيقة، ان بلاد الشام حتى عام ١٩٢٠ وقبل تمزيقها الى وحدات سياسية منفصلة وتسلل العنصر الصهيوني الدخيل الى جنوبها (فلسطين) انها وحدة تاريخية مثلما كانت وحدة طبيعية عبر جميع العصور العربية الاسلامية.

٣ – اكدت ان علاقات بلاد الشام مع بقية البلاد العربية، هي علاقات وحدة حضارة عربية واحدة واصيلة، لم تنفصم عبر العصور، وانها علاقات امة عربية واحدة، بل وحدة سياسية موحدة.

٤ – ابرزت ان الشعب العربي في بلاد الشام، على الرغم من بعض الصراعات الاجتماعية بين فئاته في بعض فترات تلك المرحلة، وشأنها كشأن أية صراعات داخلية في اي مجتمع من المجتمعات، هو وحدة ملتحمة واحدة، تسود صلات افراده وفئاته، روح اخاء وحب وسلام، طالما أن العناصر الاجنبية لا تتدخل في شؤونه.

٥ – اوضحت ان صلات بلاد الشام مع مختلف اجزاء العالم الاوروبي كانت صلات تجارة وسلام واخذ حضاري وعطاء، طالما ان ذلك العالم الاوربي، بدوله المختلفة، كان يريد السلام والحضارة، وعدم التسلط والاستغلال.

٦ – أكدت ان الصهيونية عنصر دخيل على بلاد الشام، اتخذ لنفسه مكانا غير شرعي فيها، ويعلن المؤتمر عن تضامنه مع الشعب العربي الفلسطيني وعن تمسكه بتنفيذ قرارات الامم المتحدة في الجلاء عن الأراضي العربية المحتلة، والاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني الوطنية بما في ذلك حقه في اقامة دولته المستقلة.

٧ – يتوجه المؤتمر بنداء حار الى اليونيسكو والهيئات التاريخية العالمية، ويناشدها حماية التراث العربي والحفاظ على الطابع العربي في المعالم التاريخية والدينية في فلسطين والقدس.

## التوصيات

١ – يقدم اعضاء المؤتمر خالص شكرهم وتقديرهم باسم جامعاتهم ومؤسساتهم العلمية وبلدانهم الى سيادة الرئيس حافظ الاسد، على رعايته لهذا المؤتمر، ويعربون عن شكرهم للحكومة العربية السورية وكافة مؤسساتها على ما قدمته من عون ومساعدة ويشكرون جامعة دمشق لكل ما بذلته من جهد لانجاح هذا المؤتمر.

٢ – يقترح المؤتمر ان يكون التركيز في المؤتمرات القادمة لتاريخ بلاد الشام على بحث فترة زمنية محددة لا تجاوز القرن او القرنين، حتى يكون البحث أدنى الى الوفاء بمتطلبات البحث العلمي المجدي، أو علىّ بلد من بلاد الشام يدرس تاريخه في نواحيه المختلفة السياسية والحضارية على امتداد عصور التاريخ.

٣ – ان توجه البحوث التاريخية توجيها اكبر نحو دراسة النواحي الاقتصادية والاجتماعية وبالطرق العلمية الدقيقة، المعتمدة على الأصول الاولى، والمدعمة بالاحصاءات والخطوط البيانية، والخرائط، وان يفرد للمرأة دراسات خاصة.

٤ – أن تسلط أضواء أقوى على بحث علاقات بلاد الشام مع بلدان العالم المختلفة، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا.

٥ – أن تكون المظاهر الثقافية، وتطور العلوم والمعارف المختلفة، في بلاد الشام، محورا من محاور البحوث التاريخية وكذلك تطور عمران المدن فيها.

٦ – أن ينمى الاعتماد في مختلف البحوث التاريخية على الاصول الوثائقية في دور المحفوظات العربية والعثمانية والأوروبية، وعلى المخطوطات العربية المعاصرة للحقبة المدروسة، التاريخية منها وغير التاريخية.

٧ – ان يتعاون المؤرخون والبحاثة العرب العاملون في تاريخ بلاد الشام في العصور الحديثة، على تكوين مركز توثيق لهذا التاريخ، ويرجو المؤتمر أن يحظى هذا المشروع بدعم مالي كاف من الحكومات المعنية.

## مهام المركز

ويكون من مهام هذا المركز الامور التالية:

أ – جمع نسخ مصورة من مختلف الوثائق المخطوطة المتعلقة بتاريخ بلاد الشام خلال العصور الحديثة والمبعثرة في مختلف دور المحفوظات، والمكتبات العربية والأجنبية، وكذلك جمع نسخ من المنشور منها.

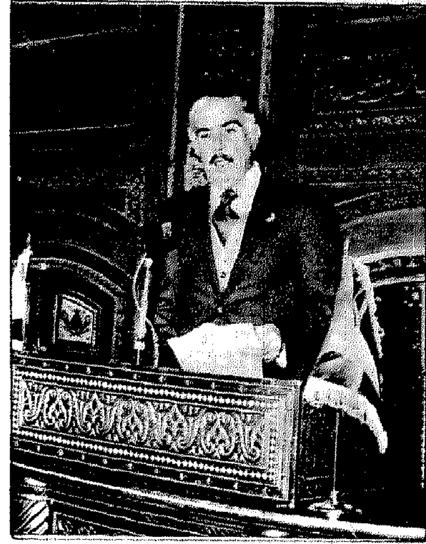
ب – تأسيس مركز خاص للتوثيق في عاصمة من عواصم بلاد الشام، لتسهيل سبل البحث في تاريخ هذه البلاد.

جـ – اصدار "بيبليوغرافيا" (فهرس عام) لجميع مصادر تاريخ بلاد الشام في العصور الحديثة: من وثائق في دور المحفوظات المختلفة، ومخطوطات عربية موزعة في مكتبات العالم، ومطبوعات عربية واجنبية قديمة وحديثة، وصور متنوعة، وأشرطة تسجيل، وأفلام وغيرها. وان تصنف تلك البيبليوغرافيا العامة التصنيفات المتنوعة التي تساعد على تسهيل البحث في جميع نواحي تاريخ بلاد الشام.

د – السعي لنشر أكبر قدر من تلك المصادر المحفوظة مرفقة بالشروح.

هـ – وضع أطلس تاريخي جغرافي مفصل لبلاد الشام.

و – تشجيع ترجمة الوثائق الأجنبية الهامة الى العربية ونشرها.



د. شاكر فرحان

ز ـ التعاون مع مختلف هيئات التوثيق في العالم، والسعي لديها لتسهيل سبل الحصول على وثائقها بشروط مشجعة للباحث في تاريخ بلاد الشام.

ح ـ السعي لدى اليونيسكو كي يتم الحصول على صور من الوثائق المحلية في فلسطين، أكانت وثائق المحاكم الشرعية فيها أو أرشيفات الدولة ما بين الحربين العالميتين وحتى ١٩٤٨.

ط ـ القيام باتصالات مع جميع الهيئات التاريخية العالمية، والمؤرخين العاملين في حقل تاريخ بلاد الشام لتزويد مكتبة مركز التوثيق المقترح بجميع منشوراتهم، حتى تبقى الصلة قائمة بين العاملين في هذا الحقل الواحد، ومعرفتهم بالجديد فيه.

ي ـ تنمية الوعي التوثيقي التاريخي لدى الطلاب في جميع مراحل التعليم، ولدى مجموع الشعب، بشتى الوسائل الاعلامية.

٨ ـ أن تتم طباعة بحوث هذا المؤتمر ونشرها. ومن شاء من الباحثين أن ينقح بحثه، يتوجب عليه أن يرسله الى أمانة سر المؤتمر بتاريخ أقصاه ١٩٧٩/٤/١٥ والا اعتبر البحث المقدّم للمؤتمر صالحاً للطباعة والنشر.

## ٧ ـ البحوث التي قدمت ونوقشت

**١ ـ د. خليل ساحلي (جامعة استانبول)**
تغير طرق التجارة والتنافس بين ميناءي طرابلس والاسكندرونة في القرن السابع عشر

**٢ ـ د. ظافر القاسمي (الجامعة اللبنانية)**
المظاهر الاجتماعية في كتاب قاموس الصناعات الشامية.

**٣ ـ د. مصطفى محمد رمضان (جامعة الأزهر ـ القاهرة)**
رواق الشام بالأزهر أبان العصر العثماني.

**٤ ـ أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور (جامعة الكويت)**
المجتمع الشامي في العصر العثماني بين العصور الوسطى والحديثة.

**٥ ـ د. نشأة حمارنة (جامعة دمشق)**
الاطباء العرب في القرن السادس عشر

**٦ ـ أ ـ أ.د ليلى الصباغ (جامعة دمشق)**
وثيقة عربية شامية من القرن التاسع الهجري حول الصناعة النسيجية والنساج.

**٦ ـ ب ـ أ.د ليلى الصباغ**
المحبي المؤرخ وكتابه خلاصة الاثر

**٧ ـ د. عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم (جامعة قطر)**
علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني (١٥١٧ ـ ١٧٩٨)

**٨ ـ د. ناصر الدين سعيدوني (جامعة الجزائر)**
نظرة في اراضي الميري ببلاد الشام اثناء العهد العثماني

**٩ ـ د. عبد الله حنا (دمشق)**
تحركات العامة في دمشق وحلب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

**١٠ ـ د. أحمد عوني ماضي (الجامعة الأردنية)**
الملامح الاساسية لفلسفة شبلي شميل المادية.

**١١ ـ د. تاج السر أحمد حران (جامعة الخرطوم)**
دور السوريين في الحركة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩١٤

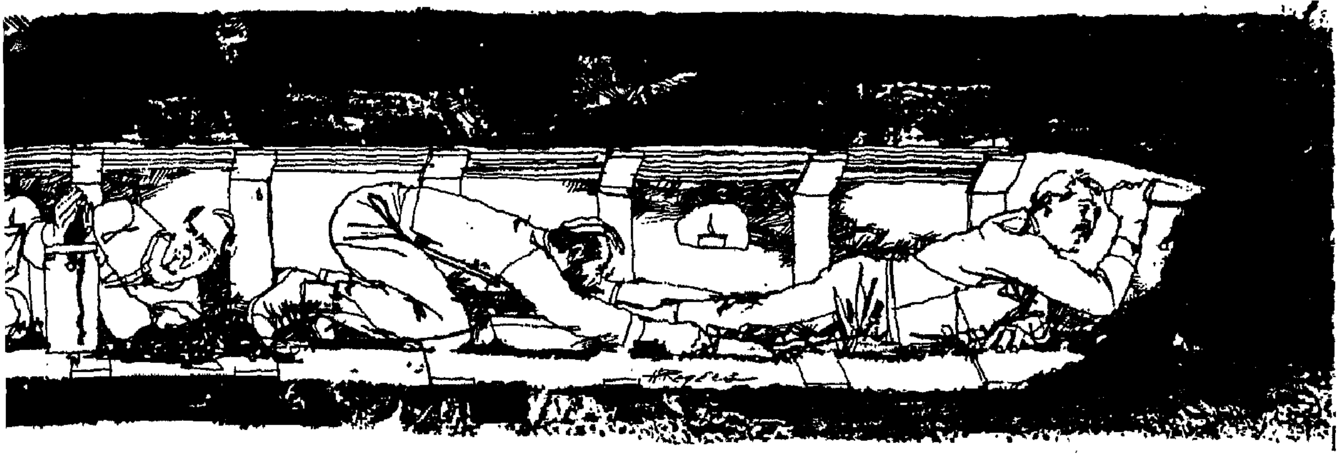
**١٢ ـ د. علي محافظه (الجامعة الأردنية)**
التيارات السياسية في فلسطين في القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩٢٥

**١٣ ـ د. عصام الصفدي (الجامعة الاردنية)**
رسائل الى الغرب. الرحالة الانكليز في بلاد الشام

**١٤ ـ أ.د. أحمد طربين (الجامعة السورية)**
الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام ابان القرن التاسع عشر من خلال "حلية البشر"

**١٥ ـ السيد سليمان موسى (الاردن)**
محب الدين الخطيب

**١٦ ـ ا٠د٠ عبد الجليل التميمي (الجامعة التونسية)**
الامير عبد القادر في السنوات الاربع الاولى من اقامته في دمشق (١٨٥٦ ـ ١٨٦٠)
**١٧ ـ د٠ مصطفى كريم (الجامعة التونسية)**
المنافسة الامبريالية الفرنسية الانكليزية والاحتلال الفرنسي لسورية ولبنان
**١٨ ـ ا٠د٠ نقولا زيادة (استاذ شرف، قسم التاريخ، الجامعة الاميركية، بيروت)**
لبنانيون درسوا بالأزهر في القرن التاسع عشر
**١٩ ـ د٠ ذوقان قرقوط (جامعة دمشق)**
الوثائق الفرنسية عن سوريا (١٨٩٠ ـ ١٩٢٩)٠
**٢٠ ـ خيرية قاسمية (جامعة دمشق ومعهد البحوث والدراسات في القاهرة)**
قضية الحدود بين فلسطين ومصر (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) وأثرها في جذور الصراع العربي الصهيوني
**٢١ ـ د٠ وجيه كوثراني (الجامعة اللبنانية)**
مشاريع السيطرة والتجزئة في بلاد الشام من خلال أرشيف الخارجية الفرنسية
**٢٢ ـ د٠ محمد الشعفي (الرياض)**
علاقة الدولة السعودية الاولى بالشام (**لم يحضر**)
**٢٣ ـ د٠ سامي حمارنه (معهد سمستونيان ـ وشنطن ـ الولايات المتحدة)**
الزراعة من خلال مخطوطة الغزى
**٢٤ ـ د٠ كمال عبد الفتاح (جامعة بيرزيت)**
التنظيم المالي والانتاجية الاقتصادية لألوية بلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن ألسادس عشر
**٢٥ ـ د٠ مسعود ضاهر (الجامعة اللبنانية)**
التطور التاريخي للمسألة الطائفية في لبنان
**٢٦ ـ د٠ جهاد مجيد محي الدين**
المقاومة العربية في بلاد الشام وجمال باشا
**٢٧ ـ أ٠د٠ اندريه ريمون**
تطور مدينة حلب في القرن السادس عشر
**٢٨ ـ د٠ بدرو شالميتا**
السوريون والاندلس
**٢٩ ـ د٠ ضحى شطي**
توسع البدو في بلاد الشام وانحسارهم
**٣٠ ـ د٠ مانولا مارين٠ المعهد الاسباني العربي للثقافة في مدريد**
العلاقات بين اسبانيا والمشرق خلال القرن الثامن عشر
**٣١ ـ أ٠د ارجمند كوران جامعة (هاجي تايه انقره)**
ساطع الحصري كمثقف عثماني٠
**٣٢ ـ ا٠د٠ كارني غافان (جامعة هارفارد)**
مشاهد من الصور في الماضي القريب لبلاد الشام (١٨٠٠ ـ ١٩٤٠)
**٣٤ ـ ا٠د٠ الكسندر شولش (جامعة اسن، المانية الاتحادية)**
التطور الاقتصادي لفلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر
**٣٥ ـ ا٠د٠ ستيفن وايلد (جامعة بون)**
دمشق في القرن الثامن عشر من خلال مذكرات البديري
**٣٦ ـ ا٠د٠ بيتر غران٠ (جامعة اوستن، تكساس)**
الاسس الاجتماعية للثقافة في دمشق
**٣٧ ـ أ٠د٠ ماريو غرينياشي (السمنار العربي ـ البندقية)**
الاقطاع التركماني٠ في دول ـ قادرية
**٣٨ ـ د٠ جورج خوري (جامعة مينذوتا ـ الولايات المتحدة)**
المصادر العربية لتاريخ دمشق في اوائل القرن التاسع عشر
**٣٩ ـ ا٠د٠ نجاة غوينك (جامعة استانبول)**
بعض الوثائق عن بلاد الشام في الارشيفات العثمانية
**٤٠ ـ ا٠د٠ روبرت مانتران (جامعة بروفانس، فرنسة)**
حول النقوش العثمانية لدمشق
**٤١ ـ ا٠د٠ فريتز شتيبات (جامعة برلين الحرة)**
تغلغل المفاهيم السياسية والاجتماعية الدنيوية (العلمانية) في بلاد الشام في القرن التاسع عشر
**٤٢ ـ د٠ ليندا شيلشر (معهد التاريخ الاوروبي، ماينى)**
جوانب الوضع العام في أواخر القرنين الثامن عشر والتاسع عشر
**٤٣ ـ شيري فاتر (مرشحة دكتوراه ـ جامعة كليفورنيا)**
فائدة وثائق البيع في كتابة تاريخ دمشق في القرن التاسع عشر٠
**٤٤ ـ أ٠دور٠**
تواح من التفسيرات الحديثة لتاريخ الشرق الاوسط
**٤٥ ـ السيد ميشال سورات (المعهد الفرنسي في دمشق)**
دور مدينة ليون في اقرار الانتداب الفرنسي في سوريا
**٤٦ ـ ا٠د٠ قيصر فرج (جامعة مينذوتا)**
أثر التحالف الرباعي على الاصلاحات الادارية المقترحة في سوريا
**٤٧ ـ د٠ وولف هاتروت (جامعة ارلانغن ـ المانية الاتحادية)**
التنظيم المالي للمناطق المتاخمة للصحراء في القرن السادس عشر
**٤٨ ـ د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى (جامعة الكويت)**
لجنة ـ كينغ ترين
**٤٩ ـ د٠ رياح ابو حيدر (الجامعة اللبنانية)**
اهمية الاوراق الخاصة في البحث التاريخي ■



شهادة من الحرب العالمية الثانية

# الهروب من معسكر (ستالاغ لافت ٣)

ترجمة واعداد "قسم الدراسات"

■ شكلت عملية الهروب الكبير من معسكر الاعتقال النازي "ستالاغ لافت ٣" خلال الحرب العالمية الثانية ملحمة رائعة من ملاحم العمل السري المناهض للهتلرية.

وقد دخلت هذه العملية التاريخ من بابه الواسع، فمجدتها ادبيات الكتاب في انحاء عديدة من العالم وصورت عنها افلام كان اشهرها فيلم "الهروب الكبير" «The Great Escape» الذي كان الصورة الاقرب الى الحقيقة عما جرى في مكان ما من المانيا الهتلرية خلال الفترة بين ربيع ١٩٤٣ وربيع ١٩٤٥.

لكن لم يتسن لجيلنا العربي الحالي الاطلاع الكامل على هذه الملحمة البطولية التي نشرت تفاصيلها بالصور والرسوم والوثائق بعد سنة واحدة فقط من انتهاء الحرب، لذلك كان لابد من العودة الى الملفات القديمة لنقل وقائع هذه العملية في اطارها التاريخي واسلوبها العفوي الحي.

الضابط بول بريكهيل من سلاح الجو الاسترالي كان احد هؤلاء الابطال، روي تفاصيل ما حصل الى مندوب مجلة "ريدرز دايجست" في العام ١٩٤٦، ومن يومها اصبح بريكهيل اديباً معروفاً على نطاق واسع في العالم مما شجعه على تأليف اكثر من قصة حول الموضوع نفسه نذكر منها: "الانطلاق نحو السماء" و"اهرب او مت"...

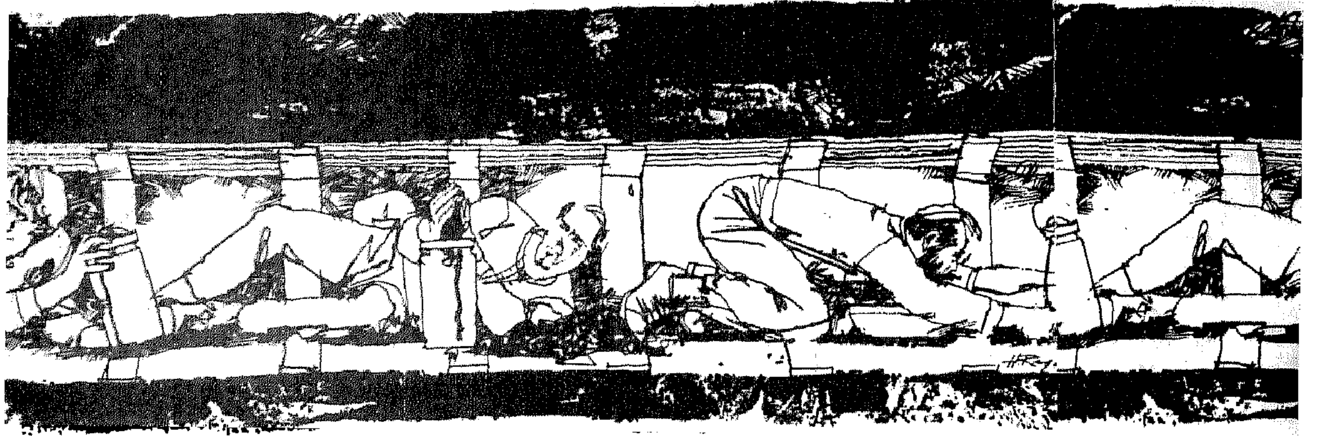
واعادت المجلة نشر مذكرات بريكهيل هذه ضمن كتاب ضخم احتوى على مختارات من اهم مقالات المجلة وتحقيقاتها خلال سنوات الحرب، صدر الكتاب في العام ١٩٦٣ بعنوان: "اسرار وقصص من الحرب".

★ ★ ★

يقع معسكر "ستالاغ لافت ٣" في منطقة ساغان، في الطريق الوسط بين برلين وبريسلو، واحتجز فيه في الفترة بين ربيع ١٩٤٣ وربيع ١٩٤٥ عشرة آلاف طيار حربي من عدة جنسيات اوروبية واميركية، لكن معظمهم كان يومها من سلاح الجو البريطاني.

في نيسان ١٩٤٣ جرى توسيع المعسكر باضافة ثكنة جديدة نقل اليها ٧٠٠ من افرادنا، وكان المعتقلون الذين عملوا في ورشة الثكنة الجديدة درسوا في عناية موقعها الطوبوغرافي وحددوا المساحات في كل الاتجاهات.

من اهم مميزات الموقع الجديد انه محاط من



الجهات الاربع بالغابات الكثيفة من شجر الصنوبر مما يسهل عملياً الفرار عبر الانفاق الذي كان يومها مجرد مشروع قيد التحضير في اذهاننا.

منذ الايام الاولى لانتقالنا الى المعسكر الجديد أنشأنا تنظيماً سرياً عرف بـ X هدفه تأمين الفرار لاكبر عدد ممكن منا. ترأس التنظيم الطيار روجر بوشيل الذي عمل محامياً في لندن قبل التحاقه بسلاح الجو البريطاني. وكان بوشيل خبيراً في مجال الانفاق، فهو نظم عمليتي فرار رائعتين في السابق استطاع خلال احداهما ان يصل الى حدود سويسرا حيث اعتقل من جديد.

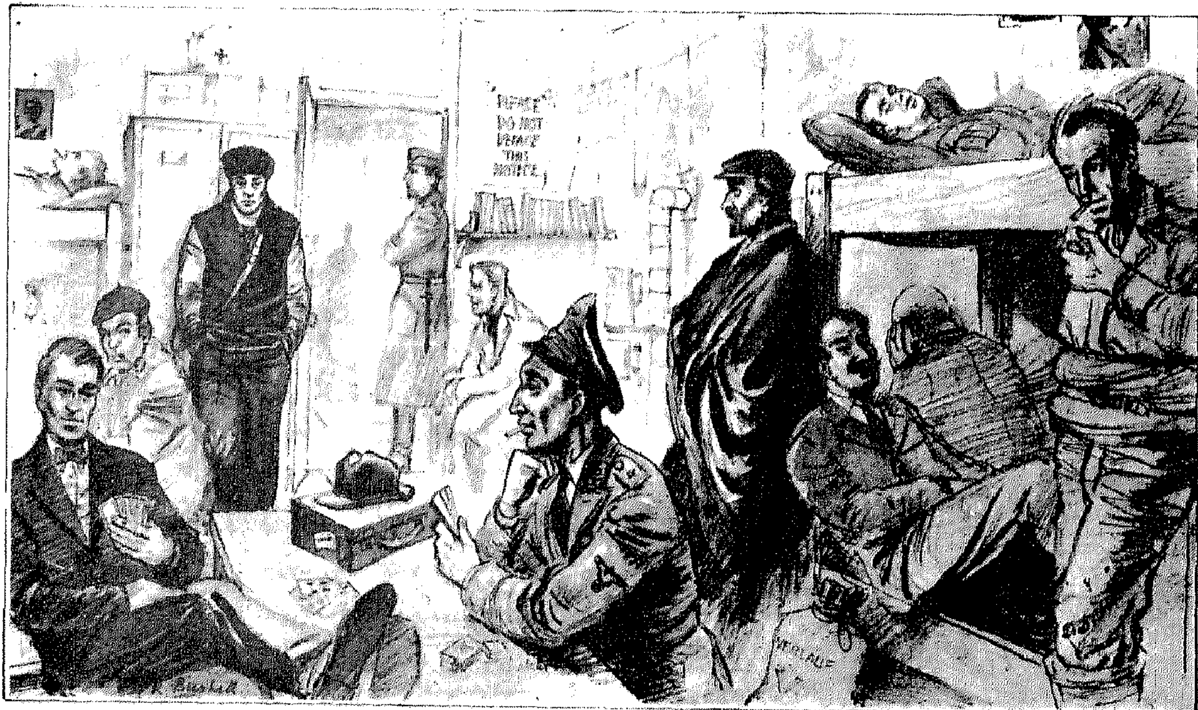
## فرقة رياضية.. وانفاق

في بادىء الامر بدأنا بتوزيع نشرات تدعو لانشاء فرقة رياضية. وكانت النشرات التي كتبت باليد ممهورة بشعار "X الكبير". ففهم الجميع هدف الدعوة ووافق فوراً ٥٠٠ معتقل على النداء.

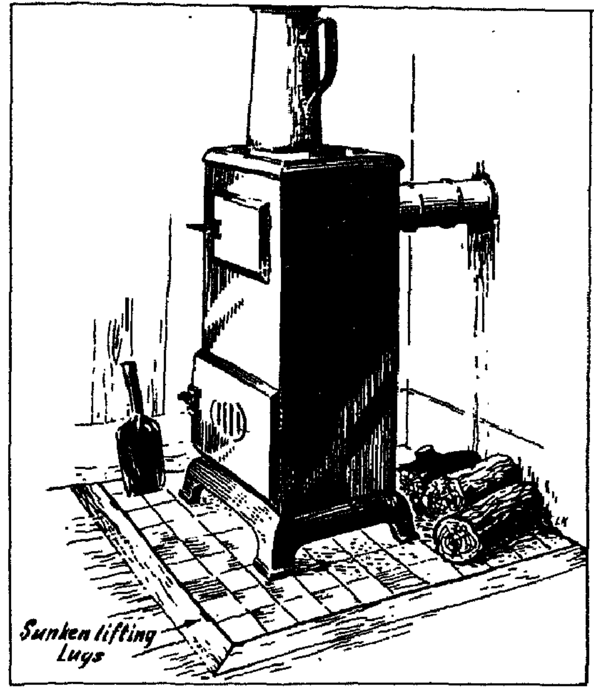
قررنا حفر ٣ انفاق "توم" و"ديك" و"هاري" تحسباً لاكتشاف احدها. كما تجنبنا استخدام تعبير "نفق" في احاديثنا اليومية خوفاً من لفت انتباه السجانين وخصوصاً الذين يتنصتون خلسة من خلف الابواب.

كان نفق "ديك" يشكل احتياطاً لنا في حال اكتشاف "توم"، او في احسن الاحوال يؤمن رديفاً لهذا الاخير في حال نجاحنا من خلاله.

نقطة بدء الحفر كانت انطلاقاً من داخل تخشيباتنا التي كانت الواحدة منها بطول ١٠٠ قدم وتحتوي على زوايا ضيقة للنوم وحمام ومطبخ صغير. وكان النازيون قد بنوها مرتفعة حوالي قدم عن الارض بهدف تأمين مراقبة مستمرة علينا من تحت، اضافة الى المراقبة العادية، وذلك لمنعنا حتى من التفكير بحفر الانفاق التي كانت عملية رائجة في كل معسكر الماني للاعتقال.



■ الاستعداد لساعة الصفر



■ المدخل السري لنفق "هاري": تحت الموقد
ص٢٩٣ — فوق

شكلنا ٣ فرق، كل واحدة منها بقيادة احد الضباط المتخصصين في حفر انفاق الحرية. وشارك في الاعمال المساندة والمكملة لها الخياطون لحياكة ثياب الحفر وملابس الفرار على انواعها، والفنيون والخطاطون لتزوير المستندات واوراق الهوية اضافة الى الخرائط المختلفة. كما وظفنا كل من يتكلم الالمانية بمهمة استمالة الحراس السذج لصرفهم عن تشديد مراقبتنا اثناء الحفر او استخدامهم، عند الحاجة، لجلب ما كان ينقصنا من معدات واغراض لا يمكننا توفيرها بوسائلنا الخاصة. وكان اسلوبنا في استقطاب بعض الحراس الذين كانوا في الواقع يساعدوننا رغماً عنهم، يتلخص في تقديم بعض الهدايا التي تأتينا بواسطة الصليب الاحمر الدولي لهم. وكلما حصل الحارس على هدية جديدة، مخالفاً بالطبع قوانين المعسكر الصارمة في هذا المجال، كلما كانت طلباتنا تزداد. وهو لا يستطيع ان يرفض تلبية اي منها لئلا نفضح مخالفته تلك.

اما المعتقلون الآخرون فكانوا يقومون اما بتصريف التراب المتجمع من عمليات الحفر او بمراقبة تحركات الحراس مراقبة دقيقة الى درجة كنا نحسب انفسنا نحن السجانين وهم المسجونون.

وهكذا، وبعدما تأكدنا من سلامة جهازنا الامني والخدماتي، كان لابد من السير حثيثاً في الحفر. ولكن من اين ننطلق؟ ثغرة صغيرة أهملها العدو كانت مفتاح العملية بأكملها: ففي كل تخشيبة كانت التجهيزات الخاصة بالموقد على احتكاك مباشر بالارض مما يسمح لنا بالحفر من غير ان نلفت انتباه من يراقبنا من تحت.

ويبدو ان العدو عندما بنى المعسكر لم يتصور أن بمقدور ارادة بشرية صنع المعجزات من خلال ثغرة صغيرة لا تتجاوز مساحتها قدمين مربعين.

**كانت الخطوة الاولى في مسيرة الالف ميل انشاء مداخل سرية للانفاق يسهل فتحها واغلاقها وتكون مموهة في شكل لا يرقى اليه الشك، منعاً لاكتشافها في فترات غارات التفتيش المفاجئة والمتواصلة ليلا نهاراً.**

ادق مهمة واجهتنا كانت مسألة تحديد الاتجاهات والمسافات والزوايا وقياسها في صورة أقرب ما تكون الى الواقع لئلا يوصلنا النفق في نهاية المطاف الى منفذ مكشوف للعدو. وبما ان جهازنا الامني كشف عن امتلاك العدو لمعدات تنصت تستطيع ذبذباتها ان تلتقط عن عمق ٢٥ قدماً، لذلك كان لابد من حفر حفرة عمقها ٣٠ قدماً على الاقل قبل التوجه افقياً في اتجاه غابات الصنوبر.

وببدء اول ضربة رفش — صنعناه من مشواة الموقد نفسها — في اوائل ايار ١٩٤٣ بدأت الصعوبات تتراكم دفعة واحدة: فبقدر ما كان تراب المعسكر خفيفاً وسهل الحفر بقدر ما كان النفق **بحاجة الى مساند قوية منعاً للانهيارات. ثم ان مسألة تصريف هذه الكمية الهائلة من التراب التي** تخرج يومياً من النفق كانت من اعقد الامور في بادىء الامر، خصوصاً وان تراب النفق كان ذا لون اصفر فاتح بينما لون سطح ارض المعسكر كان غامقاً.

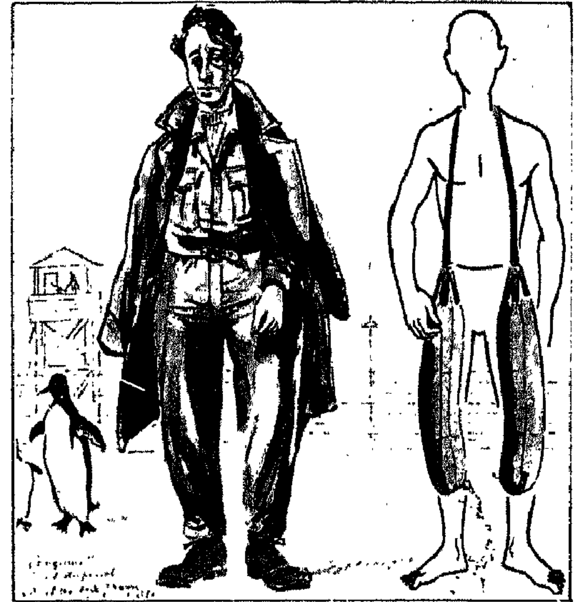
## ٣ حلول

بعد التداول في اقتراحات حل هذه المشكلة اعتمدنا ثلاثة حلول:

● اولا — الاعتناء بعدد من الحدائق الصغيرة حول تخشيباتنا مما يساعدنا على اضافة أية كمية وأي نوع من التراب فوقها من غير ان تثير شكوك الحراس الذين يبدو انهم فسروا سر اهتمامنا المفاجىء بالزراعة شتى التفسيرات ما عدا التفسير الوحيد الصحيح.

● ثانياً — الاكثار من الالعاب الرياضية الجماعية التي تتطلب حركة دائمة كالمصارعة الحرة وكرة السلة الخ... وفي اوقات اللعب كان عدد من زملائنا الذين يرتدون لباساً خاصاً من انتاجنا المحلي (راجع الرسم ) يجوبون الملاعب مفرغين كميات إثر كميات من التراب بين أرجل اللاعبين الذين كانوا يلعبون بحماس قل نظيره تماماً كما لو انهم امام آلاف المشاهدين.

● ثالثاً — عندما كانت كميات التراب تزداد اكثر من المعتاد لسبب او لآخر كنا نفتعل المشاجرات بين المعتقلين في وسط الملاعب مما يسهل علينا تصريف اطنان اضافية في سرعة. لكن مع ترحيب العدو الضمني بهذه المشاكسات


■ اللباس الخاص لتسهيل تفريغ التراب المحمول في شكل خفي

الداخلية ظناً منه انها تفسخ الوحدة بيننا، الا ان الهدف الرئيسي لقائد المعسكر كان في تأمين الاستقرار في الداخل، لذلك كان لا يسمح باستمرار المنازعات دوما٠

كانت هذه الاساليب المبتكرة الثلاثة تجعلنا نجيش اكثر من ١٥٠ زميلا يفرغون اطناناً من التراب في آن واحد في وضح النهار وامام انظار الحراس التائهة في غير موضعها٠

حوالي منتصف ايار ١٩٤٣، وبينما كان العمل جارياً على احسن ما يرام، حصل تشقق في نفق "ديك" سرعان ما تطور في ثوان الى انهيار كبير٠ هذه الثواني المعدودات كانت كافية لانقاذ الحفارين الثلاثة الذين كانوا يواجهون خطر الاختناق٠

وفي الواقع لم نكتشف دقة التنظيم الذي انشأناه وفعاليته الا بعدما نجحنا في انقاذ زملائنا وبعدما استطعنا اعادة ترتيب اوضاعنا كما كانت قبل حادثة الانهيار من غير ان يلحظ الحراس من فوق او من تحت اي شيء٠ وهذا ما شجعنا على اعادة حفر "ديك" من جديد ومن غير كلل٠

وكلما كان العمل يتقدم تحت الارض كنا نحس بأهمية ابتكار اسلوب تنقية هواء الانفاق بفعالية اكبر من السابق٠ ولحسن حظنا استطعنا الحصول على مجلة متخصصة في الميكانيك والكهرباء بواسطة احد الحراس السذج٠ وكم كانت فرحتنا عظيمة عندما قرأنا مقالا يوضح الاساليب الحديثة يومها لابتكار انابيب تنقية هواء المنازل بالوسائل المتوفرة٠ حبذا لو عرف صاحب هذا المقال الخدمة الجلى التي اسداها لمئات المسجونين في احد معسكرات النازيين٠

كانت وسائلنا نحن معلبات الحليب المجفف التي كان يرسلها الصليب الاحمر الدولي٠ فجمعناها مع بعضها البعض وأوصلناها الى داخل النفق من خلال فتحة الموقد نفسها٠

وبعدما نجحت العملية في صورة افضل مما كنا نتصور عممنا الابتكار على النفقين الآخرين٠

وكانت لهذا الاختراع فائدة اخرى تتلخص في تأمين استمرار العمل داخل الانفاق من غير حاجة لابقاء المداخل السرية مفتوحة٠

منذ ذلك الحين بدأ العمل يسير بوتيرة متسارعة، خصوصاً بعدما أضأنا الانفاق اما بخطوط كهربائية مسروقة ومتصلة خلسة بالتيار العمومي للمعسكر، او، في حال انقطاع الكهرباء، بواسطة اناء من التنك مليء بكمية من السمن يطفو عليها فتيل من القماش المتوفر لدينا٠

## في الشهر الثاني

في نهاية ايار دخل العمل شهره الثاني٠وقد انجزنا خلاله حوالي ٧٠ قدماً في كل من الانفاق الثلاثة٠ وفي هذه المناسبة عقدنا اجتماعاً خاصاً تم البحث فيه في المراحل التي قطعنا والخطوات المقبلة٠ فقررنا التركيز على نفق "توم" لانه اصبح الاقرب الى الغابات٠ اثر تعميم القرار دب الحماس بين المعتقلين الى حد ان الحفارين كانوا يعملون ساعات اضافية من غير ان يشكوا التعب او التذمر٠ لكن هذا الحماس لزيادة وتيرة الحفر اعاد طرح مشكلة تصريف التراب الاضافي المستخرج من النفق٠ ومما عقد الامور اكثر بدء الالمان في بناء ثكنة جديدة، قيل انها ستخصص للمعتقلين الاميركيين وحدهم، وذلك في الموقع نفسه الذي كان من المفروض ان يتنفس منه "توم" عندما تدق ساعة الحرية٠ وهكذا تشاء الصدف ان يشهد هذا المكان بالذات في آن واحد عمليات قطع اشجار الصنوبر من جهة وعمليات حفر نفق من جهة اخرى٠

اذن كنا في سباق مع الزمن٠٠٠ ولكن اين نضع التراب الاضافي؟

في هذه الساعات القليلة كان لا بد لنا من المخاطرة مهما تكن النتائج: لذلك اوقفنا تماماً عملية حفر "ديك" وقررنا تحويل النفق الى مستودع مؤقت للتراب المستخرج من "توم"٠

وعلى رغم ذلك الاجراء كان التراب يتدفق بلا انقطاع٠ عندها تمادينا في المجازفة: فأخذنا نخزن التراب في العلب الفارغة العائدة للصليب الاحمر الدولي والتي كانت متناثرة تحت أسرتنا٠

اصبح "توم" على وشك التنفس٠ لم تبق الا اقدام معدودات، لكن قررنا التمهل في انجاز المراحل النهائية من الحفر للتأكد من وضع اللمسات الاخيرة على كافة الترتيبات الاخرى المتعلقة بمراحل الفرار واجتياز الحدود٠٠٠

٠٠٠ وفي هذه الساعات التي اقتربنا فيها من

قطف ثمار جهدنا اكتشف الحراس في احدى غاراتهم، وبالصدفة، سر العلب الفارغة.

جن جنون قادة المعسكر: اعلنت حال الطوارئ، وبدأت عملية البحث عن "توم".

شاحنات ضخمة محملة بمعدات ثقيلة احضرت خصيصاً للمعسكر اخذت تجوب كل ارجائه بهدف احداث انهيار في النفق الذي لم يكتشفوه بعد، لكن دون جدوى. وكل ما نجحت هذه الشاحنات في عمله كان تخريب حدائقنا التي كانت تتغذى من "توم".

وكالعادة لم ييأس العدو، وبعد يومين من البحث عن النفق في كل زاوية من زوايا تخشيباتنا اصطدم احد الحراس صدفة بالمدخل السري للنفق. كان ذلك نهاية "توم".

ومن غرائب الامور ان فرحة قادة المعسكر الكبرى في اكتشاف النفق، هذه الفرحة التي لم تكن تعادلها الا فرحة تجنب استجوابات الغيستابو، منعتهم بل وأنستهم اتخاذ اي عقاب ضدنا.

اما عزاؤنا نحن فكان "ديك" و"هاري". لهذا قررنا تكثيف نشاطنا في اتجاههما. لكن تريثنا في المباشرة بالحفر حتى الخريف لتخفيف المراقبة على تحركاتنا والتقليل من غارات التفتيش.

## فترة انتظار

في اثناء انتظار الخريف كان هاجسنا استعادة معنويات المعتقلين التي تأثرت كثيراً بهذه الصدمة الاولى. فاستنفدنا من انتقال الاميركيين الى معسكرهم الجديد (كان ذلك في اواخر آب ١٩٤٣) لاقامة حفلة وداع عارمة كان سيدها "شبه النبيذ" الذي صنعناه بالوسائل المتوفرة داخل المعسكر.

وعادت حياة السجن الرتيبة تؤرقنا. بقي شهر واكثر على قدوم الخريف. هل تصمد معنويات الشباب حتى ذلك الوقت؟ كان لابد من القيام بعمل ما لابقاء جذوة الامل فيهم رغم كل الظروف.

وبعد البحث والتداول في الوضع قررنا تنظيم محاولة فرار فوق الارض هذه المرة. وبسبب صعوبة هذه المحاولة كان من الضروري التحضير الدقيق لها.

وكان الشكل المناسب للعملية يستند الى هذه الفرصة الوحيدة التي كانت تتوفر لنا: فبين الحين والآخر كان الحراس يواكبون مجموعة صغيرة من المعتقلين خارج اسوار المعسكر للقيام ببعض اعمال التنظيف.

وبدأنا التخطيط للتنفيذ.

خلال فترة قصيرة استطعنا تقليد بعض البنادق التي تستعمل في المعسكر وصنعناها من خشب مع تمويه الاجزاء التي من المفترض ان تكون من حديد ب"دهن اللوز" المخصص لاحذيتنا. حقا لم يكن يميزها شيء عن البنادق الحقيقية. وفي هذا الوقت كان الخياطون ينجزون ٣ بدلات عسكرية لضباط الماني على قياس ٣ من زملائنا الذين كان من المقرر ان يقودوا عملية اخراج مجموعة من المعتقلين خارج المعسكر.

في اليوم المحدد تمت المرحلة الاولى من العملية بنجاح: خرج الضباط الثلاثة مع ٢٤ معتقلا من الباب الرئيسي للمعسكر من غير ان يشك الحراس في امرهم مطلقاً. بعد دقائق من القيام بالاعمال التي يجريها عادة الطابور الحقيقي، نجح ٣ من زملائنا في التسلل داخل الغابة من غير ان يلفتوا انتباه حراس الابراج. واستمرت اعمال التنظيفات الاعتيادية. مرت فترة قصيرة اخرى قبل ان يحاول ٦ معتقلين آخرين الفرار، الا ان محاولتهم اكتشفت.

مرة اخرى اعلنت حال الطوارئ داخل المعسكر وابلغت كافة مراكز الحدود بفرار المعتقلين الثلاثة. ولم تمض ايام قليلة حتى اعيدوا الى المعسكر.

وعلمنا منهم ان احدهم كاد ان يصل الى الحدود السويسرية، بل انه دخل الحدود ثم ضل طريقه وعاد في طريق فرعي ووقع بين ايدي النازيين. اما الاثنان الآخران فاستطاعا الوصول الى مطار صغير للتدريب وصعدا على متن احدى الطائرات وادارا المحرك لكن مجيء قبطان الطائرة في هذه اللحظة بالذات افسد العملية كلها.

والآن... بقي كل املنا في "ديك" و"هاري".

## عمل يومي متواصل

بدأ الحفر من جديد في اوائل ١٩٤٤.

وبما ان "ديك" كان مليئاً بالتراب المستخرج سابقاً من "توم"، وبما ان إتجاهه اصبح غير مناسب بعد بناء المعسكر الجديد، لذلك تركز جهدنا على النفق الوحيد الذي ما زال صالحاً: "هاري".

للمرة الاولى منذ تصميمنا على حفر الانفاق خصصنا ٣ فرق للحفر تضم كل واحدة منها ١٠ من افضل الحفارين يعملون ٢٤ ساعة في اليوم. وعلى هذا الاساس كان "هاري" يكبر كل يوم ١٢ قدماً.

في اواخر كانون الثاني وصلنا الى ثلث الطريق اي حوالي ١٠٠ قدم.

كان الحفر يجري بسرعة على رغم الصعوبات الجمة التي كنا نواجهها في ايام الخريف الطويلة هذه: فالانهيارات الجزئية كانت تحصل تقريباً كل يوم او يومين وحالة الحفارين الصحية كانت تزداد سوءاً بسبب الرطوبة الزائدة. انابيب تنقية الهواء لم تكن تلبي على اكمل وجه متطلبات هذا النفق الطويل، خصوصاً بعدما اضفنا الى شبكة الانارة

# To all Prisoners of War!

## The escape from prison camps is no longer a sport!

**Germany has always kept to the Hague Convention and only punished recaptured prisoners of war with minor disciplinary punishment.**

**Germany will still maintain these principles of international law.**

**But England has besides fighting at the front in an honest manner instituted an illegal warfare in non combat zones in the form of gangster commandos, terror bandits and sabotage troops even up to the frontiers of Germany.**

**They say in a captured secret and confidential English military pamphlet,**

### THE HANDBOOK OF MODERN IRREGULAR WARFARE:

**". . . the days when we could practise the rules of sportsmanship are over. For the time being, every soldier must be a potential gangster and must be prepared to adopt their methods whenever necessary."**

**"The sphere of operations should always include the enemy's own country, any occupied territory, and in certain circumstances, such neutral countries as he is using as a source of supply."**

***England has with these instructions opened up a non military form of gangster war!***

**Germany is determined to safeguard her homeland, and especially her war industry and provisional centres for the fighting fronts. Therefore it has become necessary to create strictly forbidden zones, called death zones, in which all unauthorised trespassers will be immediately shot on sight.**

**Escaping prisoners of war, entering such death zones, will certainly lose their lives. They are therefore in constant danger of being mistaken for enemy agents or sabotage groups.**

**Urgent warning is given against making future escapes!**

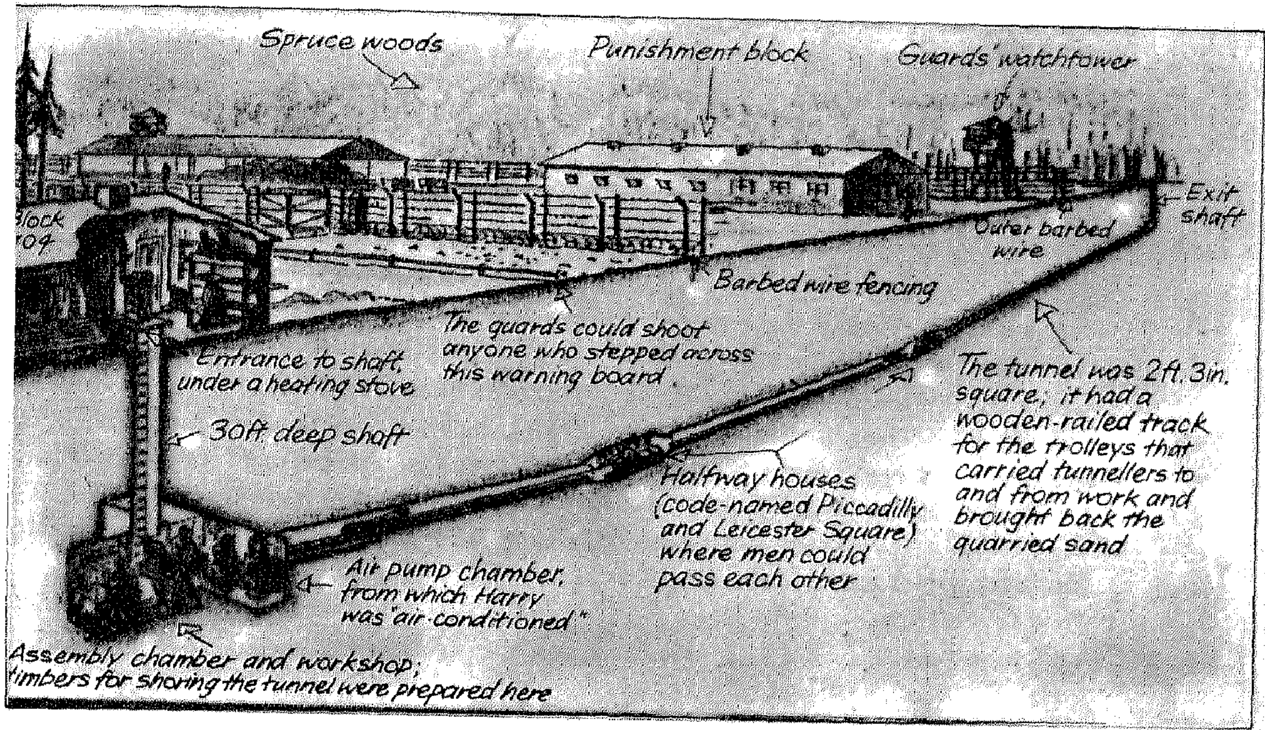
**In plain English: Stay in the camp where you will be safe! Breaking out of it is now a damned dangerous act.**

**The chances of preserving your life are almost nil!**

**All police and military guards have been given the most strict orders to shoot on sight all suspected persons.**

***Escaping from prison camps has ceased to be a sport!***

■ نص البيان الذي وزعه العدو اثر فشل عملية "هاري" وذلك في اطار الحرب النفسية التي كان يشهنا ضد من تبقى على قيد الحياة في المعسكر • ونقرأ في البيان: "الهرب من معسكرات الاعتقال




■ نفق "هاري" بعد الانتهاء من حفره، وكان بشهادة الجميع في ما بعد اطول نفق للحرية تم حفره خلال الحربين العالميتين الاولى والثانية.

الكهربائية، بسبب النقص في الإسلاك، معدات الاضاءة البدائية التي كانت تزيد من تسميم جو النفق برائحة السمن المشتعل.

في منتصف شباط انهينا ١٠٠ قدم اخرى، ولحسن حظنا استطعنا يومها الحصول على حوالي ٦٠٠ قدم من الاسلاك الكهربائية من ورشة البناء الجديدة بفضل همة زملائنا العمال.

كنا نقترب شيئاً فشيئاً من النهاية، فازداد حماسنا ونشطت همتنا واخذ صبرنا ينفذ في بعض الفترات الى درجة ان الحراس بدأوا يشعرون بحصول شيء غير عادي في المعسكر. لذا لم يتوان قائد المعسكر عن القيام باجراء احترازي: فأمر بنقل عدد من زملائنا الى تخاشيب بعيدة عنا. كان ذلك ضربة قاسية بالنسبة الينا لان الاجراء تناول بالصدفة العديد من رؤساء فرق العمل والامن والتنظيم وبعضاً من انشط الحفارين واقواهم، مما اوجد فراغاً لم نكن نتوقعه.

المهم ان العدو ضرب ضربة عشواء ولم يكتشف حتى الان "هاري" العزيز.

في الثامن من آذار ١٩٤٤ انهينا حفر المئة والعشرين قدماً الاخيرة. وفي ١٤ آذار كان "هاري" جاهزاً لاستقبال ضيوفه.

واستناداً الى حساباتنا المتعلقة بعدد الاشخاص الذين يمكنهم قطع مسافة النفق والخروج منه خلال فترات الليل اخترنا بالقرعة ٢٢٠ سجيناً من بين الخمسماية معتقل الذين شاركوا مباشرة في عمليات الانفاق.

وبدأ المحظوظون استعداداتهم ليوم الحرية: منهم من سيكون عاملا اجنبياً او مدنياً وآخرون سيكونون ضباطاً المان او جنوداً...

حدد خبيرنا في الرصد الجوي ليل ٢٤ آذار موعداً للانطلاق وذلك بسبب غياب القمر ووجود رياح قوية في هذا اليوم مما سيسهل عملية الخروج من النفق من جهة، ومن جهة ثانية سيغطي على عملية التنقل داخل "هاري"، هذه العملية التي ربما احدثت بعض الضجيج.

في اليوم المحدد وزعنا المؤن على الفارين تجنباً لاي نقص في التغذية قد يواجهونه في مسيرتهم الطويلة نحو حدود الحرية. وكانت هذه المؤن عبارة عن معلبات من صنعنا تحتوي على خليط مطبوخ من الشوكولا والطحين والبسكويت المدقوق وحبوب الفيتامين المطحونة والشعير والحليب المجفف اضافة الى بعض انواع الفواكه المجففة. طبعاً لم تكن للنكهة اية اهمية لان الاساس كان في توفير قيمة غذائية عالية.

## بدء عملية الهروب

دقت الساعة الثامنة والنصف مساء. فبدأت دقات قلوب المحظوظين تتسارع.

نـزل اولهـم الـى النـفـق وتبـعـه الثـانـي والثالث والرابع ... وكرت المسبحة. بعد دقائق توقف الطابور. ماذا جرى؟

كان القلق يزداد داخل النفق وخارجه كلما تأخر الجواب. الصمت كان سيد الموقف. فصدر الامر من قائد التنظيم بالابلاغ فوراً عن سبب توقف الطابور. وجاء الجواب، بعدما تناقلته الالسن وكأن صاعقة ضربت الجميع: ثغرة "هاري" في موقع مكشوف على بعد ١٠ اقدام من الغابة. ما العمل؟

الدقائق تحولت الى ساعات مثقلة بهموم لا توصف. الرياح تعصف فوق الارض والهواء يزداد تلوثاً داخل جوفها وسط عشرات من الرجال بلا حراك بين طبقتين سميكتين من التراب. كان الجميع مدهوشاً مذعوراً مضطرباً. كيف يمكن تأجيل العملية وكل شيء وصل الى نقطة اللارجوع؟ كيف يمكن اعادة صنع المستندات واوراق الهوية التي ختمت بالتاريخ المناسب ليوم الهروب الكبير؟

اسئلة كثيرة ولا جواب. عندها كان لابد من المجازفة مرة اخرى. وصدر الامر بالتقدم بعد تأمين المراقبة خارج الثغرة واتخاذ جانب الحذر الشديد والتنقل بالسرعة اللازمة.

مرت ساعة كاملة ولم يخرج من جوف "هاري" سوى عشرون شخصاً فقط. ولم تكن تنقصنا خلال تلك الدقائق الرهيبة الا انهيارات جزئية كانت تحصل هنا وهناك مما كان يسبب لنا تأخيراً اضافياً في كل مرة.

في منتصف الليل تماماً دقت صفارات الانذار داخل المعسكر واطفئت الانوار. كان ذلك انذاراً بحصول غارات جوية من قبل الحلفاء على المدن الالمانية. كنا نسمع من بعيد هدير القنابل المتساقطة فوق برلين. للمرة الاولى لم يفرحنا ذلك كثيراً لانه كان يعيق عملية استراتيجية ربما كانت بالاهمية نفسها لعمليات الاغارة تلك. على رغم ذلك استمر "هاري" في ابتلاع ضيوفه ولفظهم الى الخارج.

في الخامسة بدأ الفجر يلوح في الافق. حينئذ قررنـا قطـع عمليـة الـفـرار لافسـاح المـجـال امام المحظوظين الذين يقطعون الآن الاميال بعيداً عن المعسكر وللاقتراب اكثر فأكثر من حدود الحرية قبل ان يكتشف امرهم عند التعداد الصباحي الروتيني.

لم يبق داخل النفق الا ٣ فارين ينتظرون دورهم قبل ان نحيل "هاري" على التقاعد. خرج واحد منهم، لكن الثاني لم ينجح في تجنب انظار الحراس. وبقي الثالث داخل النفق وكأنه استقر فيه الى الابد لا يستطيع حراكاً.

... وهكذا اكتشف امرنا وامر "هاري" في اللحظة الاخيرة التي كان سيسجل فيها التاريخ اروع عملية فرار من معسكر اعتقال حربي نازي وادقها تنظيماً وتنفيذاً... في هذه الدقائق الحرجة لم نكن نأسف الا على شيء واحد: عدم تمكننا من اعطاء زملائنا في الخارج وقتاً اكبر للابتعاد ما امكن عن المعسكر. وكان اسفنا في محله اذ انه لم يمض يومان الا وكان معظم الفارين قد اعيدوا الى المعسكر بعد اكبر حملة مطاردة جرت في المانيا النازية خلال ايام الحرب العالمية الثانية.

## مصير الفارين

في كل يوم يمر ـ وكم كانت الساعات طويلة ومثقلة حينها، خصوصـاً فـي اوقـات العقوبـات القاسية بحقنا باشراف خبراء الغيستابو ـ كانت تردنا اخبار اعتقال المزيد من زملائنا الفارين واعدام البعض منهم، وذلك كان يشكل خرقاً فاضحاً لاتفاقيات جنيف حول معاملة اسرى الحرب.

وحين كنا نجلس نتذكر ايام "توم" و"ديك" و"هاري" التاريخية كانت اخبار اعدام المزيد من الزملاء تنغص علينا حتى جو الذكريات المستعادة بصعوبة هرباً من ضغط الحاضر المرير. وكان البريد الذي يصلنا بواسطة الصليب الاحمر الدولي لا يحمل الا اخبار الفواجع التي حلت برفاقنا مصحوبة في الوقت نفسه بالانباء السارة عن تراجع الجيش الهتلري من هذه الجبهة او تلك.

وفـي احـد ايـام حـزيـران ١٩٤٤ وصلـتـنـا رسالة مكتوبة باللغة الاسبانية بتوقيع لم نعرفه في بادىء الامر. لكن سرعان ما علت الابتسامة التي كدنا ان ننساها. فجمعنا الزملاء جماعات جماعات واخبرناهم بالنبأ السعيد: ان احد الفارين وهو طيار هولندي استطاع الوصول سالماً الى بريطانيا.

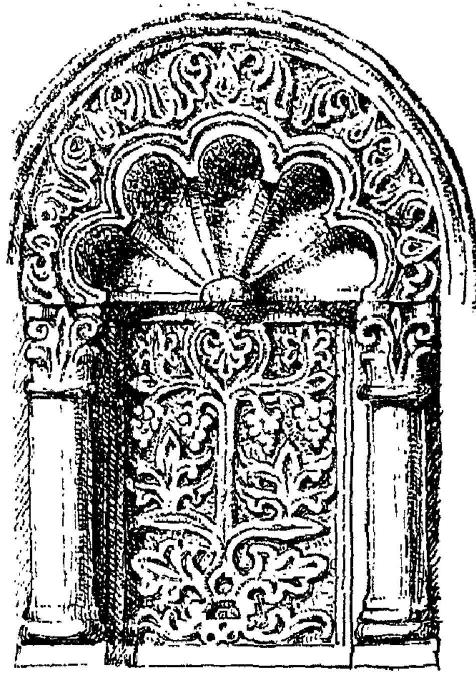
بعد ايام وصلتنا رسالة اخرى من السويد كتبها اثنان من الضباط النروجيين الذين شاركوا في عملية "هاري".

هذا كل ما علمناه ونحن داخل المعسكر: فقط ٣ محظوظين كانوا حقاً محظوظين.

... وعاد النشاط يدب فينا من جديد.

اعدنا تنظيم «X» وبدأنا فوراً العمل بنفق "جورج". التكتيك نفسه والحيل نفسها والروتين نفسه.

ولم تمض اسابيع قليلة الا وكنا قد خرجنا كلنا من المعسكر سالمين، هذه المرة من الباب الرئيسي الكبير وفي وضح النهار: فالجيش الاحمر لم يكن يبعد عن المعسكر اكثر من ٣٠ ميلاً. لذلك تم نقلنا مشياً على الاقدام وبحراسة مشددة داخل المانيا حتى وصلنا منهكين بعد اسابيع عديدة الى معسكر في لوبيك، وهو مرفأ قرب بحر البلطيق. وفي الثاني من ايار ١٩٤٥ دخلت دبابات الجيش البريطاني الثاني مدينة لوبيك. فاطلق سراحنا ■



# عودة إلى التراث

# كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني

د. محمد أبو الأنوار

■ يعجب مؤرخ الحياة الفكرية والثقافية في تاريخ العربية كيف انها تميزت بهذا الصبر المعجب وتلك الاحاطة الواسعة عندما عرضت لتراثها تجمعه وتقدمه لقرائها.

ولا ينفد عجبه من كثرة ما يرى من صبر على الجمع والتقصي تارة، وعلى التحقيق والتدقيق أخرى..

والكتاب موضوع هذا المقال يعد اضخم موسوعة "خبرية" روى فيها مؤلفها من الاخبار ما لا يدخل تحت حصر في ما قصد اليه من موضوع كتابه، وشغل هذا الرجل بموسوعته تاريخ اداب العربية ربما على نحو لا يشاركه فيه انسان اخر..

وحسبنا قبل البحث والدرس ان نقدم شذرات مما حفظه التاريخ لنا عن هذا الكتاب القيم:

يقال ان أبا الفرج اهدى نسخة كتابه "الاغاني" الى سيف الدولة بن حمدان فكافأه سيف الدولة عنها بألف دينار، وبلغ ذلك الصاحب بن عباد فقال: "لقد قصر سيف الدولة، وأنه ليستحق اضعافها اذ كان مشحونا بالمحاسن المنتجة والفقر الغريبة، فهو للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة.. ولقد اشتملت خزانتي على مائة الف وسبعة عشر الف مجلد ما فيها سميري غيره، ولقد عنيت بامتحانه في أخبار العرب وغيرهم..ففاز بالسبق في جمعه وحسن وضعه وتأليفه".

وابن خلكان يحكى أن الصاحب بن عباد كان يستصحب في أسفاره حمل ثلاثين جملا من كتب الادب فلما وصل اليه كتاب "الاغاني" لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عما سواه.

ويقول أبو القاسم عبد العزيز يوسف كاتب عضد الدولة: "لم يكن كتاب "الاغاني" يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره".

ويقول ياقوت الحموى: "ولعمرى ان هذا الكتاب جم الفوائد عظيم العلم جامع بين الجد والبحث والهزل والنحت ومن أدراك قيمة هذا الكتاب، رغبُ بل تسابق القادرين من أهل العلم والحكام في اقتنائه ونسخه".

يقول ياقوت الحموى: "قرأت على ظهر جزء من نسخة لكتاب "الاغاني" لابي فرج،حدثني ابن عروس الموصلى وكان المترسل بين عز الدولة وبين أبي تغلب بن ناصر الدولة وكان يخلف ابا تغلب بالحضرة قال: كتب أبو تغلب يأمر بابتياع كتاب "الاغاني" لابي الفرج الاصفهاني، فابتعته بعشرة الاف درهم، فلما حملته اليه وقف عليه ورأى عظمة وجلالة ما حوى قال: لقد ظلم وراقه المسكين وانه ليساوى عندى عشرة الاف دينار، ولو فقد لما قدرت عليه الملوك الا بالرغائب..وأمر أن تكتب له نسخة اخرى يخلد عليها اسمه".

## من هو أبو الفرج؟! (١)

الكلام عن المؤلف هنا هو المدخل الهام للتعرف على الكتاب في مادته وطريقته. وهذا الرجل هو: علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي.

ومن هذه السلسلة نرى ان نسبه ينتهي الى مروان بن محمد اخر خلفاء بني أمية. وقد ولد أبو الفرج سنة ٢٨٤، وتوفى على ارجح الاراء سنة نيف وستين وثلاثمائة. ويذهب كثرة من الباحثين والدراسين الى انه ولد بأصبهان ونشأ وتربى ببغداد ولكن مولده بأصبهان ليس موضع اتفاق...

وتعجبني في هذا السياق المناقشة التاريخية الدقيقة العالمة التي قدمها الدكتور محمد احمد خلف الله في كتابه "صاحب الاغاني" وهي تكشف بوضوح أن أسرتي ابي الفرج من جهة أبيه وأمه كانتا تقيمان بمدينة "سر من رأى" وهناك أخبار تعارض القول بأن الاسرتين كانتا معا في أصبهان.

أما لقب الاصبهاني في أسم الرجل فمرجعه أن أبا الفرج قد ورث هذا اللقب عن الاسرة، خاصة وان هذا اللقب كان يعرف به عمه وأبن عمه وجده وكذلك والده. ومرجع علاقة الاسرة بأصبهان يتبينه الباحث عندما يعرف أن أصبهان كانت من المواطن التي استقر فيها بعض الامويين من نسل الخلفاء عند اضمحلال الدولة وبعد انحلالها، وأنها أيضا كانت من المواطن التي لاهلها تعلق بالامويين ومحبة لهم.

أما مدينة "سر من رأى" فكانت أسرة أبيه من أوائل الاسر التي عمرتها، وكان يحيى بن محمد بن ثوابه جد أبي الفرج لامه واحداً من الكتاب بها، وهكذا كانت أسرتا الاب والام معا في "سر من رأى" وقد جاءت أسرة الاب من أصبهان، ولكن أسرة الام جاءت من قرية النيل التي ذكرها البحتري في هجائه لآل ثوابه. وفي "سر من رأى" كانت المصاهرة وكان ميلاد أبي الفرج...

ولا عجب في أن المولود الجديد "سر من رأى" يكون مؤرخ الغناء في كتابه "الإغاني" فقد كانت هذه المدينة تزخر بحركة غنائية شديدة حتى كان الناس بها أحزابا في هوى الغناء وأهله فمنهم من يتعصب "لعريب" ومنهم من يفضل "شاريه" ولكن الغناء في عصر أبي الفرج كان قد تحول مع الخلفاء والوزراء والكتاب الى بغداد.

أما موطن النشأة والتربية الاولى فكان الكوفة، وفيها كان محمد بن الحسين الكندي خطيب مسجد القادسية كما يصفه أبو الفرج في كتابه "الاغاني" مؤدباً ومعلماً له، ومما تبغي العناية بالاشارة اليه هنا ان كتاب أبي الفرج



■ كتاب "الاغاني" لابي الفرج الاصفهاني امير في جلسة طرب٠ مكتبة فيض الله باستنبول٠ كتاب تاريخ .فن التصوير الاسلامي الديني والعربي للدكتور ثروت عكاشة ص٠ ٣١٠٠

"مقاتل الطالبيين" انما يعتمد على ثقافته الكوفية، وأبو الفرج يأخذ فيه عن شيوخ الكوفيين من أمثال احمد بن محمد بن سعيد الهمذاني، ومحمد بن الحسين الكندي وعلي بن العباس المقانعي، والبلخي وغيرهم.

واذا عرفنا ان ابا الفرج قد اخرج كتابه "مقاتل الطالبيين" سنة ٣١٣هـ كما ينص هو في مقدمته، عرفنا ان تحوله عن الكوفة الى بغداد ربما كان بعد ذلك وربما كان بين سنة ٣٠٠ وسنة ٣١٣ كما يستفاد من سياق آخر، ولا عجب ان نجد هذا الاموي يؤلف عن الطالبيين كتابه ويتعاطف معهم. لان الحب نشأ بين الامويين والطالبيين بفعل المحن السياسية التي جمعت بينهما بما فيها كراهية العباسيين ومظالمهم للاسرتين. مع ملاحظة ان أبا الفرج كان قد ورث تشيعه عن أسرته لامه تلك الاسرة التي ذللها الاضطهاد. وعلى أية حال فان تشيعه تشيع العقائدي المناضل بل تشيع الميل الموروث في أسرة أبيه والهوى الغالب في أسرة أمه.

وينبغي الا يغيب عن الذهن هنا ان الكوفة كانت آنذاك بيئة المجان والخلعاء من المغنين والشعراء وأن الغناء قد استقر بها قبل أن يستقر ببغداد، والكوفة قامت في موقع تلم به الاديرة من كل جانب ومن ثم كان الخمارون والخمارات وما الى ذلك من لهو وعبث وزندقه وقد عنى اسحق الموصلي في كتابه عن الموسيقى بأحاديث قيان الحجاز والكوفة، وكان عمر بن أبي ربيعة يلم بها ليسمع غناء جاريتين ممتازتين في الغناء، والقصد من توضيح هذه الناحية عن بيئة الكوفة القول بأن أبا الفرج قد تأثر بهذه البيئة تأثراً كبيراً في ما يتصل بالمجانة والعناية بفن الغناء.

أما حياته ببغداد فكانت كما يشير هو في "الاغاني" أنها كانت بعد سنة ثلاثمائة حيث يقول في ترجمته لابي شراعه: "وأبو فياض بن أبي شراعة أحد الشعراء والرواة قدم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلاثمائة فكتب عنه أصحابنا... وفاتني فلم القه..." وكما سبق القول لعل الرحلة اليها بعد سنة ٣١٣ أو قبلها.

والى جانب الحياة العلمية المتنوعة ببغداد التي أمدت أبا الفرج بثقافة واسعة تأخذ من كل فن بطرف حيث نراه يتردد على شيوخ المحدثين واللغويين والكتاب والشعراء والاخباريين والوراقين يهمنا بصفة خاصة النص على أنه تأثر كثيرا بما يجري في مدارس المغنين والندماء والجلساء، و أى مدارس تلك التي تأثر بها، انها ساحات الدور والقصور لدى الخلفاء، والوزراء والاثرياء، وكذلك بيوت من اتخذ تربية المغنين والمغنيات والقيان صناعة وتجارة أو فناً وهواية وصاحب "الاغاني" يروي لنا طرفا من ذلك في مواطن شتى.

من هذه الصلة الوثيقة لابي الفرج بفن الغناء وما يتصل به من لهو ومتعة كانت ثقافته الموسيقية الواسعة وكانت عنايته بالتأليف عن الغناء والمغنين وكان من اعظم ثماره في هذا السبيل كتابه "الاغاني".

## الكتاب ونظرات حوله

### (١) موضوع الكتاب

يؤرخ هذا الكتاب عن طريق الرواية وحشد الاخبار للشعر العربي الذي غناه المغنون قديما وحديثا مع العناية بنسبة كل شعر الى صاحبه وصانع لحنه وبيان طريقته من الايقاع والاصبع الذي نسب اليه ولون الطريقة ونوع الصوت، وما يتصل بذلك كله من اشتراك المغنين.

وأساس الغناء المختار هو المائة صوت التي اختارها ابراهيم الموصلي للخليفة هارون الرشيد، وزاد أبو الفرج من باب الاستطراد في العرض غيرها مما ليس منها منبها الى ذلك بذكر الاصوات وما عرض لها، وشرح أبعادها شرحا يعتمد فيه على الاصطلاح الفني المعروف في عصره بما يدل دلالة واضحة على أن أبا الفرج متبحر في دراسة أصوات الموسيقى عالم بطرائقها القديمة والحديثة.

ثم حشد تبعا لذكر الاصوات كل ما يتصل بأخبار المغنين والشعراء والملوك والسوقة دون الوقوف عند أبعاد الموسيقى والغناء، ولذا جاء كتابه حافلا بأخبار الشعراء والادباء والكتاب والوزراء والعلماء والسوقة، موضحا من خلال الاخبار المتنوعة أبعاد الحيوات الاجتماعية والسياسية والثقافية على كل مستوى ارتفع أو هبط.

ولذا كان كتاب الاغاني موسوعة في اخبار الادب العربي، والحياة العربية، وان كان الباحث دائما يتحرى الصواب في ما يأخذ ويدع، ولكن أبا الفرج أمده بالاخبار كلها حتى ما كان يراه هو نفسه مكذوبا.

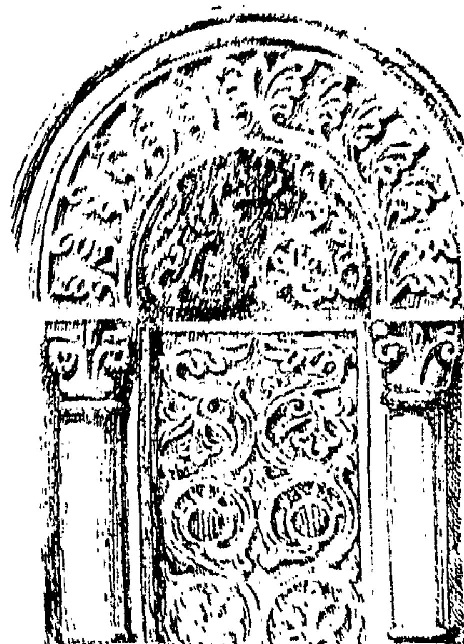
وأساس التقسيم عند أبي الفرج يقوم على الاصوات وليس على الاشخاص ولكنه بعد الكلام عن الاصوات يتبع ذلك اخبار الشاعر الذي قال الشعر والمغني الذي غنى الصوت أو الملحن المختار دون قاعدة فنية أو تاريخية في عرض وتصنيف الغناء او الاصوات.

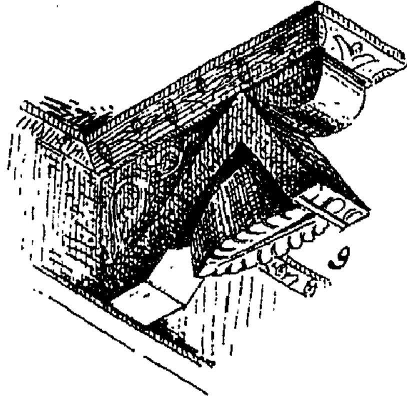
وأبو الفرج يدرك منذ البداية منزعه في ترتيب الكتاب وأنه على غير قاعدة فنية أو تاريخية، ويشرح هذا المسلك ويدافع عنه حيث يقول: "ولعل من يتصفح ذلك ينكر تركنا تصنيفه ابوابا على طرائق الغناء أو على طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم أو على ما غنى به من شعر شاعر والباعث على ما نحوناه علل".

وأخذ في تعداد بعضها، وأهمها: أن الاصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين وحينئذ فلا مفهوم للعرض التاريخي الذي يحفظ للسابق سبقه، ومنها ان "الاغاني" قلما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراك بين المغنين في طرائق مختلفة لا يمكن معها ترتيبها على الطرائق أو الاسس الفنية، وهو يرى في الوقت نفسه لو انه التزم أخبار الصوت الواحد وما غنى فيه وما يتعلق به من أخبار لطال الموقف وسئم منه القارىء، وكذلك لو وقف عند جميع ما غنى به من شعر الشاعر الواحد السياق الواحد، أو كما تقول عبارته: "فلو أتينا بما غنى به من شعر شاعر منهم ولم نتجاوزه حتى نفرغ منه لجرى هذا المجرى، وكانت للنفس عنه نبوة، وللقلب منه ملة وفي طبع البشر محبة الانتقال من شيء الى شيء...واذا كان هذا فما رتبناه أحلى وأحسن ليكون القارىء له بانتقاله من خبر الى غيره ومن قصة الى سواها ومن أخبار قديمة الى محدثه ومليك الى سوقه وجد الى هزل أنشط لقراءته وأشهى لتصفح فنونه لا سيما والذي ضمناه اياه أحسن جنسه وصفو ما ألف في بابه ولباب ما جمع في معناه".

## علاقة الكتاب بمكان مؤلفه في مجتمعه

يحدد أبو الفرج الباعث له على تأليف هذا الكتاب فيقول: "والذي بعثني على تأليفه ان رئيساً من رؤسائنا كلفني جمعه، وعرفني أن الكتاب المنسوب الى أسحاق مدفوع أن يكون من تأليفه وهو مع ذلك قليل الفائدة.." ويروي ابو الفرج في ذلك اسانيد وروايات تؤكد أن للكتاب المنسوب الى أسحاق الموصلي ليس له."





ويبدو هنا إمران: اولهما ان الوزير المهلبي هو ذلك الرئيس الذي طلب الى أبي الفرج تأليف ذلك الكتاب فاذا أضيف الى ذلك عناية أبي الفرج بذكر أخبار المجانة والاسراف فيها فان ذلك بغير شك مما يرضي ذوق المهلبي ومزاجه، وكذلك أذواق أصحاب أبي الفرج من بطانة المهلبي كالقاضي الايذجي والقاضي التنوخي، وهو في الوقت نفسه يرضى أذواق الطبقة المترفة التي دانت بحياة اللهو والمتعة وهكذا تكشف لنا مادة الكتاب صلته بمزاج مؤلفه ومزاج من يجزونه عنه ويثيبونه عليه، وتلك ظاهرة لا يخلو منها عصر من العصور.

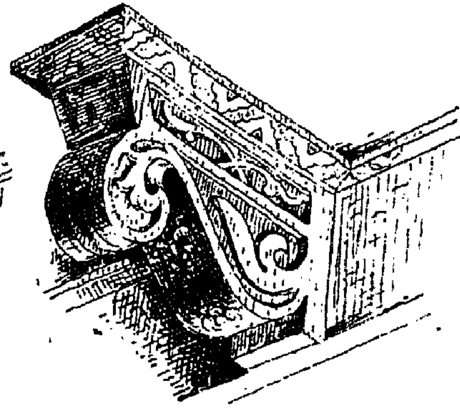
وثاني الامرين: ان نوع المادة وطريقة عرضها يوضحان طبيعة المزاج الثقافي والعلمي الذي غلب على شخصية ابي الفرج وهي شخصية الراوي وليست المؤرخ. الراوي الذي يجمع لك ما يتصل بالموقف أو الشخص أو المناسبة، وهو يقص عليك كل ما قيل حتى لو كان يرى أو يعتقد كذب ما يرويه وقد ينبهك اليه أو يقيم الدليل على فساده، ولكنه في النهاية يذكر لك كل شيء لتعرف وتمحص وتختار ولتكون على علم بكل مكذوب على الموقف أو المناسبة أو الشخص، وهذه الظاهرة ظاهرة الرواية والتجميع تدلنا على المزاج العلمي واللون الثقافي الغالب على شخصية أبي الفرج.

## (٣) ابرز الملاحظات حول الكتاب

(آ) لقد نص أبو الفرج عندما حدثنا عن الاسباب التي جعلته يعرض الكتاب على اساس الاصوات دون اساس فني في التقديم والتأخير، ودون أساس تاريخي بالنسبة للشعراء والمغنين، على ان ذلك انسب وايسر واشهى للقارىء حتى لا يسأم الاطالة وكثرة الحشو في الكلام عن الشخص الواحد أو الصوت الواحد.



■ الصورة نفسها ولكن وجه الامير يبدو بارزاً.



ويلزم من هذا بالضرورة ان أبا الفرج يعرض حياة الاشخاص في مناسبات مبعثرة فهو يجزىء ما يروي عن الشخص الواحد لان الشاعر الواحد قد يؤخذ من شعره اكثر من قطعة للغناء واكثر من صوت، وما دامت الاصوات هي الاساس في العرض فأن ابا الفرج بالضرورة سيذكر مع كل صوت ما يلائمه من الاخبار ولذا نراه ترجم لبعض الشعراء في اكثر من مناسبةواكثر من موضع.

ويلزم من هذا العيب التكرار بالضرورة لان الصوت الواحد تتصل أخباره بكثير من المغنين والشعراء والامراء وغيرهم، وبالتالي فأن أبا الفرج يعود الى الكلام عن الشخص او الموقف كلما جاءت مناسبة مع كل صوت.

(ب) هناك ملاحظة تتصل بطبيعة المادة التي قدمها أبو الفرج وهذا امر يكثر الحديث حوله والتعليق عليه بل التمسك به عند ارادة أهدار قيمة الرواية أو الخبر الذي يقدمه أبو الفرج، وهذه مسألة تحتاج الى تفصيل وتركيز:

أولا: يبدو ابو الفرج أمام القارىء ــ لا سيما المحقق للاخبار والناقد لها والمؤرخ على نحو خاص ــ وهو يجمع بين الغث والسمين والصادق والكاذب. والحق ان المسألة كما سبقت الاشارة اليها راجعة عنده الى انه حريص على ان يذكر كل ما قيل ولو كان باطلا وجميع ما ذكر ولو كان كذبا، وهو كثيرا ما يورد الخبر ولا يصدقه ويرويه ويرده، وكثيرا ما يدل على ما ينقضه أو ينقصه، ولكنه من وجهة نظر تاريخية يجمع القارىء كل ما قيل حقاً كان او باطلا، وكأنما يرى ان هذا مفيد لمن يدرس تواريخ الامم في عاداتها وافكارها ولمن يدرس الحياة الفكرية والاخلاقية والاجتماعية، لان الكذب والتزوير في ما يحكي ويقال يحمل امارات وسمات ودلالات لا تفلت من يد المؤرخ الذي يعني برصد الفلسفات والدلالات المتشعبة حول الموقف او الحادثة: فهذه الظاهرة عنده مع انها غير محمودة من جانب الا انها ذات دلالة وفائدة من جانب اخر لان المادة التي يقدمها تصور كل شيء حقا كان أو باطلا حول الخبر أو الموقف أو الشخص فتكشف عن حظه مما كان ومما قيل.

ثانيا: بلغ من ولع ابي الفرج بالحرص على تسجيل كل ما يتعلق بالخبر من روايات وأخبار وتعليقات أنه طلب الى النساخ اكمال او اثبات ما وصل اليهم ان لم يكن قد وصل اليه، وهو في ذلك حريص على دعم مادة الكتاب طبقا لمنهجه وخطته، ولكن خطر هذه الفكرة انه ربما زور النساخ او أخطأوا عند الاضافة ولم يفعلوا ما يطابق مراده، وقد يضيفون بغير اشارة منهم الى ان هذا من صنعهم، ويبدو ان الذي تعرض له الكتاب من هذا القبيل قليل غير مؤثر.

ثالثا: طبيعة التوثيق عند ابي الفرج وكذلك التعليقات التي يدلي بها حول الخبر او النص تجعل أبا الفرج صاحب منهج في التوثيق والنقد والبصر العلمي بما يقوله ويرويه.

وهنا نلاحظ جملة امور تلفت نظر القارىء للكتاب:

كان أبو الفرج يروي النصوص الشعرية بالفاظها اذا لم تكن غناء فاذا كانت غناء رواها كما غنيت حيث كان المغني يغير بعض الكلمات او تغير له.

كان أبو الفرج اذا نقل من كتاب يحرص على الالفاظ والمعاني، وفي روايته عن الشيوخ أو في روايته خبرا مفردا كان يلتزم نفس القاعدة، وقد راجع عليه الدكتور محمد احمد خلف الله ــ في بحثه القيم "صاحب الاغاني" ــ كثيرا من النصوص المنقولة او المنسوبة الى الشيوخ فوجده يلتزم اللفظ والمعنى، وهو في احايين اخرى كان يذكر الاخبار مختصرة وبألفاظ من عنده وينص على كمال المعنى وينبه القارىء الى ذلك كله.

ويتصل بما نحن فيه تعليقات أبي الفرج على خطأ الفكرة او الخبر او الرواية بالدليل التاريخي فضلا عن جانب الثقة بالرواة او الشك فيهم، وكثيرا ما يعتمد على وسائل البحث والنظر العقلي، ومقتضيات العصر والبيئة، وكل ذلك يدل على انه صاحب بصر بالنقد التاريخي، وذلك أمر ليس بالكثير على رجل اتسعت حياته لهذه الموسوعة الضخمة في تراث العربية فضلا عن غيرها من المؤلفات الاخرى.

وكثيرا ما يعتمد في النقد التارخي على الدراسة الفنية وهذا موقف لا يستغرب من اديب ذواقة اذ الاعتماد عليه في اثبات الخبر او النص او رده تقدم يحسب له في ميزان البصر الفني والتحليل التاريخي ايضا ولكن كل هذه السمات لا تنقل الرجل من مصاف الرواة الى مصاف المؤرخين بل هي حقه يضاف اليه ويعرف به مكانه بين الرواة. ■

(١) راجع في الكلام عنه: "معجم الادباء" لياقوت، "وفيات الاعيان" لابن خلكان، "عيون التواريخ" لابن شاكر، "الفهرست" لابن النديم، "الكامل" لابن الاثير، "نفح الطيب" للمقري، "مقدمة ابن خلدون"، "الجمهرة" لابن حزم، "المنتظم في تاريخ الامم" لابن الجوزي، "يتيمة الدهر" للثعالبي، "صاحب الاغاني" للدكتور محمد احمد خلف الله، "منهج ابي الفرج الاصفهاني" في كتاب الاغاني" داود سلوم...

# غزالة قاهرة الحجّاج

★ هي غزالة زوجة شبيب بن يزيد وأن كان بعض الرواة يقولون انها أمه ولكن الراجح أنها زوجته.

★ يجمع المؤرخون على أنها من ربات الفروسية ومن أشجع النساء وكانت براعتها في الضرب بالسيف لا تجارى وكان يخشاها أقوى الرجال.

★ ثارت هي وزوجها على جبروت الحجاج بن يوسف في العراق وذلك في عصر عبد الملك بن مروان فأرسل اليها الحجاج خمسة من أقوى قواده وكانوا مسلحين بالسيوف فطلبت منهم غزالة أن ينازلوها واحداً واحداً ولكنهم رفضوا ذلك وهجم عليها الخمسة بسيوفهم فاستلت سيفها وبارزتهم جميعاً وقتلتهم الواحد تلو الآخر دون أن تصاب بخدش واحد...

★ كانت غزالة قد نذرت أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين لله تقرأ فيهما سورة البقرة بأكملها وعلم الحجاج ذلك فأرسل اليها هذه المرة سبعين رجلا مسلحاً وأحست بهم غزالة فأنهت صلاتها بالتسليم وأخذت سيفها وبرزت لهم فهرب نصفهم وحاول النصف الآخر التصدي لها ولكنها قتلت رجلين بضربة سيف واحدة فأطلقوا سيقانهم للريح ولا سيما عندما لاحظوا تحمس الشعب للفارسة العربية.

★ صمم الحجاج بن يوسف على مجابهتها بنفسه فسار على رأس قوة من مائة فارس والتقى بها هي وزوجها وبعض رجالها فحملت غزالة عليه حملة قوية وقتلت حارسه بأن أطاحت برأسه بضربة سيف فأطلق الحجاج ساقيه للريح وامتطى جواده وهرب. وانتشر الخبر فعيره الناس بذلك وقيلت فيه قصيدة طويلة نختار منها هذين البيتين:

| | |
|---|---|
| أسد علي وفي الحروب نعامة | فتخاء تنفر من صفير الصافر |
| هلا برزت الى غزالة في الوغى | بل كان قلبك في جناحي طائر |

★ قتلها أحد قواد الحجاج غيلة بأن طعنها في ظهرها وهو (سفيان بن الابرد) وبمقتلها انفض من حولها من الرجال.

★ تحدث عنها وعن شجاعتها النادرة الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) كما افرد لها ابن عماد فصلا في مصنفه (شذرات الذهب) وعبد القادر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) وابن خلكان في (تاريخ ابن خلكان)

عن كتاب "سطور مع العظيمات" محمد كامل حسن

# الموسيقى الاوتوماتيكية

## من عصر العلب الى عصر الكهرباء

اعداد: اليان ماجو

■ قبل اختراع الفونوغراف، كانت الموسيقى الآلية وقفاً على بعض المحظوظين. والذين لم يسعدهم الحظ في تعلم العزف على آلة كانوا يفتشون عن الفرص النادرة للاستماع إليها.

وقد بقيت الاجراس وعمليات القرع البدوية، لمدة طويلة، الوسيلة الوحيدة للحصول على أنغام. وكان من الطبيعي ان يبحث العلماء، عن إمكانية اختراع آلات موسيقية بدون عازفين. وكان ذلك ضرورياً في القرن الثامن عشر الذي اشتهر بعملية توسيع واستغلال الفكر الانساني. واشتهرت تلك الحقبة من الزمن بهذه الآلات العاملة ذاتياً، وكانت التجربة الاولى لمحاولة "سجن" الموسيقى والتي امتدت حتى ايامنا على "الالكتروفون".

انها قصة تمثل احدى مراحل النجاح في تاريخ التمدن البشري.

والقرن الثامن عشر يعتبر نقطة الانطلاق الرائعة بالنسبة للموسيقى الآلية، وكذلك بالنسبة لعدة اكتشافات اخرى قام بها العقل البشري.

يومها سطعت في أوروبا اضواء "قرن النور" الذي امتلأ بالعلماء والمكتشفين، وأيضاً بالدجالين والمنافقين الذين كانوا يحيطون بهم وهم يحملون علب التبغ في احدى ايديهم ويضعون ساعتين في جيبي صداريهم.

ومنذ أن اخترع بعض اللاجئين الالمان الذين هاجروا من بلادهم إثر حرب الثلاثين عاماً وويلاتها اجهزة الموسيقى الآلية لم يظهر شيء جديد لمدة طويلة. وفجأة أصاب النجاح كلا من "فوكانسون" والأب "انفراميل" و"جاكسي - دروز" و"بيار كينتزنيك"

ورغم معارضة التقويم التاريخي فاننا نرى أن الاب "انجراميل" هو الاجدر بأن نتحدث عن اختراعه كونه ذا اهمية خاصة.

"ماري دومينيك جوزيف انجراميل" هو أحد الاتقياء الذين يقضون نصف اعمارهم في الصلاة ولا يفكرون باغضاب الله إن هم امضوا النصف الآخر من العمر في ابحاث زمنية.

ولد في "نيدوشيل" عام عام ١٧٣١ (توفي عام ١٧٨٠) وكان على المذهب الطبيعي مثل جان - جاك وميكانيكياً كعادة رجال ذلك القرن. وكأحد اتباع المذهب الطبيعي الف كتاباً عن الفراشات لم يجلب له الشهرة. وكميكانيكي اخترع تقنية جديدة جعلته من المشهورين. وقد اشتمل كتاب صدر عام ١٧٧٥ موجزاً لهذه التقنية كما يأتي:

إن "التونوتيكنية" هي فن الضرب على الاسطوانات أو كل ما هو صالح لالتقاط "الاصوات في المجال الميكانيكي".

ويكفي القول ان الاب "انجراميل" وهو الموسيقي الحساس الذي صُدم من عدم دقة النتائج التي توصل إليها، اخترع "طريقة الساعة" التي ما زالت مستعملة كمبدأ عام حتى يومنا هذا و ذلك بعد ادخال بعض التعديلات عليها. ولم يكن في نية الاب "انجراميل" استخدام الموسيقى انما خدمتها، ويظهر ذلك جلياً في بعض مقاطع كتابه ذي الاسلوب الشيق: "... ولكن، كم هي الاماكن في فرنسا، التي تقام فيها الشعائر لغوياً فقط وذلك لعدم وجود موسيقى واحياناً لخلل في اسطوانات الآلة المبتاعة بثمن زهيد، والتي كان من الممكن ان تعطي انغاماً أفضل لو جرى ضبطها،

وأحياناً بسبب بعض الموسيقيين غير الاكفاء الذين كانوا يضللون الكورس بدلا من مساعدته" ٠ وكتاب "انجراميل" من بعض نواحيه ملخص لكل الحياة الموسيقية الميكانيكية في عصره: ففيه يذكر موسيقيي: الارغن والسنطير Tympanon) وقارع الاجراس ولاعب الناي٠ وبالنسبة للاعب الناي فلا شك أنه كان يعني "فوكانسون"

## فوكانسون ودماه المتحركة

اشتهر "فوكانسون" بدماه المتحركة وبعبقريته الميكانيكية اكثر من شهرته بثقافته الطبية وبعلمه في التشريح٠ ولد في "غرونوبل" عام "١٧٠٩" بذاكرة ضعيفة خصص لها "سان سيمون" مقطعاً في كتابه "مذكرات" ٠ كان "فوكانسون" في الخامسة والعشرين عندما قرر صنع "دماه المتحركة" وكان اثناء ذلك يعيش حياة رغيدة في مجتمع سعيد لدى المزارع العام المشهور "روبرتس دولا بوبالينيار" ٠ وأصبح مريضاً ومديناً لمحاولته ايجاد "اجساد متحركة تحت التشريح" تقوم بالوظائف الرئيسية للاعضاء الجسدية ٠ وكان ذلك حلماً فقرر التوقف عن ابحاثه وتصحيح وضعه الحالي ٠

وبهذه الاخلاق العاقلة والمتواضعة بدأ بصنع "لاعب الناي" وكنموذج له اتخذ لوحة "سوبسيفوكس" وهي تمثل نصف إنسان ونصف سمكة يلعب الناي، واعطى لدميته نفس الطول ونفس المسلك، مستغلا علمه في التشريح الانساني، ثم قدم إلى جمهوره دمية تقوم بنفس حركات الموسيقي الحقيقي الذي يلعب على آلة ناي حقيقية ذات تغييرات داخلية٠ وقد تقبل الجمهور ذلك برضى تام٠

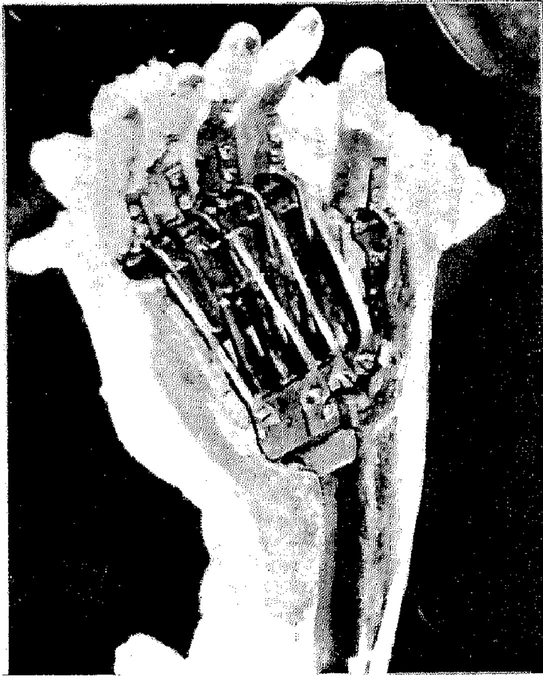
## لاعب الناي

وكان ذلك حدثاً جديداً٠ فالفكرة وتنفيذها جديدان ٠ وكان النجاح فورياً وكبيراً ومدهشاً٠

وبعد عرضه لمدة قصيرة في معرض "سان جيرمان" وضع "عازف الناي" في منزل "فوكانسون" الجديد في "لونكفيل" في كانون الثاني ١٧٣٨، حيث تقاطرت الشخصيات أمام "هذا العمل الرائع للفكر الانساني"٠ بين الزائرين كان "فولتير، دوق دي لوين، دوق بيكيني بالاضافة الى ذواقي الفن وأعضاء اكاديمية الفن بكامل عددهم" ٠ وأظهر الجميع دهشتهم واعجابهم "بهذا الرجل ذي الحجم الطبيعي الذي يرتدي ملابس ويلعب أحد عشر نغماً على ناي عرضي بنفس حركات الشفاه والاصابع وبنفس النفثات من الفم لانسان حقيقي٠"

وجاء في مذكرات دوق دي لوين:

"١٤ كانون الثاني ١٧٣٨:



– [illegible]

ما يميز هذه الالة، هو ان النغمات تكون عالية أو منخفضة وتستطيع تغيير الناي بآخر٠٠٠"

وبعد أن يشاهد "لاعب الناي" يضيف:

"أن النغم يخرج فعلا من الفم٠ والاصابع هي التي تلعب ٠ الاصابع من خشب مع قطعة من الجلد في الثقوب، كما ان الوجه من الخشب٠ أما الايدي فهي من الورق المقوى" ٠

## اختفاء الدميتين

واذا كان الشكل الخارجي رائعاً، فان هذه الآلة تبقى مدعاة للتأمل ٠ ففي الثلاثين من نيسان ١٧٣٨ لم يتردد "فوكانسون" في تقديم مذكرة الى "اكاديمية العلوم الملكية" التي قام سكرتيرها الدائم "فونتنيل" بالاحتفاظ بها، قال فيها:

"إن الاكاديمية قد أقرت بان هذه الآلة هي خلاصة تفكير عبقري، وبأن المخترع عرف كيف يستعمل ادوات سهلة وجديدة لمساعدة أصابع هذه الدمية على الحركات الضرورية والتحكم بسرعة الهواء الداخل الى الآلة٠ وذلك حسب النغمات المنتظرة وكذلك وضع الشفاه، وقام بوضع صمامة متحركة مكان اللسان وباختصار تقليد كل ما يضطر الانسان الطبيعي للقيام به٠٠٠"

في العام نفسه انجز "فوكانسون" آلته الجديدة (Canard) وهي آلة تصدر أصواتاً٠ وكان هذا الموسيقي الجديد بشكل إنسان طبيعي يرتدي لباس راع ويقوم باخراج عشرين نغماً مختلفاً على "ناي قروي" من احدى يديه وبالضرب على الطبلة

بالأخرى وذلك بنفس دقة وجودة لاعب ماهر.
ولكن "فوكانسون" سرعان ما تخلى عن اختراعاته التي لم تمثل له سوى اشلاء حلم ضائع ووسيلة لتركيز واستعادة وضعه الحالي المنهار. وفي عام ١٧٤٣ قام ببيعهما إلى مجهول يدعى "دومولان" الذي جاب بهما أوروبا بنجاح كبير وفجأة اختفيا من الوجود... وبدأ البحث عنهما في كل مكان.

## تحليل فني

من الوجهة الفنية يمكن اعتبار "لاعب الناي" ثورة في عالم الموسيقى الميكانيكية، لقد كانت بالفعل المرة الاولى التي اظهرت فيها قطعة ميكانيكية مهارتها بطريقة آلية باخراج مقاطع موسيقية.

وبينما لم تعد دمى "فوكانسون" سوى ذكرى مجيدة، فقد بقيت دميتان موسيقيتان بين أجمل وأدق ما اخترع ابدا، ولم تزالا، فوق ذلك، في حالة جيدة وتقومان باخراج الموسيقى ذاتها التي استمع اليها اجدادنا ومن دون شك استمع إليها أيضاً الذين الفوها.

ونعني هذه المرة "السيدتين"

الاولى وهي الاقدم، تعود إلى عام ١٧٧٤، وهي تحفة "جاكي - دروز" الميكانيكيين السويسريين المشهورين، وبعد عدة رحلات قاما بها، أحدهما كان كاتباً والثاني رساماً، لزمت هذه "السيدة" منزلهما في قرية "نيوشاتل" في سويسرا، وفي عام ١٧٨٣ ظهر منشور دعائي وصفها كالتالي:

"هذه الدمية التي يقوم راسها وجسدها وعيناها ويداها وأصابعها بمختلف الحركات الطبيعية، تقوم من تلقاء نفسها ومن على مقعدها بتقديم عدة قطع موسيقية بكثير من الدقة: رأسها وعيناها تتحرك في كل الاتجاهات وهي تنقّل بصرها على النوته الموسيقية وعلى أصابعها، وبنهاية كل مقطع تقوم بتحية الجمهور بانحناءة من جسدها وبحركة من رأسها وتتحرك حنجرتها صعوداً وهبوطاً بطريقة منظمة مما يجعلنا نعتقد بأنها تتنفس".

يجدر بالذكر ان القطع الخمس التي تلعبها هذه "الموسيقية" لم تكن بالطبع من تأليف موسيقي مشهور انما من هاو موهوب، هو "والدها" هنري - لويس وجاكي دروز.

والسيدة الثانية هي تلك السيدة الشابة، التي تحل ضيفة على متحف "الكونسرفاتوار الوطني للفنون" منذ قرن، وهي تستطيع أن تقدم ثماني قطع موسيقية من "الأرميديا" على الـ Tympanon الذي لم يعد له وجود في أيامنا هذه والذي اطلق عليه العبرانيون اسم "توف".

وهي آلة غريبة نوعاً ما حيث يجري لمس حبالها بواسطة خشبتين صغيرتين، وكما في الدمى السابقة، فإن هذه "الموسيقية" تؤدي دورها بواسطة حركة آلية معقدة.

وقصة هذه السيدة غريبة نوعاً ما، لقد ظهرت عام ١٧٨٠ نتيجة الموهبة المشتركة "لبيار كينتزنيك" و"دايفيد رونتجن" ذوي الأصل الألماني واشترتها الملكة ماري - انطوانيت عام ١٧٨٥ وشغفت بها جداً، ومن خزانة الملك فصّل لها ثوب مطرز بالدانتيل، ويقال أن شعرها الناعم من شعر الملكة نفسها، أما "كلوك" الموسيقي الذي الف الانغام التي كانت تلعبها فقد جعلت منه ماري - انطوانيت ملحنها المقرّب، ويقول "روبير هودين" الذي قام في عام ١٨٦٦ بترميم وجهها الرائع ان تقاسيم هذا الوجه تشبه وجه الملكة، ومهما كانت الأسباب فان الملكة تخلت بسرعة عن نزوتها الجديدة وقامت بعد أشهر قليلة باعطاء هذه الدمية إلى "اكاديمية الفنون" التي حفظتها من ويلات الثورة، وبسبب اهمالها تأثرت بعامل الزمن ثم اعطيت للكونسرفاتوار الوطني للفنون بعد ترميمها واستمرت، رغم تقدمها في السن بتقديم نفس النغمات الصادرة عنها منذ ١٨٠ عاماً.

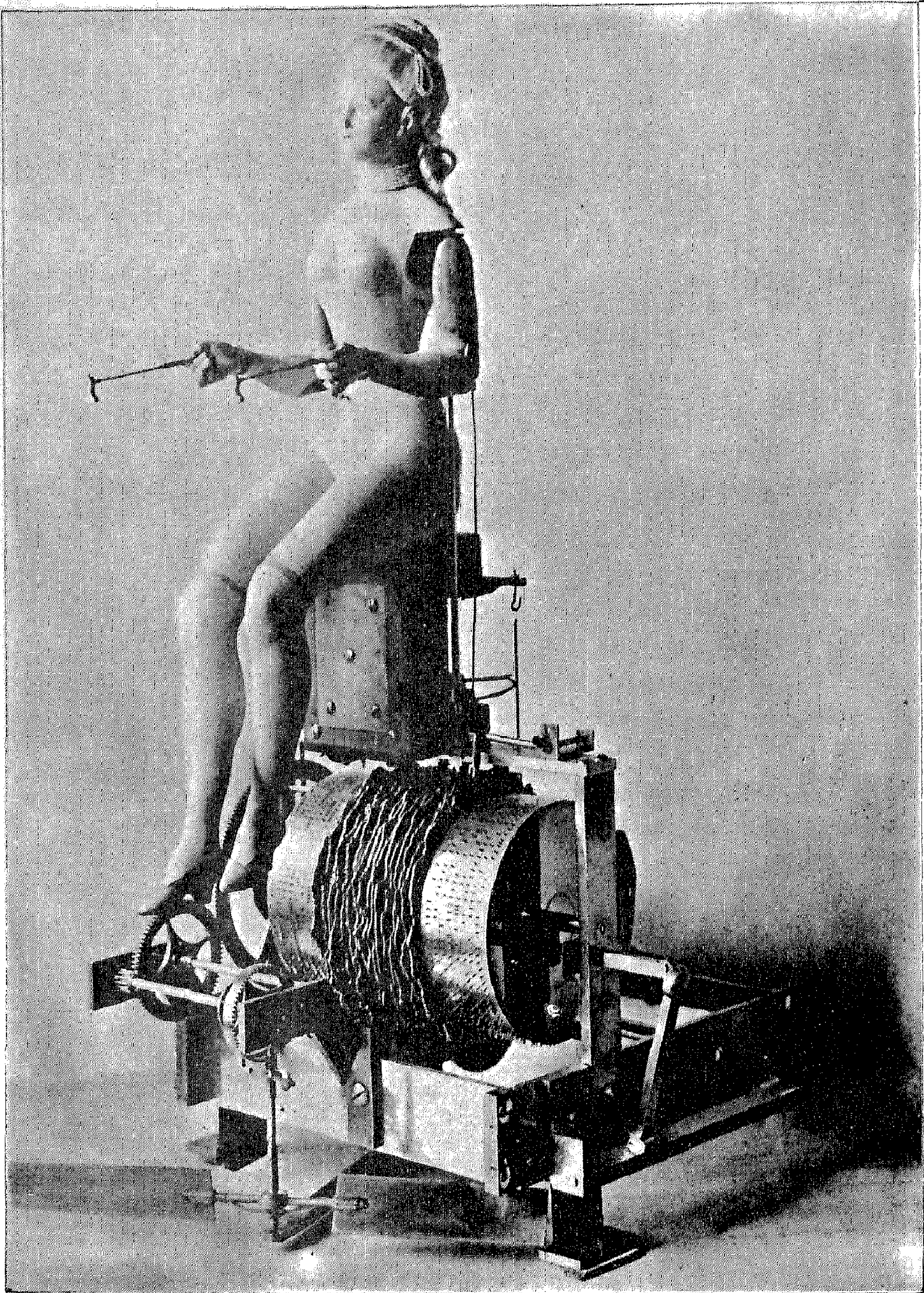
## علبة الموسيقى

وجاءت الثورة واستعرت وانتهت... ثم انقضى القرن الثامن عشر وهدأت العاصفة، وانتشرت حفلات الباليه، ولم يعد للنساء هم سوى ارتداء الربطة الحمراء حول العنق "كذكرى للشهداء". وبدأ نجم نابليون بونابرت بالصعود، ولكن على الحدود القريبة لم تكن الامور حسنة، فجنيف وهي أقدم جمهورية أوروبية تعيش اللحظات الاخيرة من حريتها، وهذه المدينة التي تضم ثلاث فئات مختلفة ومتعادية (الأرستقراطية، والبرجوازية التجارية والصناعيين) كانت مشغولة بصناعة الساعات، هذه المدينة ذات الخمسة والعشرين ألف نسمة كانت تضم حوالي ٦٠٠٠ نسمة يعملون في هذه الصناعة ذات التأثير الكلي على الجمهورية كلها، ولكن في عام ١٧٩٦، ونتيجة للثورة الفرنسية، انتشرت البطالة في جنيف وكان تسعة أعشار العمال بدون عمل فضلا عن الكثير من الصناعيين الذين تركوا هذه المهنة.

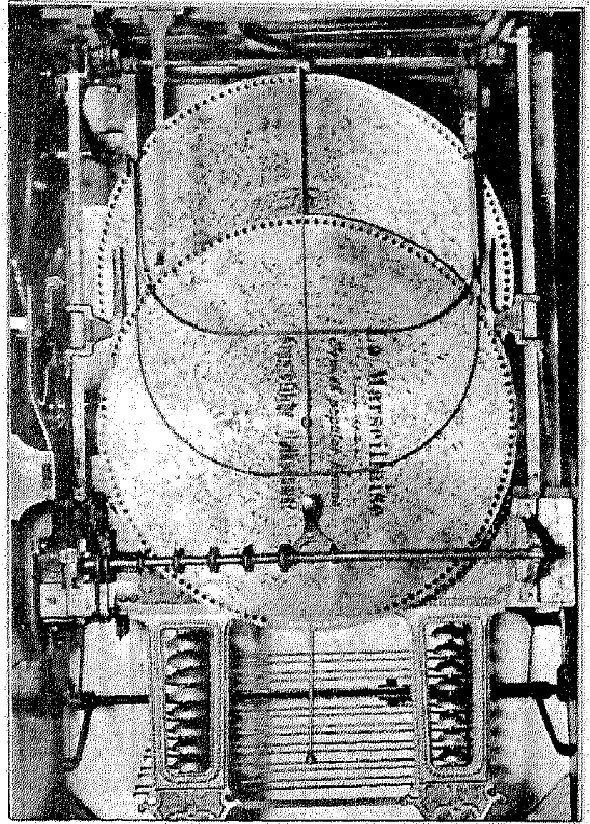
رغم كل ذلك فان البعض حاول تجاوز المحنة ولم ييأس، واحدهم كان "انطوان فافر" الذي غامر باختراع جهاز جديد، ففي الخامس عشر من شباط ١٧٩٦ اصدرت جمعية الفنون تقريراً جاء فيه:

"يقول السيد فافر انه وجد الوسيلة لاقامة رقاص Carillow داخل علبة صغيرة، وكون هذا الاختراع ذا فائدة لصناعة الساعات فاننا ندعو كل المراقبين الى فحص هذا الاختراع الجديد وابداء الملاحظات".

ويبدو أن هذا الاختراع جاء في ظروف سيئة جداً وأطلق عليه لقب "موسيقى المشط" وما زال هذا الاسم سارياً حتى الان.



آلات لاعبة **Tympanon**
قطعة ذات أوراق مع تغيير آلي للاسطوانات.
والاسطوانة العليا تبث نشيد "المارسيلياز" وهو
النشيد الشعبي الفرنسي باللغة الانكليزية والالمانية



قطعة موسيقية مع ناقوس تتغير فيها الاسطوانات بصورة آلية

في عام ١٧٩٨ خسرت جنيف استقلالها، فبعد عدة اضطرابات دخلها الجيش الفرنسي وضمها الى فرنسا، وكان المحتل يغدق الوعود دون تنفيذها وساءت حالة المصنع يوماً بعد يوم، وبالقوة اجبرت جنيف على اتباع النظام الثوري واصبحت أقدم مدينة اوروبية تدعى "مقاطعة ليمان الفرنسية".

في ١٥ ايار ١٧٩٩ صدرت مذكرة ثانية واخيرة لاعطاء بعض التفاصيل عن اختراع انطوان فافر الذي كان يجاهد في ظروف صعبة، ورفضت الجمعية بعد مناقشات عقيمة مساعدته مالياً، وكان قد طلب ٣٢ قطعة ذهبية لمدة شهرين، وعند وفاته في كاريتين عام ١٨٢٠ لم يذكر احد انه مخترع "علبة الموسيقى" التي كانت رائجة آنذاك.

في ١٨٠٢ أصبح نابليون بونابرت القنصل الاول، ووقعت فرنسا مع انكلترا صلح "اميان" وفي جنيف حاول شاب يدعى ايزان بيجو تطبيق نظرية انطوان فافر على الخواتم والساعات وعلب السجائر، ودهش الجمهور بهذا الاختراع، وبفضله استعادت جنيف مجدها الاقتصادي، وبدأ صنع علب موسيقية تناسب كل الاذواق وكل الأسعار، وقام نابليون باهداء علب مذهبة إلى كبار ضباطه وازدهرت هذه الصناعة بين السجناء النمساويين المعتقلين في باريس.

## جنيف مقاطعة سويسرية.

وعندما اسقطت الامبراطورية تنفست أوروبا الصعداء. وكان ذلك بداية فك الحصار عن جنيف التي استعادت حريتها واصبحت "كانتون" سويسرياً.

وبفضل شهرتها وجمال طبيعتها وموقعها الحساس أصبحت جنيف عاصمة سياحية. فمنذ ١٨١٥ بدأ المسافرون وخاصة الانكليز يمضون إجازاتهم هناك، وكانوا يقصدونها أيضاً لقراءة "جان جاك روسو". وللذهاب إلى جبال الألب أو الى ايطاليا كان يجب التوقف في جنيف.

هذه الحركة السياحية شجعت التجارة، وكما هو الحال اليوم كانت المتاجر تعرض كل أنواع السلع كذكرى للرحلة، وكانت علبة الموسيقى هي الهدية المشتراة بكل طيبة خاطر.

وكان مراهقو ذلك الزمن يضعون علباً موسيقية على عصيهم المذهبة وساعاتهم وعلب التبغ التي يحملونها وكان كبار القوم يتباهون بهذه التحفة، فحوالي عام ١٨٤٠ أوصت ماري - تيريز ملكة سردينيا على علبة مطرزة مصنوعة من العاج والذهب وذلك لاهدائها الى حفيدتها الأميرة "ماري كلوتيلد" وكانت العلبة تحتوي على عصفور يصدر انغاماً وثلاثة عصافير صغار تساعده في النغم، وكانت الموسيقى تخرج من اسطوانتين تصدر كل واحدة منهما انغاماً مختلفة، ولم تعد جنيف وحدها كافية لتلبية الطلبات وامتدت هذه الصناعة الى مناطق اخرى وفتحت لها فروع كثيرة في الخارج.

ولكن شيئاً فشيئاً بدأت هذه الصناعة بالابتعاد عن هدفها الرئيسي واتجهت نحو انتاج "العلب الموسيقية" بانغام مختلفة، وكانت بعض هذه الانغام من تأليف روسستي وفاغنر وأوفنباخ، وبعض هذه العلب كانت تضم عدة أنغام مما يسمح إما بترديدها أو بالانتقال من نغم لآخر، واحدى كبريات هذه العلب صنعت لنابليون الثالث، وكانت مقامة على أرجل وبحجم خزانة وتحوي على عشر اسطوانات كل واحدة تصدر ثمانية انغام أي حوالي ساعتين من الموسيقى.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر انتشرت هذه الحركة انتشاراً واسعاً، وكان بعض المسافرين يحرصون على امتلاك علب موسيقية في تنقلاتهم، وكتب "لويس بوقيه":

"وفي الايام الممطرة كانت العلب الموسيقية تسلينا وكنا نديرها حتى الثمالة"

وفي العام ١٨٦٧ بلغ إنتاج علب التبغ الموسيقية حوالي ٦٠٠٠ في جنيف وحدها وباسعار تتراوح بين الأربعين والخمسماية فرنك ولم يخل معرض في أوروبا من هذه العلب.



■ "السيدة الموسيقية" لعبة "كينتزيك"
التي اعجبت بها واشترتها ماري انطوانيت عام ١٧٨٥



■ علبة موسيقى مبتكرة ـ صنع جنيف

وإلى جانب هذه العلب تطورت الصناعة الموسيقية بأشكال مختلفة، وأحد اغرب اختراع كان لـ"وينكل" الذي ما زال في الكونسرفاتوار الملكي في بروكسل، انه يستطيع ليس فقط القيام مقام فرقة موسيقية بل أيضاً تقديم ثمانين نغماً مختلفاً، وفي القرن التاسع عشر ايضاً انتشر الأرغن الذي ألف له بيتهوفن قطعة موسيقية خاصة، أما "ارغن بارباري" فمأخوذ من مخترعه نفسه... وجاء في أحد القواميس:

"أن ارغن بارباري المتوحش هو فعلا متوحش كونه يصدر انغاماً شاذة في أغلب الأوقات".

## الفونوغراف والفونوتوغراف

وللحقيقة لم يستطع الفونوغراف اثبات وجوده الثوري، الا بعد جهد جهيد مثلهفيذلك مثل اختراع ليليانتهال وآدر والأخوين رايت أبطال صناعة الطيران، والسبب ان الجمهور لم يستوعب ما مكن ان يقدمه هذا الاختراع مستقبلا...

ويجب العودة الى عام ١٨٥٧ للحصول على أول براءة اختراع فرنسية للفونوغراف، انه يحمل الرقم ٣١٤٧٠ ومخترعه هو عامل "التوبوغراف" "ليون سكوت" وهو من مدينة "مارتينغيل" وقد اطلق عليه في البداية اسم "الفونوتوغراف".

بعد عشرين عاماً حصل "شارل كروس" على مغلف مختوم من "اكاديمية العلوم" وكان ذلك في ٣٠ نيسان ١٨٧٧، كان المغلف يحتوي على اختراع نقل وتسجيل الانغام المنتجة بواسطة الفونوتوغراف على الفونوغراف، وفي ١٩ كانون الاول من العام نفسه قام الاميركي "توماس أديسون" بتقديم براءة اختراع لمختلف أنواع نقل وتسجيل الانغام على اسطوانات.

وانتشرت الفكرة بسرعة الرياح

وفي الاول من آب ١٨٧٨ قدم "شارل كروس" براءة اختراع تحمل الرقم ١٢٤٢١٣ والتي كانت خطوة إلى الامام في مجال التسجيل، ولفقره لم يستطع كروس تحقيق اختراعه ومات بعد عشر سنوات في التاسع من آب ١٨٨٨.

وفي عشر سنوات سجل فونوغراف "اديسون" تقدماً ملحوظاً، واستناداً الى ذلك قام "تينتر" و"بيل" في العام ١٨٨٥ باختراع جديد اطلقا عليه اسم "الغرافوفون" وفي ١٨٨٧ قام "برلينير" وهو الماني هاجر إلى أميركا باختراع الاسطوانة واسماها "الغراموفون".

وبدأت حرب الاختراعات في هذا المجال تشتهر في أميركا، وانشئت الشركات لذلك في ولاية "كولومبا".

ولم يدرك "اديسون" ان اختراعه موجه للعامة، بينما في فرنسا كان "شارل واميل باتيه" يقومان باستدعاء الناس إلى المقاهي ويديران الفونوغراف" حيث نالا نجاحاً دفعهما إلى تأسيس مصنع لانتاجه في "بيلفيل" وبتسجيل اسطوانات مصنوعة في معملهما في "شاتو". وكانت مكاتبهما في باريس نفسها وفي شارع "ريشيليو" رقم ٩٨ حيث كانا يقومان بعملية التسجيل، ولم يكن في الامكان تسجيل أكثر من ٣٥ اسطوانة، ويذكر ان الفنان، "شارلوس" كان يردد النغم الواحد أربعين مرة في الصباح وأربعين مرة في فترة بعد الظهر، وكان ثمن الاسطوانة يتراوح بين الفرنك والفرنكين، وتطور الامر إلى أن أصبح الديك شعاراً للعمل.

أما بالنسبة "للكلب الجالس" الذي يستمع إلى صوت سيده والذي لم يقل شهرة عن الديك فكان من انتاج الرسام الانكليزي بارولت الذي رسمه عام ١٨٨٩ وباعه الى "شركة الفراموفون".

في فرنسا اخرجت "باتيه" اولى اسطواناتها في عام ١٩٠٨، وكان ذلك مفاجأة ضخمة حلت محل الاسطوانة المتداولة، وكانت اهمية الاختراع تزداد يوماً بعد يوم، وبدون توقف ازدادت الشركات في كل انحاء العالم ولكن خف الانتاج بسبب الحرب العالمية عام ١٩١٤، ونستطيع القول أن المرحلة العظيمة للاسطوانة توقفت عام ١٩٢٤، لان الناس كانت تملك عدة انواع من الانغام لا يمكن لأية علبة موسيقية تقديمها،

وكانت الشركات تقدم لجمهورها وبكل اخلاص كل ما يقدمه المغنون والموسيقيون.

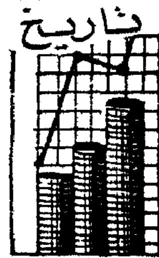
حتى العام ١٩٤٧ لم يطرأ أي جديد في المجال الفونوغرافي، ولم تتغير الاسطوانات الكبيرة والثقيلة ذات ٧٨ دورة في الدقيقة والتي كان وقت ادارتها محدوداً، وكان يجب ادارتها باليد كلما توقفت.

وفي عام ١٩٤٧ ادخل (ادي باركلي) إلى فرنسا اختراعاً جديداً احضره من الولايات المتحدة وكان الميكروسيلون ثورة جديدة في عالم الموسيقى.

وخف وزن الاسطوانة وحجمها إذ كانت ذات ٤٥ دورة ووصلت مدة الدورة إلى نصف ساعة إذا كانت ذات ٣٣ دورة، وبطلت عادة الادارة باليد وبدىء باستعمال الكهرباء.

... وما بعد هذا التاريخ هو قصة اخرى طويلة، وطويلة جداً، وان تكن حدثت في فترة زمنية قصيرة. ■






# اصلاح زراعي

■ المقصود بالاصلاح الزراعي هو اجراء تعديلات وتغييرات في النظام الزراعي للبلد المعين بقصد زيادة الانتاج الزراعي، وتوفير موارد داخلية للتنمية القومية، وتحقيق نوع من العدالة الاجتماعية للفلاحين، ورفع مستوى الريف الى مستوى المدينة.

وهذه التعديلات والتغييرات قد تكون شاملة لكافة نواحي العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والادارية والفنيةوالعلمية في الزراعة، فيكون الاصلاح الزراعي في هذه الحالة اصلاحاً زراعياً جذرياً، وقد تقتصر التعديلات والتغييرات على بعض نواحي الجانب الاقتصادي في الزراعة وعلى بعض جوانب نظام حيازة الارض والتصرف فيها. ومن الممكن ان يؤدي الاصلاح الزراعي المحدود الى الاصلاح الزراعي الشامل في ظروف الانتقال الدؤوب الى الاشتراكية.

وفي الاشتراكية يعتبر تحقيق اصلاح زراعي جذري هدفاً رئيسياً، وان كانت وسيلة تنفيذه قد تختلف من بلد الى بلد وفقاً لظروفه. وغاية الاصلاح الزراعي الاشتراكي ليست هي تعديل نظام الانتفاع بالارض من نظام فردي اقطاعي الى نظام فردي رأسمالي، وانما هدفه هو تحويل نظام الانتفاع بالاراضي الزراعية الى شكل من أشكال الانتفاع الاجتماعي بها، وأشكال الانتفاع الاجتماعي تحدد في شكل "مزرعة الدولة"، أو "المزرعة الجماعية"، او "المزرعة التعاونية".

ومن اهم المسائل المتعلقة بمدى ثورية الاصلاح الزراعي، مسألة الموقف من مدى دور الفرد في التصرف في الارض الزراعية وفي منتجاتها، ومدى استغلاله للارض بوصفها غرض انتفاع وبالمحاصيل بوصفها سلعة. وتطرح هذه المسألة قضية مصير الملكية الفردية في الارض سواء من ناحية استمرار وجودها بشكل مطلق، أو من ناحية شروط مثل هذا الوجود ومداه. كما نطرح قضية المستفيد الاول من عائد العمل الزراعي

وتعتبر سلسلة القوانين التي صدرت منذ ٩ ايلول (ستمبر) ١٩٥٢ في مصر المتعلقة بالارض والفلاح اول تجربة من نوعها في العالم العربي. وهي القوانين التي حددت الملكية والايجار وحلت الاوقاف الاهلية واعادت تنظيم الاوقاف الخيرية، وصادرت اراضي أفراد الاسرة المالكة، وحددت اجر العامل الزراعي وكفلت للعمال الزراعيين حق تكوين النقابات.

وقد نص ميثاق العمل الوطني على اختزام الملكية الفردية في الارض الزراعية، وان كان قد تضمن في الوقت ذاته شروطاً هامة من أبرزها الا تكون هذه الملكية اقطاعية او تفتح الباب للاقطاع، وألا تكون هذه المكلية مستغلة أو تفتح الباب للاستغلال، وان تكون ملكية منتظمة في نظام تعاوني يمتد على طول العملية الزراعية من الحرث والبذر الى التسويق، وان تخضع هذه الملكية الفردية لتخطيط منظم يكفل ان تؤدي هذه الملكية من الخدمة للمجتمع قدر ما تؤديه من خدمة لاصحابها.

ومنذ صدور قوانين الاصلاح الزراعي في مصر، تمت اصلاحات زراعية في عدد من البلاد العربية: كان منها الاصلاح الزراعي الذي تم في سوريا عقب الوحدة في اوائل عام ١٩٥٨، والذي تم في العراق عقب ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨، ثم الاصلاح الزراعي في الجزائر الذي بدأ تنفيذه عام ١٩٦٧.

ومن الواضح ان قضية الاصلاح الزراعي لا تزال مطروحة في سوريا والعراق حتى الآن. أما في الجزائر، فان تجربة الاصلاح الزراعي تسير قدماً على أسس واضحة. ■

ا.ع "عن موسوعة الهلال عام ١٩٧٠

# تاريخ حركة الطوابع الاردنيـــــة



اعداد : ميشال اسطفان الاخصائي في الطوابع

نشرنا في العددين السابقين تاريخ بدء استعمال الطوابع في لبنان ومصر، ولمحة عن المكتب الفرنسي في الشرق، وها نحن نقدم في هذا العدد تاريخ حركة الطوابع البريدية في الاردن، ولمحة عن المكتب الروسي في الشرق.

المملكة الاردنية الهاشمية المعروفة سابقاً بشرق الاردن، كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية، وكانت تستعمل الطوابع العثمانية، ولكن باختام مختلفة تحمل اسماء المدن الاردنية. ولدى دخول الحلفاء في ٢٨ ايلول ١٩١٨ استعملت الطوابع الفلسطينية (خالص الاجرة) (صورة ١).

ولما انشئت الدولة العربية برئاسة الملك فيصل سنة ١٩٢٠ جعلت من الاردن جزءاً من الحكومة السورية العربية، وانتشر استعمال طوابعها الى جانب ما تبقى من الطوابع الفلسطينية الآنفة الذكر.

وفي ٢٤ تموز ١٩٢٠ انسحب الامير فيصل من دمشق عاصمة سوريا التي استولى عليها الفرنسيون.

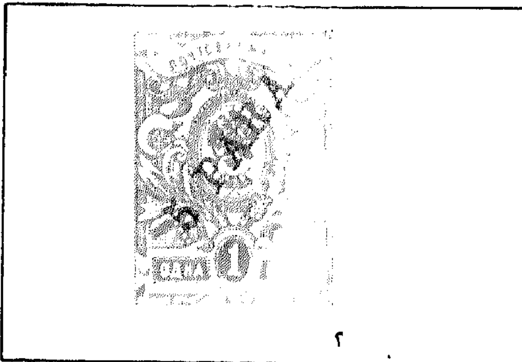
وفي شهر آب ١٩٢٠ توجه المندوب السامي في فلسطين الى السلط التي كانت اكبر مدينة مهمة في الاردن، واعلن باسم حكومة صاحب الجلالة البريطاني تأسيس نظام حكم مركزي في الكرك وعمان والسلط واربد. اما مقاطعة معان فقد بقيت تحت ادارة الملك حسين ملك الحجاز.

وبالرغم من مرور اكثر من شهر على النظام الجديد في الاردن بقيت طوابع الملك فيصل هي المستعملة، الى ان نفذت الكمية فحلت محلها في تشرين الثاني ١٩٢٠ مجموعة طوابع فلسطينية (خالص الاجره) موشحة "شرقي الاردن (صورة ٢).

## المستشار البريطاني يتصرف على هواه!

ونذكر بالمناسبة ان المستشار السياسي البريطاني السير الك كيركبرايد Sir Alec Kirkbride المعين لمدينة الكرك عاصمة اراضي مؤآب لم يتمكن من الحصول على الطوابع الموشحة المذكورة اعلاه لاعتقاد السلطة المركزية في القدس بأنه لا حاجة الى الطوابع في تلك المنطقة النائية مما اضطره لصنع طابع بقرش واحد للاستعمال البريدي والمالي، فأخذ دفتراً من الورق الابيض وسطره مربعات بقلم الرصاص وبقياس ٣٥مليمتراً تقريباً ثم ختم بخاتم المجلس البيضاوي قياس ٢١/٤ × ٢٣/٤ مليمتراً داخل كل مربع بالحبر الاخضر ومهر اسمه بالاسفل على الشمال AK بالحبر البنفسجي الذي كان يستعمله للكتابة. اما الكمية التي صنعها فتراوح بين ٢٠٠٠و٣٠٠٠ طابع استعملت من اواخر سنة ١٩٢٠ الى آخر آذار ١٩٢١. وهذا العمل الجريء غير رأي السلطة في القدس فارسلت له حاجته من الطوابع المتداولة. ثم ما لبثت الاردن ان اعلنت امارة



٢

مستقلة برئاسة الامير عبدالله بن الحسين، وذلك في اول نيسان ١٩٢١ واخذت تصدر مجموعاتها المتتالية، بتوشيحات مختلفة "حكومة الشرق العربية" فوق طوابع المجموعة الاولى الموشحة اصلا "شرقي الاردن" • ومن ثم على مجموعة الطوابع الحجازية لعام ١٩٢٢، وايضاً على مجموعة طوابع الملك علي بن الحسين لعام ١٩٢٥•

### المكاتب الاجنبية

باشر المكتب الروسي اعماله في عام ١٨٥٧ بادارة شركة روسية للملاحة والتجارة اسمها "دوبيت"؟ وبدأ استعمال الطوابع الروسية العادية عام ١٨٦٣ بختم يحمل رقم 783 للدلالة على انها للمكاتب البريدية التي تعمل خارج البلاد•

اما طوابع "دوبيت" التي صدرت باسم الشركة فكانت محدودة جداً واستعملت من عام ١٨٦٥ الى ١٨٦٨• ومن ١٨٦٨ حتى ١٩١٤ استعملت الاصدارات الخاصة والاصدارات الموشحة لدى جميع المكاتب الروسية في الامبراطورية العثمانية والخارج (صورة ٣،٤) مع تواشيح اخرى كثيرة لمدن مختلفة منها:

| | |
|---|---|
| Constantinople | Salonique |
| Beyrouth | Rizeh |
| Kerassunde | Mont Athos |
| Jaffa | Metelin |
| Jerusalem | Trebizonde |
| Dardanelles | Smyrne |

الى ان اقفلت جميع هذه المكاتب سنة ١٩٢٣ مع باقي المكاتب الاجنبية بناء على احتجاج الدولة العثمانية وبموجب فرمان سلطاني صدر سنداً لمعاهدة لوزان•




٣

## هل تعلم؟

● هل تعلم ان اثمن طابع في العالم هو طابع غينيا البريطانية لعام ١٨٦٠ فئة سنت واحد الذي بيع بالمزاد العلني في الولايات المتحدة مؤخراً بمبلغ ٢٨٠ الف دولار، وان الكتالوغ الانكليزي جيبونز قد سعره بـ ٣٥٠ الف جنيه استرليني؟

## اسئلة القراء

● السيد فارس زلزل ـ برمانا•

١ ـ ضخامة المبلغ الاسمي على الطابع الالماني يرجع الى سقوط قيمة المارك الالماني في اعقاب الحرب العظمى الاولى، اما قيمته التجارية الحالية فعشرون قرشاً لبنانياً•

٢ ـ الطوابع غير المختومة هي في الغالب اعلى سعراً ولكن ثمة طوابع مختومة تخالف هذه القاعدة كما هي حالة الطابع المسؤول عنه اعلاه•

٣ ـ تتوقف قيمة الطابع العثماني على نوعية الختم الذي يحمله والبلد الذي استعمل فيه•

■ نرحب بجميع الاسئلة من القراء وهواة جمع الطوابع البريدية وسننشر في هذا المكان ما هو مهم ومفيد منها• ارسل اقتراحاتك وملاحظاتك الى مجلة تاريخ "العرب والعالم" قسم الطوابع ـ ص•ب (٥٩٠٥) بيروت ـ لبنان

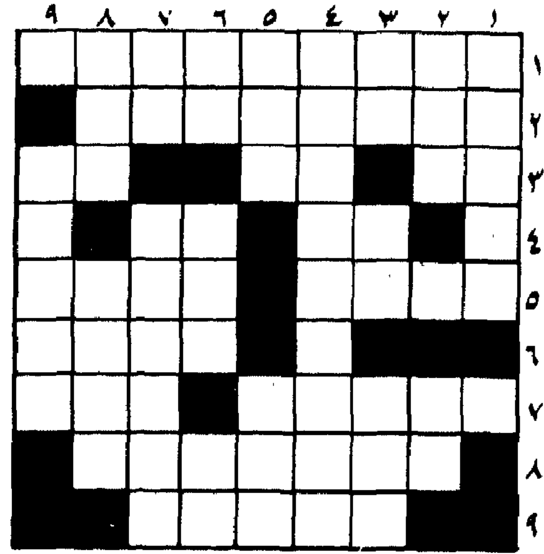
## حركة البيع والشراء

■ هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع وللراغبين في المبادلة او البيع او الشراء•وقد درسنا احسن الاسس العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا في خدمة القراء•




٤

# مسابقة الشهر



افقياً: ١ - رئيس لبناني راحل - رئيس لبناني راحل (معكوسة)٢ - من اقرب الاهل. للتأوه. حرف نصب ٤ - عبر. حرف جر. ٥ - طلب. الاسم الثاني لرئيس لبناني راحل (معكوسة). ٦ - الاسم الاول لرئيس لبناني. ٧ - الاسم الاول لنائب راحل. يتحتم ٨ - رئيس لبناني ٩ - الاسم الثاني لرئيس لبناني (معكوسة).

عمودياً:

١ - سراج الليل ٢ - موسيقى عالمي. وكر ٣ - ضمير منفصل (معكوسة). معظم البحر (معكوسة). هامة ٤ - رئيس لبناني راحل ٥ - الاسم الثاني لرئيس لبناني راحل. سفينة ٦ - للنهي. مادة عطرية. اذهب (معكوسة)٧ - توجد في السوق. الاسم الاول لرئيس لبناني (معكوسة)٨ - صفح. خفقان القلب (معكوسة) ٩ اصقاع (معكوسة).

الجوائز هي:

الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانية او ما يعادلها

الجائزة الثانية: مجموعة طوابع بريدية بقيمة خمسين ليرة لبنانية

الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في مجلة "تاريخ العرب والعالم".

ترسل الحلول الى ادارة المجلة، ويكتب على الظرف "مسابقة الطوابع" يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

## حل مسابقة العدد الماضي

افقياً:

لبنان. مصر
باري. كويت.
بيروت. دم.
يطيب. عما.
انملة. ا. س.
يايايايا،
دانق. رومل.
ب. سوريا.
يمن. بغداد.

عمودياً:

ليبيا. دبي.
بريطانيا. م.
تاريمان. ن.
ابو بليق.
ن. ت. آة. سب.
ك. ع. يروغ.
هو. ما اورد.
صيدا. ايمي.
رتم. دالاس

ملاحظة: الكلمة المشطوب تحتها (معكوسة في المربع).

| قسيمة الطوابع رقم ٣ | الاسم : ---------------- |
| --- | --- |
| | المهنة : ---------------- |
| | العنوان : ---------------- |

# هل تعلم ؟

■ انه، منذ تم توقيع اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩، واصلت اسرائيل ممارسة سياسة عدوانية: بشن هجمات عسكرية عبر خطوط الهدنة، وبغزو اراضي الدول العربية المجاورة، بصورة متكررة؟

وان مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة قد وجها الى اسرائيل، بسبب هذه الهجمات العسكرية، لوما او ادانة في احدى عشرة مناسبة: خمس مرات من قبل مجلس الامن، وست مرات من قبل الجمعية العامة؟

■ وانه ليس هناك من بلد آخر في العالم (سواء أكان عضواً في المنظمة الدولية او لم يكن) قد ادين بمثل هذا التكرار من قبل الامم المتحدة؟

■ وانه ليس هناك من بلد عربي واحد قد ادين من قبل هيئة من هيئات الامم المتحدة بسبب قيامه بهجمات عسكرية على اسرائيل (او على اي دولة اخرى)؟

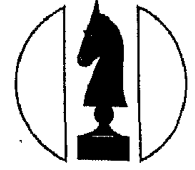
■ وانه، الى جانب طرد معظم سكان فلسطين العرب، والى جانب مهاجمة الدول العربية المجاورة باستمرار، فان اسرائيل واصلت مضايقة مراقبي الامم المتحدة وموظفيها الاخرين على امتداد خطوط الهدنة، واغتالت الوسيط الدولي الاول ومساعده العسكري، واحتجزت بعض مراقبي الهدنة، واحتلت عسكرياً، وفتشت بصورة غير شرعية، المقر العام لموظفي الامم المتحدة، وقاطعت اجتماعات لجان الهدنة المشتركة بقصد شلها عن العمل والتخلص من رقابة الامم المتحدة؟

■ وان اسرائيل، اضافة الى ذلك كله، قد فرضت نظام تمييز عنصري ضد العرب الذين بقوا في وطنهم؟ وان اكثر من ٩٠٪ من هؤلاء العرب يعيشون في "مناطق محظورة"؟ وانهم وحدهم يعيشون في ظل حكم عسكري يقيد حرية تنقلهم من قرية الى قرية او من مدينة الى مدينة؟ وان اطفالهم محرومون من فرص التعليم المتكافئة؟ وانهم محرومون من الامكانات المناسبة للعمل، ومن حق "الاجر المتكافىء مع العمل"؟

■ وانه، على الرغم من جميع الحقائق المذكورة، آنفاً، فان اسرائيل كانت دوماً وما زالت توصف في الصحف الغربية بانها "حصن الديمقراطية" و "بطلة السلام" في الشرق الاوسط؟

■ وان الدول الغربية تلح باستمرار على اعلان تصميمها على ضمان ما يدعى "بتوازن التسلح" في المنطقة ـ اي بين اسرائيل من جانب، والمئة مليون مواطن في الثلاث عشرة دولة عربية من جانب آخر؟

وان هذا المبدأ الغربي، القائم من جانب واحد حول ما يدعى "بتوازن التسلح"، ليس معقولا ـ الا بقدر ما هو معقول الاقتراح المتعلق بالنزاع الكوبي الامريكي بايجاد "توازن التسلح" بين كوبا والولايات المتحدة، او الاقتراح بالا يسمح للقارة الافريقية كلها بامتلاك سلاح اكثر من الذي تمتلكه جنوب افريقيا، او الاقتراح بعدم السماح للصين الشعبية بامتلاك اسلحة اكثر من التي تمتلكها تايوان (الصين الوطنية)، وانه بهذا فقط تمكن صيانة السلم في نصف الكرة الغربي، او في افريقيا، او في آسيا؟



تاريخ

# سقطت النورماندي بايدي الفرنسيين لان الاميركان يلعب جولة خاسرة

يكتبها محمد مراد بكر

## بريطانيا

### (القسم الثاني)

■عرفت انكلترا نوادي عديدة بين اواخر القرن الثاني عشر واوائل القرن التاسع عشر نذكر منها:

بريستول ـ كان يفتح ابوابه يوميا في العاشرة مساء وكان يرئسه كابتن كندي يساعده بصفة نائب رئيس تومبسون وكان جورج فيلبس امينا للسر.

كوفنتري ـ قاعة الاجتماعات في هذا النادي كانت تستقبل لاعبي الشطرنج ايام الثلاثاء والجمعة مساء. وهو برئاسة ج. الكر.

كارديف ـ وكان مركزه في المعهد الادبي في شارع سانت ماري ويستقبل اللاعبين مساء الاثنين والخميس من كل اسبوع برئاسة ر.ف. لانكلي

دوبلن ـ في دوليرستربت ـ يفتح ابوابه مساء الاربعاء والسبت من الثامنة حتى الحادية عشرة برئاسة ج. سلمون.

وفي دوبلن ايضا نادي فكتوريا للشطرنج الذي كان يستقبل اللاعبين ايام الاثنين والجمعة ابتداء من السابعة مساء.

ولن نسترسل في تعداد النوادي فهي كثيرة جدا ولكن لعل اهمها في ذلك العصر نادي سان جورج للشطرنج الذي كان يستقبل اللاعبين ابتداء من الساعة الحادية عشرة صباحا وكان برئاسة اللورد كريمورن، فقد جاء في دعوة قام بها النادي سنة ١٨٥١ تحضيرا لعقد جمعية عامة ما يلي: اعضاء اللجنة الادارية الانكليز هم: الدوق دي مارلبورو، الفيكونت دي كريمورن، اللورد والدن، السادة تالبوت، مارمادوك، ج. ميلفس، السير مارشال، ليدل، لويس فونبلانك، كاتلي، ستاونتن، بنغ سميث، هـ. بوكل، جيرار ميلز، الكابتن كندي.

اللجنة الفرنسية مؤلفة من السادة: دوق دي كارامان، دوفينك، الجنرال البارون دي فارّيني، الكونت دي بونتاليا، الفيكونت دي فوفرلند، شامويبه، سازباس، كراميل، سيغان، جورنود، ديسكيز، بورلي، ديلانو، كييزيرتزكي.

هدف الاجتماع: تاسيس امبراطورية دولية للشطرنج (هكذا سميت في الدعوة)، تأسيس برلمان شطرنجي، انتخاب امبراطور للشطرنج، توحيد الاصطلاحات والترقيم في الشطرنج، خلق قوانين ومحكمة عليا لامبراطورية الشطرنج هذه.

ولعل ذلك كان التفكير الاول الذي ادى في ما بعد سنة ١٩٢٤ لخلق الاتحاد الدولي للشطرنج الذي ينظم الشطرنج في العالم اليوم.

وقد بلغ عدد النوادي في ذلك الحين اي حوالي سنة ١٨٤٢ في انكلترا وحدها ما يزيد قليلا عن ٢٥ ناديا وجدنا اسماءها في المستندات التي وقعت تحت ايدينا. اما المؤلفون والناشرون واللاعبون البارزون في انكلترا في ذلك الوقت فقد كانوا عديدين ايضا مما يدل على ازدهار الشطرنج في انكلترا نذكر منهم على سبيل العد لا الحصر السادة:

برنار وقد نشر عدة رسائل شطرنجية.

بودن، لاعب قوي له مؤلفات عديدة وقد كتبت عنه مجلة لا ريجانس سنة ١٨٥١

بلاك، وكان قد نال من ملك انكلترا بناء على توصية من دوك ميريوا سفير فرنسا في لندن منحة سنوية قدرها ٢٠٠ جنيه استرليني (وهذا يدل على مدى اهتمام الملك في الشطرنج).

بوهن. ناشر مشهور، نشر كتاب "ذي تشس بلايرز كومبانيون"، لستاوتن اشهر لاعب في ذلك العصر والذي يعزى اليه شكل كل احجار الشطرنج المعروفة اليوم، كما نشر كتاب "هاند بوك اوف غايم" سنة ١٨٥٠

بوزويل. (السيد الكسندر) وهو ناشر ايضا لكتاب "ذي بوك اوف ذي تشس" من القرن السادس عشر والذي اعيد طبعه على اربعين نسخة فقط من قبل سلون سنة ١٨١٨.

بوكل. (هنري توماس) لاعب من الدرجة الاولى توفي في دمشق سنة ١٨٦٢ وهو مؤلف كتاب نال شهرة كبيرة اسمه تاريخ المدينة في انكلترا.

وليم كاكستون. الذي طبع كتاب "ذي غايم اوف تشيس" وهو منقول عن اللاتينية لصاحبه جاك دي سيسول وهو اول كتاب طبع في انكلترا.

لورد شاتان، الذي القى خطابا شهيرا في مجلس اللوردات في ٢٠/١/١٧٧٥ شبه به لعبة الشطرنج بحكومة تأسيسية، حيث ان الملك وان كان اهم قطعة في الشطرنج يبقى لا حول له ولا طول دون تواجد بقية القطع.

وغيرهم كثيرون مثل جون شكران، كراميل، فولك، والملكة اليزابيت نفسها التي كانت من هواة الشطرنج. ويروى عن غييوم دي كران الذي كان يقود جيوش ادوارد الثالث ملك انكلترا ما يلي: عندما اراد السيطرة على قلعة (افرو) وكانت منيعة جداء دعا حاكمها الذي كان شغوفا في الشطرنج للاطلاع على لعبة جميلة، فلبى الدعوة شاكرا وما ان حضر حتى احتجزه سجينا واستولى على القلعة التي اعتبرت من الغنائم.

جاك الاول. في خطاب القاه في مجلس العموم سنة ١٦٠٩ قال ان للملوك القدرة على رفع وخفض رعاياهم مثل لاعب الشطرنج الذي يجعل من البيدق فيلا او حصانا.

ويروي عن الامير جان سان تير سنة ١٢٠٤ انه بينما كان الفرنسيون يحوزون على تقدم يومي في مقاطعة النورماندي، كان جان منغمسا في ملذاته فاذا راجعه احد قال له لندع الفرنسيين يتقدمون فاني استطيع ان اربح في يوم واحد ما يغنمونه خلال عام، ولما ابلغ عن سقوط قلعة غايار هرب الى لندن، فذهب اليه نواب "روان" يطلبون منه نجدة خلال شهر على الاكثر والا اضطروا لتسليم المدينة الى الفرنسيين، ويظهر انهم اتوا في وقت غير مناسب اذ كان جان يلعب الشطرنج وكان مركزه حرجا في الجولة يتطلب انتباها كليا، فاجابهم بلهجة حزينة: "ما كان لكم ان تقاطعوني وانا في هذا الموقف، اذهبوا فلن ارسل لكم اية نجدة، افعلوا ما تجدونه مناسباً". وهكذا خسر هذا الامير مقاطعة النورماندي التي بقيت تحت حكم الفرنسيين ٢٩٤ عاما.

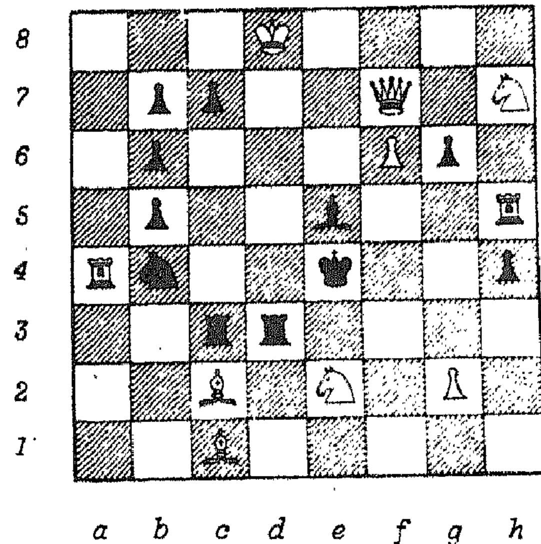
والمؤلفات الشطرنجية التي ظهرت في انكلترا في اوائل القرن التاسع عشر كثيرة جدا يضيق المجال في هذه الصفحات عن حصرها وقد يكون اهمها ما نشره ستاوتن ويعتبر اقوى لاعب في ذلك العصر كما اسلفنا فقد بلغت مؤلفاته ومنشوراته في الشطرنج ما يزيد عن خمسة عشر كتابا. هذا الى جانب الكتب المؤلفة عن فيليدور وعن الاوتومات (اللاعب الالي) الذي سنفرد له مقالا خاصا، وعن الشطرنج في القرنين الثاني والثالث عشر.. ■

# مسابقة الشطرنج

## المسابقة الثالثة

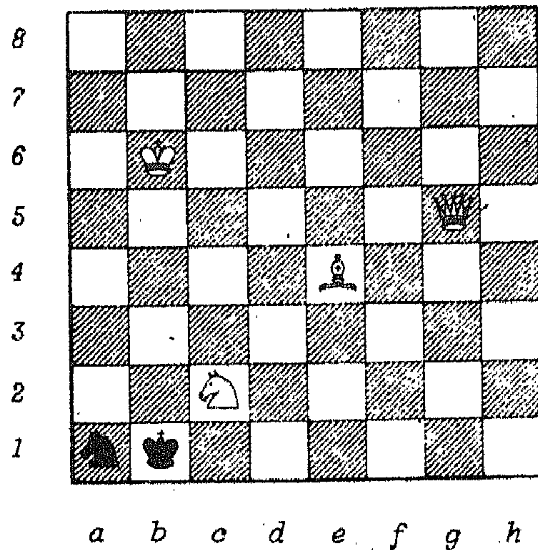
### المسألة رقم ٥

مات بنقلتين




### المسألة رقم ٦

مات بثلاث نقلات



■ وسننشر في كل عدد مع الحل الصحيح للمسائل المنشورة اسماء الذين توصلوا الى الحل الصحيح في المدة المحددة والذين سيكون لهم الحق بالاشتراك في الجائزة السنوية.

ترسل الحلول الى ادارة المجلة ص.ب. ٥٩٠٥ ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج. يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

الجوائز هي:



الجائزة الاولى: مائة ليرة لبنانية للفائز الاول.

الجائزة الثانية: اشتراك لمدة سنة في "تاريخ العرب والعالم" للفائز الثاني.

الجائزة الثالثة: اشتراك لمدة نصف سنة للفائز الثالث.

## حل المسابقة الاولى

المسألة الاولى: المفتاح Ré4 — 1 والنقلة الثانية واضحة

المسألة الثانية: المفتاح: Tb6 — 1

الحل:

1 — Tb6
2 — Cb — Ç6... Fg5
3 — F×g6

الرموز: R تعني الشاه اي Roi باللغة الفرنسية يقابلها بالانكليزية K اي King

T تعني الرخ اي Tour بالفرنسية يقابلها بالانكليزية R اي Rook

C تعني الحصان اي Cavalier بالفرنسية يقابلها بالانكليزية N اي Knight

F تعني الفيل اي Fou بالفرنسية يقابلها بالانكليزية B اي Bishop

D تعني الوزير اي Dame بالفرنسية يقابلها بالانكليزية Q اي Queen

## الحلول الواردة

وصلتنا حلول عديدة للمسابقة الاولى من كافة المناطق اللبنانية ومن بعض الدول العربية وكل مشترك كتب الحل على طريقته الخاصة، لذا فاننا نلفت النظر الى ان الاتحاد الدولي للشطرنج اقر في السنة الماضية الترقيم الجبري باللغة اللاتينية (انكليزي او فرنسي)، وهي الطريقة الوحيدة التي يجب على لاعبي الشطرنج في العالم الكتابة بها اعتبارا من سنة ١٩٨١ — لذا فاننا نرجو الجميع التقيد بهذه الطريقة في الحلول المرسلة خصوصا وان اللجنة التنفيذية للاتحاد العربي للشطرنج اقرت استعمال هذه الطريقة في جلستها المنعقدة في تموز (يوليو) ١٩٧٧

الحلول الواردة كما اسلفنا عديدة ولكن احدا باستثناء السيد اندره طويل من بيت مري لبنان لم يعط الحلول الكاملة صحيحة لذا فقد استحق الجائزة الشهرية.

ملاحظة: اخذنا بالحلول التي وردت ضمن المهلة المحددة

الفائز بالجائزة الاولى: اندره طويل — بيت مري "الحي الشرقي" ١٠٠ ل.ل.

| قسيمة الشطرنج رقم ٣ | الاسم : ------------------<br>المهنة : ------------------<br>العنوان : ------------------ |
| --- | --- |



# للطلاب فقط ...

اعداد : سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي، خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن اجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.

والمطلوب الاجابة على الاسئلة جميعها وارفاقها بالقسيمة المنشورة الى جانب الزاوية، ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من اخطأ في احد الحلول.

اذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك فيالمسابقة فما عليك الا ان ترسل الاجوبة مع القسيمة الى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة او الكلية او المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة مخصصة للطلاب ...وللطلاب فقط.

## من هي ؟

■ دولة اسلامية قامت بالمغرب والاندلس ما بين (١٠٥٣ ـ ١١٤٧) نشأت في صنهاجة بالمغرب، وارتكز مذهبها الديني على صرامة الاخذ بتعاليم السلف. اسسها ابو بكر بن عمر اللمتوني الذي توفى ١٠٨٧. وبرز فيها يوسف بن تاشفين، مؤسس مدينة مراكش التي جعل منها قاعدته استعان به ملوك الطوائف في الاندلس، بعد استيلاء الفونصو السادس ملك قشتالة على طليطلة، فهب على راس جيشه لنجدتهم. وانتصر على الافرنج في معركة الزلاقة (١٠٨٦)، ولما وقف على ضعف ملوك الطوائف، الحق بلادهم بمملكته، وعاد الى فاس، واتخذها عاصمة ملكه. وبموته عام ١١٠٦ خلف دولة امتدت من السنغال الى نهر الايبر، ومن الاطلنطي الى الجزائر. ومن ملوك هذه الدولة على بن يوسف، الذي اسس في فاس، ومراكش، وتلمسان، عمائر رائعة من بدائع الفن الاسلامي. وملك من بعده: تاشفين ابن علي، وابراهيم بن تاشفين، واسحق بن علي، وكان آخر الولاة في الاندلس: يحيى بن غانية (١١٤٨). ويعزى الى هذه الدولةنشر الاسلام في مملكة غانا القديمة بغربي افريقيا، بفضل المصلح البربري عبدالله بن ياسين، وتنظيمه المحكم للدعوة الاسلامية، باقامته الرباطات للعبادة في الاماكن البعيدة عن المدن.

## من هو ؟

■ كان من ابرز المناضلين السياسيين في معسكر للاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة في الفترة من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٠.

كان في طليعة قيادة المظاهرات الجماهيرية التي هبت لاحباط مشروع التوطين في شمال سيناء عام ١٩٥٥ التي حاولت (وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين) فرضه لتوطين اللاجئين في شبه جزيرة سيناء. ورفعت الجماهير آنذاك شعار لقد وقعوا مشروع التوطين بالحبر وسنمحوه بالدم" مشيرين بذلك الى التوقيع بالاحرف الاولى على المشروع. في ٥ آذار (مارس) ١٩٥٥ القى القبض عليه مع عدد من المناضلين الفلسطينيين في قطاع غزة ونقلوا الى احد السجون العربية. من الرواد الاوائل الذين ساهموا في صنع الانطلاقة الاولى للحركة. واكب مسيرة الثورة الفلسطينية باذلا من اجلها كل جهد وكان ان انتخب عضواً باللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) وعضواً باللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيساً للدائرة السياسية فيها ورئيساً للجنة السياسة استشهد في العاشر من نيسان ١٩٧٣ في منزله في شارع فردان على اثر الهجوم الاسرائيلي على بيروت.

# ماهي ؟

■ جمهورية صغيرة تقع شمال شرق ايطالياوتبلغ مساحتها ميلامربعاً وعدد سكانها حوالي ٢٠،٠٠٠ نسمة يتكلمون الايطالية، اما العاصمة فهي مدينة سان مارينو، وتقوم وحدة جمركية بين ايطاليا وهذه الجمهورية الصغيرة التي يحكمها وصيان يعينان مرة كل ستة اشهر بواسطة المجلس العام.

تعرف هذه الجمهورية بأنها اقدم واصغر جمهورية فيالعالم وتحدها ايطاليا من كل الجهاتالبرية وقد انشئتهذه الجمهورية عام ٣٥٠م، تعتمد على السياحة فياقتصادها بالاضافة الى عائداتها من بيع الطوابعوانتاجها من الخمور.

# من هو ؟

■ فيلسوف ورياضي اسلامي (٩٧٣ - ١٠٥٠) وهو المعروف "بالاستاذ". اصله من فارس ومولده في عاصمة خوارزم.

كان من بين الاسرى العديدين الذين حملهم معه السلطان محمود الغزنوي، تعلم السنسكريتية وعدداً من لغات الهند كما درس الديانات والفلسفة الهندية بلغات اهلها، كذلك درس الفلسفة اليونانية وشيئاً من اللغة العبرية والسريانية.

يعد من اعاظم علماء الدولة الاسلاميّة، كان فيلسوفاً ورياضياً، وفلكياً وجغرافياً ورحالة وجماعة.

اهم ما خدم به العلم انه اوضح استعمال الارقام الهندية، مع استعمال الاصفار لمقام الخانات، كما حل مسائل معروفة باسمه، ولا تحل بالمسطرة والفرجار، منها: قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية، وحساب قطر الارض.

ذكر ان سرعة النور اعظم من سرعة الارض كثيراً، وكان له بحث في الوزن النوعي واستخراج الاوزان النوعية لثماني عشر مادة من المعادن والحجارة الثمينة بدقة بالغة.

اشهر كتاب له هو "تاريخ الامم الشرقية".

## الجوائز هي:

■ الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانة

■ الجائزة الثانية: اشتراك سنة في المجلة

الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة

## اجوبة مسابقة العدد الاول

■ حادث فاشودا (عام ١٨٩٨)

■ جزيرة مالطه - دولة مستقلة في البحر الابيض المتوسط تتكون من عدة جزر

■ مدام ماري كوري

■ مدينة فرساي في فرنسا

■ ثابت بن قرة، ابو الحسن الحراني

## ■ الفائزون

● الفائز الاول: مازن حمود - جامعة القديس يوسف - كلية الهندسة - صيدا خمسون ليرة لبنانية.

● الفائز الثاني: سلطان اسعد - المدرسة البطريركية - بيروت، اشتراك سنة في "تاريخ العرب والعالم"

● الفائز الثالث: عبد الغني محمود - معهد المعلمين - وكالة الغوث ص.ب، ٤٨٤ - عمان - الاردن، اشتراك نصف سنة في "تاريخ العرب والعالم".

| | |
|---|---|
| قسيمة للطلاب فقط<br>رقم<br>٣ | الاسم : - - - - - - - - - - - - - - - - - -<br>المهنة : - - - - - - - - - - - - - - - - - -<br>العنوان : - - - - - - - - - - - - - - - - - - |

الاهتمام الذي استقبلت به " تاريخ العرب والعالم" من الصحافة في لبنان والوطن العربي، هو وسام تتمنى ان تكون أهلا له.

هذا الاهتمام وضع على كاهل أسرة تحرير المجلة مسؤوليات ومهاماً جساماً في اطار الدور الذي نذرت نفسها له، الا وهو اعادة كتابة التاريخ العربي واعادة اكتشاف ما عفا منه الزمن عليه. والوسام، اذن، في منظار "تاريخ العرب والعالم" لا يعني غير المزيد من الجهد والعرق والبحث املا في الوفاء بالمهمة، او بالجزء الكبير منها، وباطلاع القارىء العربي على ما خفي عليه، أو أخفي عليه، من التراث الانساني الضخم على مدى التاريخ.

---

## الكفاح العربي

وكتبت الزميلة "الكفاح العربي"

● "تاريخ العرب والعالم" مع ما في هذا الاسم من تشويق وتوق، يجيء اسماً لمجلة تصدر في بيروت، من عددها الاول، يشعر القاريء انه ازاء مجلة من نوع جديد. والامل كبير في أن تستطيع هذه المجلة سد فراغ طالما عانينا منه.

يرأس تحرير المجلة الجديدة ناشرها فاروق البربير.

## النهار الدولي والعربي.

● في باريس كتبت الزميلة "النهار العربي والدولي" تقول:

مجلة جديدة تاريخية تصدر في بيروت بعنوان "تاريخ العرب والعالم". في افتتاحية العدد الأول تعرف المجلة بنفسها بقولها: "اذا طالعتك كلمة "العرب" بخط كوفي على غلاف هذه المجلة، فلا يعني هذا اننا سنقتصر على تاريخ الجزيرة العربية، او على تاريخ الجزيرة العربية، او على مرحلة. بل ان الصورة ستضع امامك الشعب العربي أياً كان موطنه من الخليج الى المحيط".

من كتاب العدد الأول: قسطنطين زريق، ارنولد توينبي، محمود زايد، دافيد لويس، باسم الجسر، ديمتري برامكي.

## الاوريان ـ لوجور

### مجلة على غرار "هيستوريا"!...

وكتبت الزميلة ايرين موصللي في "الاوريان لوجور".

لبنان يعيش اليوم اياماً حزينة انسته ماضيه...

ولكن مجلة "تاريخ العرب والعالم" التي ظهرت في الاسواق في بداية هذا الشهر وضعتنا مرة أخرى في الماضي الحي. مجلة "تاريخ العرب والعالم" صدرت عن "دار السياسة للصحافة والنشر" ويرأس تحريرها فاروق البربير.

من خلال مراجعتنا للعدد الاول الذي يبدو رصيناً في مقالاته علمياً في معالجته للاحداث التاريخية المختلفة يتأكد لنا ان هذه المجلة جاءت لتبقى.

## الشرق الاوسط

### "تاريخ العرب والعالم"
### اول مجلة تاريخية
### عربية للقارىء العام

● في لندن كتب الدكتور محمود زايد في الزميلة "الشرق الاوسط"

على الرغم من ان الصحافة العربية شهدت خلال السنوات العشر الاخيرة ظهور عشرات المجلات الاسبوعية والشهرية والفصلية. فانه من الملاحظ انها كانت تفتقر الى مجلةتاريخية تستهدف القارىء العادي مثل مجلة "هيستوريا" الفرنسية، ومجلة "انترناشينال هستوري" التي تصدر في سويسرا باللغة الانكليزية. ومجلة "هستوري تودي" التي تصدر في انكلترا.

ومجلة "تاريخ العرب والعالم" الشهرية التي ظهر العدد الأول منها في بيروت قبل ايام تسد بعض الحاجة الى هذا النوع من المجلات. فمادتها غنية بالمقالات المتنوعة التي لابد وان تستهوي مختلف القراء. ففيها مقالات عن الفكر والمنهج التاريخيين احدهما بقلم الدكتور زريق والاخر بقلم الدكتور احسان عباس. كما أن فيها بضع دراسات لجوانب معينة من تاريخ العرب وترجمة لعمر المختار ووصفا مثيراً لموت رومل ثعلب الصحراء ومقالات في تاريخ الشطرنج والرياضة والطوابع.

## النهار

### مجلة "تاريخ العرب والعالم" ان قرأت العدد الاول اخذتك مواضيع وتمنيت معالجة اختبارية

كتب الزميل نزيه خاطر في "النهار" يقول في سياق مقال طويل:

ليست صدفة مجانية ان تنزل "مجلة شهرية تبحث في التاريخ العربي" الى السوق الثقافية. فنحن نمر بأيام حادة جداً، وجديدة جداً، وحاسمة الى اخر الحسم في ما يتعلق بحاضرنا. وقد تقيد بعض الاختيارات المتداولة حالياً مستقبل مجتمعاتنا لحقبة غير قصيرة من تاريخنا. كما ينتظر وقوع تعديلات في بعض "جغرافيا المنطقة" على حسب تعليقات الذين يصنفون بين العارفين. وهي جميعها من الاحداث والتنبؤات التي تلفت مباشرة الى الاهتمام بها من زاوية ارتباطها القريب او البعيد بتاريخنا القديم والحديث.

مجلة من "تاريخ العرب والعالم" تسد فراغاً، طبعاً. خاصة اذا هي ارتبطت بالتيار العلمي ذي التطلعات الحديثة في ثقافتنا العربية. فليس مهماً صدور منشورة، بل ما يساعد القارىء العربي على توضيح علاقته الموضوعية بهذا الشيء المقفل اعلامياً الذي يختصر دائماً بعبارة "التاريخ" والذي يبقى امراً غير متداول بين الناس. لكنه يرزح تحت كمية من غبار الزمن وجهد انسان كل يوم بمضمونه. اذ ان التاريخ العربي اما حكايات شعبيةواما مجلدات ضخمة من فعل متخصصين واما مختصرات مدرسية سطحية وشبه مضجرة. وفي جميع الحالات انه موضوع كلام واستشهاد وذكريات وحجج تعين في الساعات الحرجة.

## النداء

### مجلة جديدة تختص: "بتاريخ العربوالعالم"

كتبت الزميلة "النداء":

"تاريخ العرب والعالم"، مجلة جديدة، صدر منها العدد الاول، في بيروت، طموحاً الى اختصاص تتبعه مجلة شهرية، وهو التاريخ. من غلاف المجلة، يتراءى لك الطابع التاريخي الكلاسيكي. المادة الكتابية التي تحتويها المجلة، مرفقه بالصور وببعض الدوريات، من نشاطات التسلية" كلمات متقاطعة وغيرها"، ربما في محاولة للافادة من التسلية، ببعض المعلومات التاريخية.

## المستقبل

وكتبت الزميلة "المستقبل"

■ صدر العدد الاول من مجلة " تاريخ العرب والعالم". وهي مجلة شهرية تعنى بالتاريخ العربي. وتتضمن دراسات ومقالات متعددة حول تاريخ العرب والعالم، وقضايا فكرية وانسانية. وقد تصدر العدد الاول عدد من الاسماء اللامعة في الفكر والسياسة. من بينها الدكتور قسطنطين زريق، والدكتور الزميل باسم الجسر والمؤرخ ارنولد توينبي، والدكتور محمود زايد وغيرهم.

## الاخبار الاردنية

### اول مجلة عربية في التاريخ

● في عمان كتبت الزميلة "الاخبار":

اصبح للتاريخ مجلته الشهرية في بيروت، فبعد سنوات طويلة من احتجاب ـ اوراق لبنانية ـ ليوسف ابراهيم يزبك. ومسلسلات عمر ابو النصر المشوقة، ها هو فاروق البربير يحاول على طريقته اخراج مادة التاريخ من حرم الجامعاتووضعها بين ايدي الناس، دون ان تفقد رصانتها ومصداقيتها.

اسم المجلة الجديدة ـ تاريخ العرب والعالم ـ تصدر شهرياً عن دار السياسة للصحافة والنشر عدد صفحاتها مائة من المقياس المتوسط ومقالاتها مصحوبة بالصور والرسوم الايضاحية.

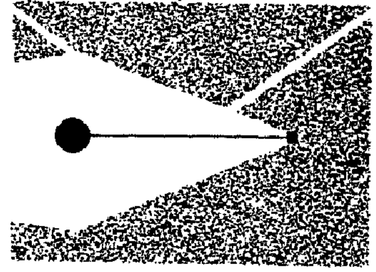
## السفير

### مجلة لبنانية جديدة تضع التاريخ في متناول الجميع: قسطنطين زريق: أي حضور للعرب في العالم؟

كتبت الزميلة "السفير":

اصبح للتاريخ مجلته الشهرية في بيروت، فبعد سنوات طويلة من احتجاب "اوراق لبنانية" ليوسف ابراهيم يزبك. ومسلسلات عمر ابو النصر المشوقة، ها هو فاروق البربير يحاول على طريقته اخراج مادة التاريخ من حرم الجامعات ووضعها بين ايدي الناس، دون ان تفقد رصانتها ومصداقيتها.

اسم المجلة الجديدة "تاريخ العرب والعالم" تصدر شهرياً عن دار السياسة للصحافة والنشر عدد صفحاتها مائة من المقياس المتوسط ومقالاتها مصحوبة بالصور والرسوم الايضاحية.



# بريد القراء

وصلت ادارة مجلة "تاريخ العرب والعالم" رسائل عديدة تبدى اعجابها وتشجع اسرة التحرير على المضي قدما.

ونظرا لكثرة الرسائل الواردة نقتطف في مايلي بعضا مما كتبه اصدقاء المجلة واعدين جميع الذين لم ننشر رسائلهم في هذا العدد بذكر اسمائهم في اعداد لاحقة.

وتشكر المجلة جميع من ارسل اليها مشجعا وترغب في ان تكرر انها ترحب بأية رسائل وتعد اصحابها بأن تأخذ بعين الاعتبار جميع الاقتراحات التي ترد.

---

## اقتراح قيد الدرس

● داخلني فرح وامتنان، اولا عندما سمعت عن صدور هذه المجلة الرائدة، وثانيا عندما تصفحتها واطلعت على محتواها..وامتناني لكم بالذات، كونكم ساهمتم في نشر الشطرنج - لعبتي وهوايتي الصعبة المنال - على صفحات مجلتكم، وهو ما عرضته من قبل على المسؤولين عن ابواب التسلية في مجلات هذا البلد وقد اعتذروا عنه، كونه "غير شعبي" ولا يجد محبذا بين اغلبية القراء - كأن هدف المجلة المبيع فقط، لا التوعية والتثقيف.

اما وقد لاحظتم هذا النقص وسارعتم الى سده فاني اتوجه الى اسرة التحرير بالشكر، لمبادرتهم المباركة ولكونهم لم ينسوا ان للطلاب حقا وواجبا، في الرعاية والتشجيع والمناصرة، في محيط لم ينتبه بعد لأثر العلم والمعرفة - معرفة الذات ماضيا وحاضرا ومعرفة الآخرين - في توجيه سير الاوطان والحضارات.

واود لو تسمحون لي بابداء اقتراح ونحن في اول الطريق معكم، يتعلق بدراسة تاريخ العلوم عند العرب خاصة، والشعوب المشرقية القديمة اذا كان ذلك ممكنا.

**مخايل الهاشم - سرجبال - الشوف**

● **اقتراحك قيد الدرس. /لبنان/**

● لقد وجدت ان العدد الاول من "تاريخ العرب والعالم" يسعى بجدية لنشر الوعي الثقافي بين ابناء الامة العربية انها مجلة حاوية وشاملة اظن انها تثرى الصحافة العربية الان وفي المستقبل.

عندما تصفحت هذه المجلة بدا لي ان القارىء العربي عموما وفي هذه الفترة بالذات يحتاج الى مثل هذه المجلة لانها تقدم ثقافة اصيلة وباسلوب يرتفع عن الاسفاف الذي تمتلىء به صفحات كثير من الصحف والمجلات العربية. واقول لكم ان ظهور مجلتكم "تاريخ العرب والعالم" هو نبأ سعيد لكل باحث عن الثقافة الصافية الغنية في الوطن العربي. وهي مفيدة لتنمية عقل شبابنا العربي وللقضاء على اسباب التخلف الذي نعانيه.

ارجو اخيرا ان تحافظوا على هذا المستوى الممتاز الذي طالعناه في العدد الاول كما انني اشكر اسرة التحرير ومنهم الطالبة سحر بعاصيري التي اعدت مسابقة "للطلاب فقط" لما تحتويه من معلومات مهمة يجب ان يعرفها كل طالب.

**بشر ابراهيم رمضان - الجامعة العربية سنة ثانية**

## فراغ ثقافي

● تحية طيبة الى جميع العاملين في مجلة "تاريخ العرب والعالم" التي سدت فراغا ثقافيا في لبنان عند صدورها نأمل ان تستمر في الظهور بصورة دائمة معرفة الشباب العربي على تاريخهم وتاريخ العالم.

**سلطان اسعد - المدرسة البطريركية بيروت.**

## الشطرنج والطوابع

● لقد سرني ان اقرأ مجلة مثل مجلتكم. وقد سرتني مواضيعها المثيرة العربية منها والدولية وقد سررت لاهتمامكم بالثروات الفنية ومنها الشطرنج والطوابع.

**جان آبي فرح - شملان - لبنان**

● تهنئة حارة من كل الذين قرأوا معي مواد العدد الاول من المجلة . ان الميزة التي اتفقنا على ملاحظتها في مجلتكم الرائدة هي توجهكم منذ البدء الى ربط التاريخ القديم بالواقع المعاصر في منطقتنا العربية خصوصا ما جاء تلميحا في المقال المهم للدكتور احمد ابراهيم العدوى حول "سيادة العرب على البحر المتوسط ثمرة لتعاون مصر والشام في ايام معاوية" . فالى الامام .

**الطالب مؤيد عزيز واصدقاؤه/بغداد العراق**

● تحية مودة وتقدير وعربونا لمودتكم يسعدني ان انتهز هذه الفرصة لابعث لكم بتقديري ومودتي لجهودكم الكبيرة في العمل على اصدار مجلة رائدة تبحث في الثقافة التاريخية لاول مرة في العالم العربي .

ملاحظة: وصلتنا من الصديق ايضا بطاقة بريدية يتمنى فيها لاسرة التحرير التوفيق والنجاح .

**عبد الغني محمود ـ عمان/معهد المعلمين**

### المشروع الصعب

● منذ العدد الاول لمجلتكم الغراء وجدت نفسي مدفوعا للكتابة اليكم معبرا عن تقديري لهذا الجهد الكبير في اصدار مجلة مخصصة للابحاث وللثقافة التاريخية وهو موضوع تجاهلته دور النشر العربية في وطننا الكبير . ان الاسلوب العلمي الصارم والمنهج المتبع يشكلان ولا شك الانطلاقة السليمة لمثل هذا المشروع الصعب الذي نرجو ان يستمر . ولكم التوفيق .

**د . منير كزما ـ بيروت ـ لبنان**

### البحث التاريخي

● فوجئت بالعدد الاول من مجلة "تاريخ العرب والعالم" بين عشرات المجلات والصحف تأخذ مكانها برصانة ومن غير اي ضجيج اعلامي سبقها . وعندما تصفحت العدد كان تفاؤلي اكبر مما تتصورون ، فاضافة الى المساهمة القيمة لكثير من المتخصصين المعروفين في البحث التاريخي لفت نظري تنوع مواضيع المجلة مما يجعلها يحق رائدة في هذا المجال في لغتنا العربية . وفقكم الله .

**احمد محمد رضوان ـ حلب/سوريا**

**العدد الاول .**

### الصور التاريخية

● لقد وصلتنا مجلتكم الغراء "تاريخ العرب والعالم" ، وقرأنا ما فيها من مواضيع مثيرة وشيقة ، كما سعدت جدا لأني وجدت اخيرا مجلة تهتم بتاريخ العرب الذين اضاؤوا العالم بعلمهم الذي لا يستطيع احد نكرانه ، كما أعجبني ايضا الخط الذي هو اسم المجلة وكذلك الصور التاريخية القيمة التي زادت المجلة بهاء وقيمة في نفوس القراء . لذا اتمنى للمجلة كل تقدم وازدهار ، وان تكون على رأس المجلات العربية والاجنبية مقاما .

**عبد الرحمن محمد السنيدي ـ قطر ص . ب ٤٣٦٠**

● انه العدد الاول وسيكون وراءه عشرات الاعداد ، لا بل المئات حافلة بكل جديد ومشوق وجميل . اننا نقدر لكم هذا المجهود الكبير .

**جان بطرس الخوري ـ جونيه**

### الثمن والالوان

١ ـ ان ثمن المجلة مرتفع قياساً لثمن مجلات علمية مشابهة ، "فالعربي" مثلا ليست بحاجة لتعريف ، ثم مجلة "الفيصل" هي الاخرى غنية عن البيان .

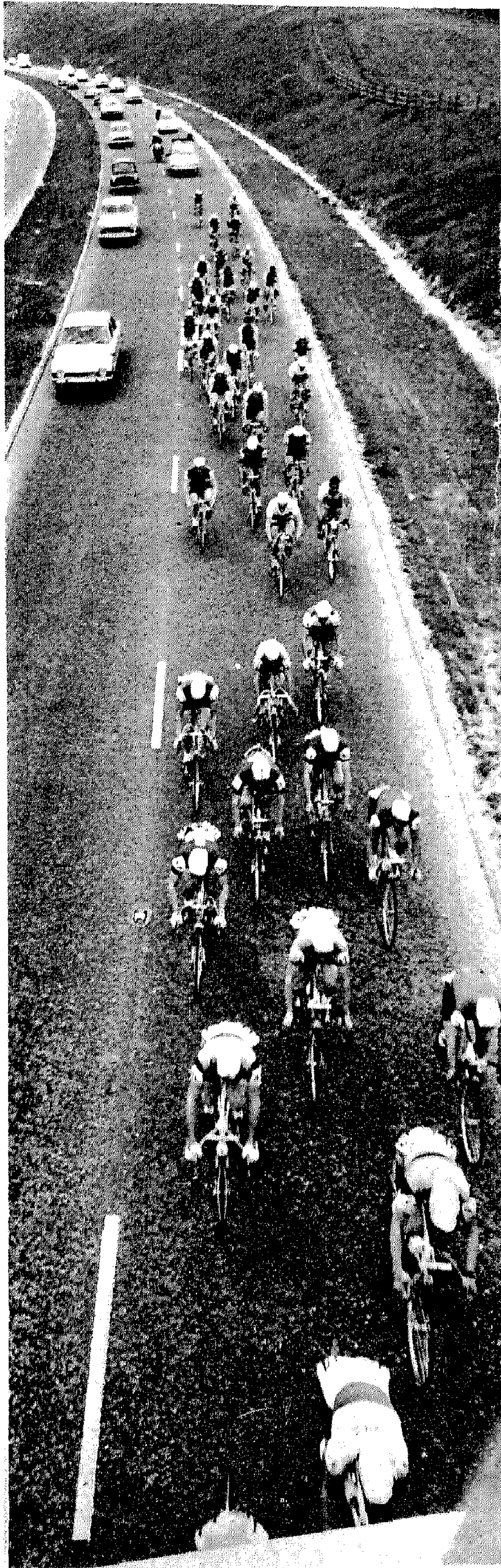
٢ ـ من ناحية الطباعة والألوان . المجلة ككل ، خطوة رائدة لكن حبذا لو امكن تلوين الصور وتكبير الحرف .

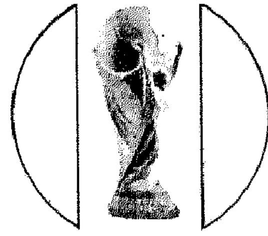
اعتقد انكم ستقولون ان الكويت والسعودية هما وراء المجلتين المذكورتين . . . حسناً لكن القارىء واحد وصدقوني لو لم اكن احمل الليسانس في التاريخ من جامعة بيروت العربية وتهمني مجلة كهذه ما كنت لاشتريها فاذا كنتم تحرصون على نفاد كل الاعداد ولتصل الى ايدي الطلاب . . . فرجاؤنا مراعاة ذلك .

٣ ـ كل شيء صعب في بدايته والكمال لله وحده لكن الحقيقة ان الفكرة ممتازة وشكراً .

**حسن ابو نعسه ـ بيروت**

● **شكراً للملاحظات وسنعمل على تنفيذ ما يمكن منها .**





# تاريخ نشوء لعبة الدراجات

فؤاد حبيب

ابصرت رياضة "الدراجات" النور في ٣١ ايار ١٨٦٨ عندما نظم الاخوان "اوليفي" مديرا مصانع "ميشو" الفرنسية، سباقا في بارك سان كلود ـ فرنسا ـ فاز به الدراج الانكليزي جيمس مور، الذي فاز ايضا باول سباق نظم من مدينة الى اخرى بين باريس وروان عام ١٨٦٩ وكان معدل سرعته في تلك السنة ١٢ كيلو متراً و٤٨٠ في الساعة٠٠

بعد ذلك تطورت "الدراجة" وغزت رياضة سباق الدراجات اوروبا بكاملها وانطلقت الى اليابان كما غزت اوستراليا وبرزت في فرنسا وايطاليا وبلجيكا واسبانيا حيث لمعت في سماء هذه الدول نخبة من نجوم هذه الرياضة٠

ومرت "الدراجة" باشكال مختلفة قبل ان تصبح في شكلها اليوم٠

وفي عام ١٨٨٨ افتتح "جون بويد دنلوب" عالم الدراجات باختراعه الدولاب الذي وصل ثمنه الى حوالي ١٥ الف فرنك فرنسي قديم٠ لا توجد لرياضة الدراجات قوانين بالمعنى الصحيح للعبة، بل قواعد تقام على اساسها سباقات محلية واقليمية ودولية٠ ويمكن تعديل هذه القواعد طبقا للسباقات٠٠

وباستثناء البطولات الرسمية والدولية فان المسابقات تنظم وتمول من قبل مؤسسات خاصة أو صحف تغطي النفقات المترتبة على اقامة السباقات٠



□ دراجة بثلاثة دواليب



□ مسابقة للسيدات جرت في فرنسا عام ١٨٥٩



الانطلاق في دورة فرنسا الاولى. الدراج رودولف مولر الذي فاز بالسباق استكشف الطريق قبل عشرين يوما من السباق واستطاع الفوز.

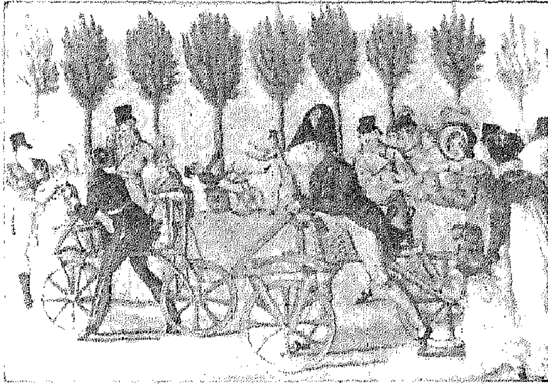
وفي فرنسا حيث برزت رياضة الدراجات انشئت لجان خاصة تعني بهذه اللعبة بالاضافة الى الاتحاد الفرنسي للدراجات.

وفي عام ١٩٠٠ تأسس "الاتحاد الدولي للدراجات" ولم يزل حتى الان انما انقسم عام ١٩٦٥ ليتيح للاعبين الاشتراك في الالعاب الاولمبية وهم بطبيعة الحال هواة، ولآخرين الاشتراك في سباقات دولية وعالمية وهم محترفون. وعليه اصبح للعبة اتحاد دولي للمحترفين واتحاد دولي للهواة.

## دورة فرنسا

في هذه المناسبة لا بد من التحدث عن اشهر دورة دولية في الدراجات تقام في العالم منذ عام ١٩٠٣ وهي "دورة فرنسا" التي اصبحت تاريخية نظراً لاستمراريتها منذ ذلك التاريخ ولم تتوقف الا ابان الحرب العالمية من ١٩٤٠ الى ١٩٤٦.

وقد انجبت "المملكة الصغيرة" كما تسمى رياضة الدراجات ابطالا عالميين امثال الايطالي فوستو كوبي الذي فاز عدة مرات ببطولة العالم وبدورة فرنسا وبسباقات دولية اخرى. وجاك انكتيل بطل فرنسا الدولي الذي حطم الارقام القياسية



دراجو عصر بعد اعادة الملكية في فرنسا

العالمية والبطل البلجيكي ادي ميركس الفائز ايضا بعدة مرات ببطولة العالم وبدورات محلية ودولية. وغيرهم من الابطال الذين اشتركوا بسباقات عالمية ونالوا الشهرة.

ولا بد هنا من ان نذكر ان لبنان ايضا انجب ابطالا دوليين في هذه الرياضة امثال جاك نلتشيان وغارو موراديان وطارق وطلال ابو الذهب وكمال غلاييني وغيرهم من الابطال والبطلات...



□ الدراج البلجيكي "كيرف" محاطا بانصاره قبل بدء دورة فرنسا الاولى التي اشترك فيها ٦٠ متسابقا وصل منهم ٢٠ فقط.



□ عند بداية "الدورة الاولى" عام ١٩٠٣ يبدو جان فيشر الذي لقب "بالمتسلق" وبعد سباق دام ٧٢ ساعة اصبح نصف مجنون واصطدم بشجرة...

## المسابقة

١ ـ بطل فرنسي فاز بدورة فرنسا في الدراجات خلال ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ و ١٩٦٤.

٢ ـ بطل عالمي في القفز العالي فاز بدورة ميونيخ الاولمبية سنة ١٩٧٢.

٣ ـ عداء تونسي سجل عدة ارقام قياسية في سباقات المسافات الطويلة وفاز باولمبياد مكسيكو وطوكيو.

٤ ـ منتخب عالمي في كرة السلة فاز ببطولة العالم عام ١٩٧٠.

٥ ـ لاعبة سوفياتية عملاقة في كرة السلة طولها ٢،١٠ متراً لقبت باللاعبة رقم ١ في العالم عام ١٩٧١.

٦ ـ في أي سنة فاز الملاكم العالمي جو لويس بلقب البطولة؟

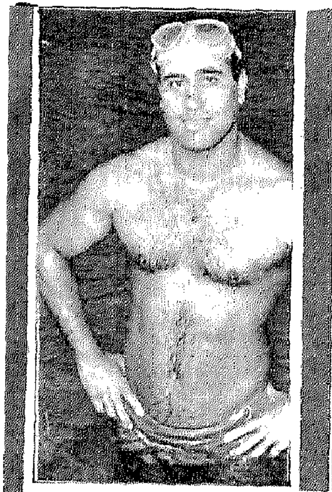
٧ ـ في اية مدينة ولد البطل محمد علي وما هو تاريخ الولادة؟

٨ ـ فريق انكليزي فاز ببطولة اوروبا بكرة القدم موسمي ٧٦ و ١٩٧٧ من هو وما اسمه؟

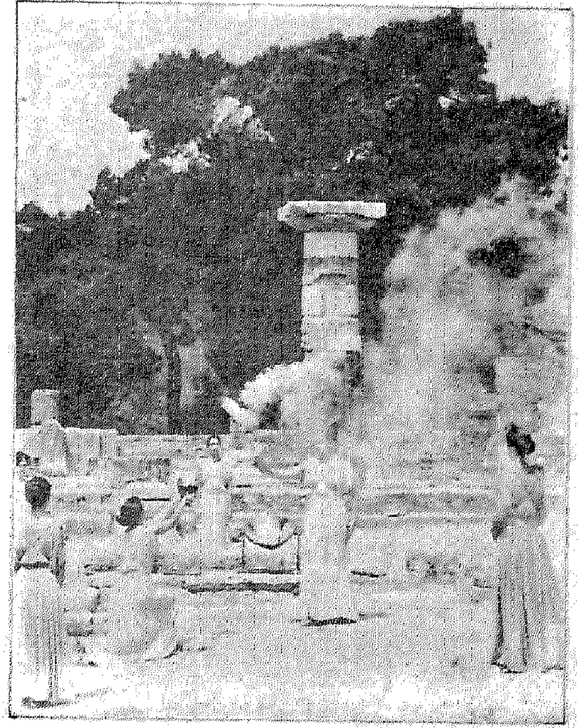
٩ ـ لاعب انكليزي دولي في كرة القدم لعب أخر مبارياته وكان عمره ٥٠ عاما؟

١٠ ـ اصغر بطلة عالمية لمع اسمها في رياضة الجمباز.

■ اختبر معلوماتك:



■ سباح لبناني قطع المانش.



■ الى ماذا ترمز هذه الصورة وأين احدث وما هي المناسبة العالمية؟



■ لاعب كرة عالمي اسباني.



■ بطل لبناني عالمي في التزلج على الماء.

## اجوبة مسابقة العدد الاول:

١ ـ سنة ١٩٠١ ـ جوهافلانج ـ ستانلي راوس.
٢ ـ ليف ياشين حارس مرمى منتخب الاتحاد السوفياتي.
٣ ـ ريال مدريد ـ فاز على ريمس ٤ـ٣.
٤ ـ البرازيل ـ فازت الاورغواي وحلت ثانيا البرازيل.
٥ ـ اللاعب الالماني ليز ـ المانيا والنمسا عام ١٩٣٤ في نابولي ـ سجل الهدف بعد ٢٤ ثانية في بدء المباراة.
٦ ـ مصر ١٩٣٤ ـ ١٩٥٤ ـ المغرب ١٩٧٠ تونس ١٩٧٨.
٧ ـ زكريا شهاب اولمبياد لندن وزن Bantam ١٩٥٢.
٨ ـ اللاعب الانكليزي "جيوف هيرست" عام ١٩٦٦ في المباراة النهائية بين انكلترا والمانيا الغربية.
٩ ـ منتخب مصر ـ فاز على المجر ٣ ـ صفر.
١٠ ـ فريتز واوتمار فالتر ـ المانيا الغربية ـ ١٩٥٤ بوبي وجاك شارلتون ـ انكلترا ـ ١٩٦٦.

# قسيمة الرياضة
## رقم
## ٣

## في اية مباراة؟

■ مباراة تونس ـ المكسيك والنتيجة كانت ١ـ٣ لصالح تونس على ملعب روزاريو في الارجنتين.

## ٣ لاعبين

■ كمبس ـ الارجنتين.
■ فوجتس ـ المانيا الغربية.
■ ريب ـ هولندا.

## الفائزون بمسابقة "تاريخ العرب والعالم" للرياضة:

● الفائز الاول: بسام ديب ـ برج البراجنة ـ بيروت فاز بالجائزة الاولى وقدرها مائة ليرة لبنانية.
● الفائز الثاني: سمير اسطفان ـ صيدا ـ لبنان جائزة بقيمة خمسين ليرة من محلات "سبور".
● الفائز الثالث: سالم محمد سعد الشروقي الدوحة ـ قطر ص.ب ٥٢٣٨: اشتراك سنة في "تاريخ العرب والعالم"
● الفائز الرابع: جان بطرس الخوري ـ جونية ـ مركز الهاتف اشتراك نصف سنة في "تاريخ العرب والعالم".




# الماضي الذي سيأتي في اعدادنا المقبلة





الجامع الأموي في دمشق . بُني في القرن الثامن الميلادي

الغلاف الخارجي

دُمية تشرب النرجيلة على أنغام الموسيقى